قصص وحكايات من اليمن

يليها

مجموعة تراجم بيت العمراني

يمليها شيخ علماء اليمن العلامة القاضي الفقيه

محمد بن إسماعيل العمراني

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

أعدها وألف بينها وجمعها وحققها الدكتور

محمد عبد الرحمن غنيم

حفظه الله

توزيع مكتبة

خالد بن الوليد

صنعاء ت: ٢٢٤٦٩٤

دار الإيمان

إسكندرية

قصص وحكايات

من اليمن

يحكيها شيخ علماء اليمن

العلامة القاضي الفقيه

محمد بن إسماعيل العمراني

يليها

مجموعة تراجم بيت العمراني

أعدها وألف بينها وجمعها وحققها

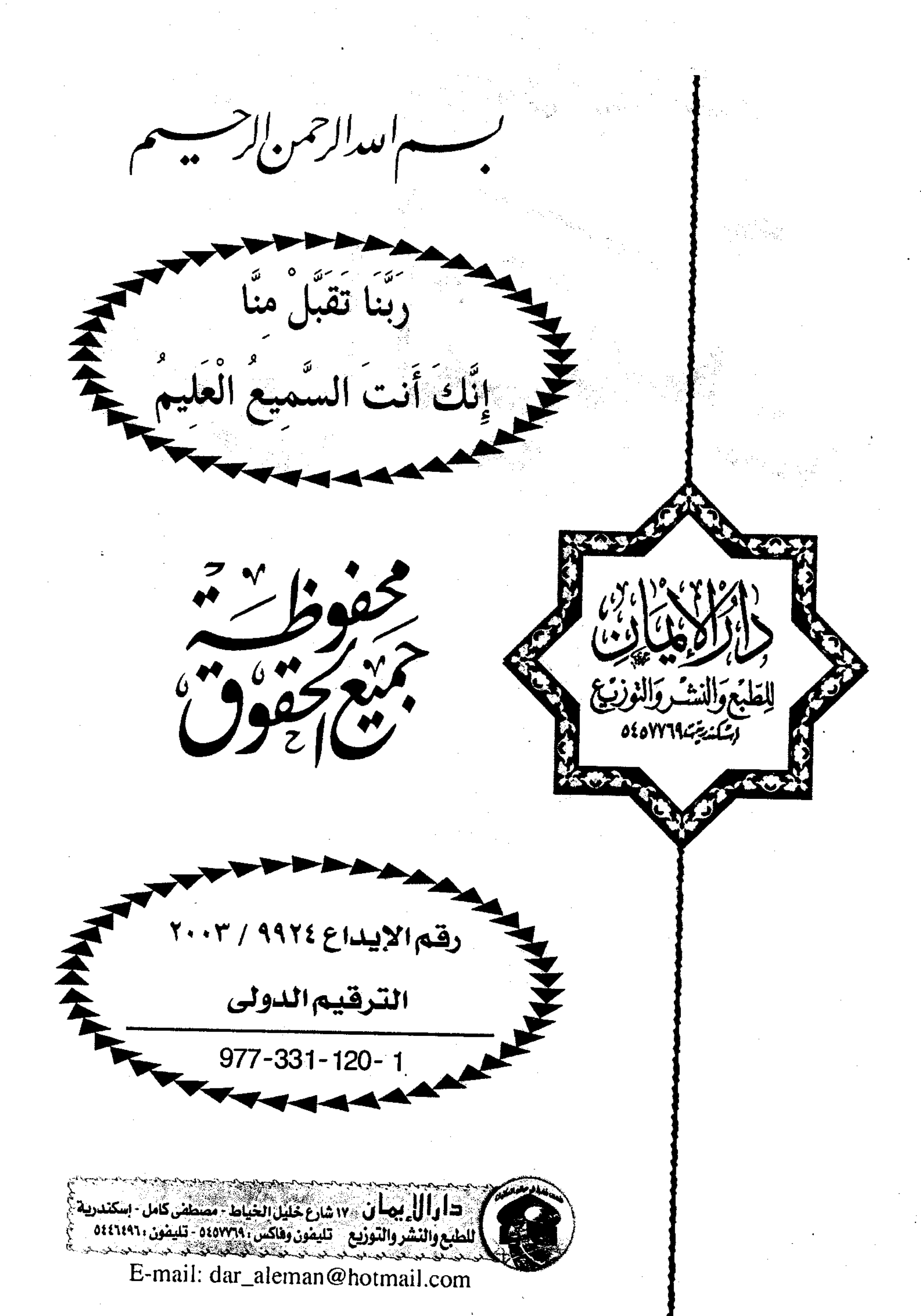
كبير تلامذته الدكتور

محمد عبد الرحمن غنيم

حفظه الله



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



رقم الإيداع ٩٩٢٤ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى

977-331-120-1

دار الإيمان ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس : ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون : ٥٤٤٦٤٩٦

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومَنْ تَبِعَهُ بإحْسَانٍ إلَى يوم الدين أصلُ هذا الكتاب أنَّ القاضي العمرانيَّ - حفظه الله - يستخدمُ طرقًا تربويةً شتَّى في إيصال العلم إلى طلبته ، ومنْ هذه الطُرُق التَّربويَّة « طريقة القَصَص » و « طَرِيقَة التَّخْفيف على النَّفس بشيءٍ من الهزل أو الفُكاهة » ، فكانَ كُلّما أَتَتْ مُنَاسبةٌ أَتَى بقصَّة أَو طريقَة تُخفِّفُ عن الطُلاب وتُثبِّت لهم مَا أُلْقي إليهِمْ من الجدِّ ، فكُنتُ أُسَجِّل هذه القصَص والطَّرائف والنَّوادر ، ومُعْظمُها يَمنيٌّ عايشَهُ القَاضي أَو طَالَعَهُ في كِتَابٍ أَوْ سمعه ، وكُنْتُ أستفسرُ عَنْ بعضِ ما يغمض عَليَّ وأُسجله ، ومن طبيعتي محبةُ الأدب واللطائف والنكات الأدبية ، فكنتُ دائمَ المُطالعة فِي كُتب الأدب ، وكنتُ أُقارنُ بصورةٍ تلقائيَّة بينَ ما يُلقيه إلينا القاضي مِنَ الفوائد الأَدبيَّة ، وما تَحْويه كتبُ الأَدب ، فكنتُ أجد أنَّ مُعظم مَا يورده القَاضي لا يُوجدُ في كتب الأَدَب المَعروفة ، ورُبَّمَا زَاد في طرافته وبهائه على مَا تُورده كتبُ الأدَب ، فرأيتُ أَنَّ تَضييع ما كتبته عن القاضي في ذَلكَ الشَّأْن هو منْ تَضييع العلْم والأدب ، فسأَلْتُ نفسي : مَا المانع من أَنْ يصنعَ مِنْ هذه المادَّة كتابٌ أَدبيٌّ مُشوِّقٌ لطيفٌ ، يُضَاف إلى تُراثنَا الأَدبيِّ العربيِّ ؟ وكان الجوابُ أَنَّهُ لا مانع بل هُناكَ دَافعٌ ، بَلْ دَوافعُ تُؤيِّدُ تحويل هذه المَادة إلى كتاب يُنتفع به هُواةُ ومُحبُّو العربية ، وابتدأتُ في تأْليفه ، وكانت أَكْبرُ الصعوبات هي أنَّ مُعْظم هذه اللطائف أُلْقيتْ بالعَاميَّة اليمنية ، فكيف أكْتبُها ، وكيفَ أَصوغُهَا ؟

إنْ كَتَبتُهَا بالعاميَّةِ ، فستكون هذهِ مُساعدةً ودعماً للعاميَّة ، وأَنا مِنْ أَنصارِ

الفُصْحَى الذين يعملون على إحْيَائها ، وإمَاتَة اللهجات العاميَّة أيّاً كَانت هذه العامية مصريةً أو شاميَّةً أو يمنيَّة ؟! ولو كتبتُهَا بالعربية الفُصْحى لتغيَّرت النكَاتُ واللَّطَائفُ ، وفَقَدَتْ طرَافتَها وظرَافتها ، وقديماً كُنْتُ أَحْفظُ مِنْ كُتُبِ الأَدَب : أَنَّ اللَّطيفةَ أو النادرة إذَا كَانَتْ عَاميَّة فغيَّرتَهَا فَقَدْ أَفْسَدْتَهَا ، ولا شكَّ أنِّي لا أُريدُ أَنْ أُفْسدَ هذه الطَّرَائف واللَّطَائفَ ، ونَاقَشْتُ بَعْضَ أَهْل العلْمِ والمُتأدِّبين في ذَلكَ ، فَلَمْ أَسْتقَرَّ عَلَى شَيْءٍ حتَّى هُديتُ - بعدَ زمنٍ ومعاناةٍ - إلَى طريقَةٍ وَسْطَى أَرْجو أَنْ تَكُونَ نَاجحَةً - والقَارئ العَزيز هو الحكَمُ ، وهي : أَنْ أَصُوغَ هذه اللَّطائفَ في عربيَّة فَصيحَة ، ولكن في أَسْهَلِ مَا يكونُ من الأَلْفَاظ والعبَارَات الَّتي ربَّمَا أَوْهَمَتْ القارئَ أَنَّها عَاميَّةٌ ، حتَّى إذَا دقَّقَ فيها لَمْ يَجدْ فيها مَغمزاً لُغَويّاً ، أي أَنَّها فُصْحَى مِنْ أَدْنَى مَا تكونُ الفُصْحَى ، وأَيْسر وأسهل عبَارةٍ يُمْكنُ سبكُهَا دونَ أَخْطَاءٍ لُغوية .

وفي بَعضِ الأَحْيَان رُبَّمَا استعرتُ لفظةً عَاميَّةً عنْدَ الضَّرُورة - والضروراتُ تُبيحُ المحْظُورَات - وذَلكَ إذا كانتْ النُّكْتَة أو اللَّطيفَة قَائمةً عَلَى اللَّفْظَة العاميَّة ، فهُنَا لا أستَطيعُ تَغْييرهَا أو استبْدَالهَا ؛ لأَنَّ اللَّطيفَةَ لَنْ تُفْهم أو لَنْ يكونَ لَهَا مَعْنًى ، فَحينئذٍ أَسْتَعيرُهَا عَلَى حيَاءٍ ووجَلٍ ، وربَّمَا وضَعتُها بيْنَ قوْسينِ أَوْ جئْتُ بها وباللَّفْظَة الفَصيحَة بيْنَ قَوْسَيْنِ كالتَّرجَمَة لَهَا أو التَّفْسير ، ولا شكَّ أَنَّ حكَايَةَ هذا الأَمْر ليس كَفعْله ، فقَد لقيْتُ في هذه الطَّريقَة صعُوبَاتٍ جَمَّةً كَادتْ أَنْ تصْرفَني عَن الإتْمَام ، وبخَاصَّة وسوقُ الأَدَب كَاسدَةٌ وسوقُ العي والرَّكَاكَة نَافقَةٌ ، فَتَذوَّقْتُ الأَمرَّين وتقلبتُ على الجنْبَيْنِ حتَّى لا أَعودَ بخفَّيْ حُنَيْن ، وكُنْتُ أَوَدُّ عزيزي القارئَ أَنْ أَحْكي لك تَجْرِبَتي هَذه كَاملةً مُفَصَّلَةً ، وليسَ مُرَادي أَنْ أَسْتَعْرضَ صبْري وَجَلَدي أمامكَ ، فَهذَا شَيْءٌ بيْني وبيْنَ الله

تعالى ، ولَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُفيدَ بهَذه التَّجربة والمُعَاناة الأدبيّة حتَّى تَكُونَ على بيِّنَةٍ منْهَا ، وتَكُونَ كالمعايش لي ، وهذا ممَا يزيدُ الصِّلَةَ بيْني وبيْنكَ - عزيزي القارئ - ، وربَّمَا استفدتُ منْكَ نصيحة ، أَعْمَلُ بها في طَبْعةٍ قادمة إنْ شَاءَ الله ، ولكنْ لا يتسعُ لي الوقتَ في أنْ أَحْكِي لَكَ ما أَشرتُ إليْه .

كَذَلكَ كَانَ بودي أَنْ أَكْتُبَ مُقدِّمةً مَبْسُوطَةً مُوسَّعةً عَنْ علْم الأَدَبِ عمُومًا ، والجَانبَ القَصَصي خُصوصًا ؛ حتَّى أُبيِّنَ لَكَ بالبُرْهَان أنَّ القَصص جُنْدٌ مِنْ جُنْد الله - كما قَالَ بَعْضُ السَّلف - وأَسوقُ لك الآيَاتَ والأَحَاديثَ والآثار والحكَايات في قدرِ وقيمَة هَذَا الفنِّ الأَدَبي ، وأَردُّ على غيْرِ المُتَأدبينَ في إنْكَارهم شَغْلُ الوقْت بهذا واعْتباره منَ المُنْكَرَات !! ولكن - للأسف الشَّديد - لا يتَّسع الوَقْت لهذا وأَنْتَ ترى عَزيزي القارئ أنَّ الكتابَ قَدْ تضخَّمَ حتَّى شَارَفَ أَنْ يَخْرُج مِنْ مُجلد إلى مُجَلَّدَيْنِ ، ولَيْسَ كُلُّ مَا يتَمنَّاه المَرْءُ يُدْرِكُهُ . فرُبَّما استدركنا هذا فيمَا بعْدُ إنْ شاءَ الله .

وقبل أَنْ أَخْتمَ هذه المُقدِّمة أُحبُّ أَنْ أُشير إلى أَنْ أَيّ عبارَةٍ أَو بقْعةٍ أَو بلد لم أُنص على حَقيقتها أو مَعْناها أو مَكَانهَا لظهورٍ أو لسهوٍ أو لغفلة ، فالأصلُ فيهَا أَنَّها يمنيَّةٌ ؛ لأَنَّ ولادة هذَا الكتَاب كَانَتْ عَلى التُّرَاب اليمنيِّ ، فحيًّا اللهُ اليَمنَ وأَهْلهَا ، وعَاشت اليمنُ سَعيدَةً حَاضنَةً للإيمانِ والحكمةِ ، والحمدُ لله ربِّ العالمَين

كتبه

محمد غنيم

القاضي العمراني أديبًا ظريفًا



ربَّما يستَغْرب بَعْض القُرَّاء هذا العنوان ، فإنَّهم لا يَعرِفُونَ العالِمَ إلاَّ مُتَجهِّمًا سَكيتًا زميتًا ، ويظنونَ أنَّ التَّجهُّمَ ووعورةَ الخُلق مِنْ صفات العالِم المُلازمة لَهُ ، وأنَّ العَالم إذا كان أديبًا ظَريفًا طيِّبَ المُفاكهة لَطيفَ المُعاشرَة ، فإنَّهُ قَدْ أخلَّ بوقارِ العلْم وجلالة العُلَمَاء ، وهذَا الأخير لا شكَّ عندي أنَّه رأيٌ خاطئٌ ، وفَهْمٌ قَاصرٌ يدُلُّ على عدم فهم لمُهمَّة العالِم ، وعَدَمِ نظرٍ في أَحْوال السَّلَف من العُلَمَاء والفضلاء ، بَلْ على عدم دراية بِسُنَّة النَّبي ﷺ وهديه في مُعَامَلَة النَّاس ومُداراتِهِمْ ..

فقد رُوي عن الزهْري – وهو من أكَابر الحفَّاظ والعُلَمَاء – أنَّهُ كَانَ يقول: « هاتُوا مِنْ أَشْعَارِكُمْ ، هَاتُوا مِن طُرَفِكُمْ ، أَفيضوا في بَعْض مَا يخفُ عَلَيْكم وتأْنَس به طِبَاعُكُم » .

ورُوي عن سفيان بن عُيينة ، قال : « أتينا مرة مُسْعر بن كدام ، فوجدناهُ يُصلِّي ، فأَطَالَ الصَّلاةَ جدّاً ، ثُمَّ التفَتَ إِلَيْنَا مُبْتسماً ، فأَنْشَدَنَا :

أَلا تلْكَ عـــزَّةَ قَـــدْ أَقْـــبَلَتْ ... تَرْفَعُ نَحْـوي طَرفًـا غَـضـيـضًـا

تَقُـولُ : مَـرِضْنَا فَـمَـا عُـدْتَنَا ! ... وَكَـيْـفَ يَعُـودُ مَـرِيضٌ مَـرِيضًـا!

قال (أي سفيان) : فقلت : رَحِمَكَ اللهُ ، بَعْدَ هذه الصَّلاة هذه ؟! ، قال : نعَم ، مرَّةً هكذا ، ومرَّة هكذا » .

ورُوي عن شعبة – وهو من أئمَّة رِجَال الحَديث حفظًا وتثبُّتًا ، ورواية ودرايةً– روي عنهُ أنَّهُ كان يُحَدِّثُ النَّاسَ ، فإذَا تلمح أبَا زَيْدٍ النَّحَوي في أُخْرَيَاتِ

النَّاس ، قَالَ أَبَا زَيْد :

اسْتَعْجَمْتَ دَارَ نعمٍ مَا تكلَّمنَا والدَّارُ لَوْ كَلَّمَتْنَا ذَاتَ أَخْبَارِ

بل وردَ عَنْ بكرِ بن عَبْد الله المُزني قال : « كَانَ أَصْحَابُ رَسول الله ﷺ يَتَمَازَحُونَ ويتَبَادَحُونَ بالبطِّيخ (أي يترَامُونَ بِهِ) فإذَا كَانت الحقَائق كَانوا هُمُ الرِّجَال » (١) .

بَلْ وَرَدَ عَنْ رَسولِ الله ﷺ منَ المُطَايبة والمُفاكهة مَعَ أَصْحابه وأَزْواجه ، ما يَدُلُّ عَلَى أنَّ هَدْيَ النَّبيِّ تَطْييبُ النُّفُوس ومُبَاسَطتَهَا بشَيْءٍ منَ المُمَازحة والمُلاطفة ؛ لتَكُونَ أَنْشطَ لقبُولِ ما يُلْقَى إليْهَا منَ الحَقِّ .

وشيخنَا القَاضي محمد - حفظه الله - سار على هذا الدَّرب ، فَمَا تَجْلس في مَجْلسٍ منْ مجالسه إلاَّ وَقَدْ خَرَجْت مَسْرورَ النَّفْسِ مرتاحَ القَلْبِ منْ كَثْرة لطَائفه ونكَاته وحكَايَاته الَّتي تَدُلُّ عَلَى تواضُعه وسَلامَة صدْره ، وطيبَ قَلْبه وسعَةَاطِّلاعه ، وتُذَكِّرني مجالسَ القَاضي مُحَمَّد - حَفظَهُ اللهُ - بمَجَالسِ الإمَام الشعبي ، فإنَّ هذَا الإمام كَانَ مُغْرمًا كَشيخنَا بالنكْتَة اللطيفة ، والنَّادرَة الخفيفة ، وقَد امْتَلأَتْ كُتب الأَدَب والنَّوادر بحكَاياته ولطَائفه .

فَمما يُحكَى عَنْهُ - رَحمَهُ اللهُ - أَنَّهُ لَقيَهُ رَجُلٌ ، وهو واقفٌ مَعَ امرأَته يُكلِّمُها ، فقال الرَّجُل : أَيكُمَا الشَّعبي ؟ فأَوْمأَ الشَّعبي إلى المَرْأَة ، وقال : هذه وسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ المَسْحِ عَلَى اللحيَة في الوضوء ، فقَالَ : خَلِّلها بأَصَابعكَ ، فَقَالَ : أَخَافُ أن لا تبلَّهَا ، قال : فانقعهَا منْ أَوَّل الليل . وجَاءَ رجلٌ إلَى الشَّعبي ، فقال (أي الرَّجُل) : اكتريْتُ حمَارًا بنصْف درْهَمٍ ، وجئتُكَ

(١) أورده الشيخ الألباني - رحمه الله - في « السلسلة الصحيحة » .

لِتُحَدِّثَني ، فقال له : اكتر بالنِّصْفِ الآخَرِ ، وارْجِعْ ، فَمَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثك .

وقيل للشعبي : هَلْ تَمْرَض الروحُ ؟ قال : نعم ، مَنْ ظِلِّ الثُّقَلاءِ .

وَدَخَلَ الشَّعْبِي الحمام ، فَرأَى دَاود الأَوْدي بلا مئزر ، فَغَمَّضَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ دَاود : متى عَمِيتَ يا أَبَا عَمْرو ؟ قال : مُنْذُ هَتَكَ اللهُ سِتْرَكَ .

ولذلك رأَيْتُ أَنَّ مِنْ تَمَامِ الكَلامِ عَلَى شَخْصِيَّةِ القَاضِي مُحَمَّد- حَفظَه اللهُ - الكَلام عَلَى هَذه الخَصْلَة الَّتِي هِيَ مِنْ أَبْرَز خِصَاله ، والَّتِي كَانَتْ مِنْ أَسْبَاب تَوْسِيع مكانته في القُلوب ، وجعلَتْهُ مِنْ أُدَباء وظُرَفَاء العَصرِ الَّذين لَهم قُدْرَةٌ عَلَى ابْتِكَارِ النُكْتَة ، وسُرْعَة بديهَة ، تُمكنه مِنَ الاستفَادَة مِنَ المَوَاقف والخروج مِنَ المَآزِق ، وهذه الخصلة اكتَسَبَهَا القَاضِي مُحمَّد مِنْ كَثْرَةِ المُطَالَعة في كُتبِ الأَدَبِ ، فَهو يَنقل مِنْهَا كَثيراً عِنْدَ المُنَاسبة ، وأَيْضًا مُعَاشَرَة القَاضي مُحمَّد للنَّاس ، واختلاطه بِهِم فِي أَفراحهم وأَتْراحهم وسَّعَ عِنْدَهُ هَذه الدائرة ، واعْتِقَادِي أَنَّ السَّبَبَ الأَسَاسي هو طَبِيعة يجعَلها اللهُ في بَعْضِ خَلْقه ، وموهبَة يَمْنَحُهَا اللهُ لبَعْضِ عباده ؛ لأنَّ الأَسباب المُتَقَدِّمَة قد تَتَوافَر لبَعْضِ النَّاس ، ولا يَتَمَكَّنونَ مِنْ أَنْ يَكُونوا أُدباء ظُرفاء ، وذلك لأَنَّهم يَفتقدون المَوْهبَة ، وهي الرُكْنُ الأَسَاسي ، ومن أَجْلِ هَذا اخْتَرْتُ مَجْموعةً مِنْ طُرَف ولطَائف وأَدَبِيَّات القَاضي مُحمَّد ، وذَلِكَ لِيَسْتَفيدَ منها القَارئ ، وبخاصة مَنْ كَانَ مُدَرِّسًا ، فَيَعْرِف كَيْفَ يُحبِّبُ طَلَبتَهُ فيه ، وفي الفنِّ الَّذي يُدَرِّسه لهم ، لأُدَلِّل عَلَى كَوْنِ القاضي موهوبًا بهذ الهِبَة ، وثالثة وهي حفظ هَذه اللَّطائف مِنَ الضَّيَاعِ ، فَإِنَّ مُعظمها جديد لَيْسَ موجوداً فِي كُتُبِ الأَدَبِ والطَّرائف ، فهاك هذه الهديَّة :

﴿١﴾ قصتك غريبة يا حاج علي!

هَذَا مَثلٌ يضربهُ القاضي لمن يَسْأَلُ عَنْ شَيءٍ قَدْ تكرر ذِكْرُهُ أَمامَهُ .

وأَصْله - كما يحْكي القاضي العَمرانيّ [١] - : أَنَّ رجلاًمِنْ أَهْلِ صنْعَاءَ كانَ يُنَاديه النَّاسُ بعَلِي أَفندي ، وكان هُناك رجلٌ منْ دون النَّاس يناديه بالحاجِّ علَي ، وكَانَ يَضيق بِهَذَا ، وفي يومٍ مِنَ الأَيَّامِ ناداهُ بالحاجِّ عَلِي ، فقَال علِي أَفندي : يَا أَخِي .. يا حاجّ عَلِي .. يا حاج عَلِي اسمَعْ يا أَخي عنْدَمَا كُنْتُ صَغيراً كَان النَّاسُ يدْعونني « علّي » ، وعندما كبرتُ وذَهَبْتُ إِلَى الحجِّ ، أَخَذُوا يدعونني « بالحاجِّ عَلي » ، وعندمَا ذَهَبْتُ عنْدَ الخليفةَ العُثْمَاني في اسطنبول ، أصبح لقَبي « عَلي أفنْدي » ، فلا تدعوني إلاَّ يا عَلي أفنْدي .. أفهمت ؟ فقال صاحبه : والله قصتك غريبة قوي يا حاج علي .. [٢] !! .

---

(١) ذكر هذا المثل زيد عنان في « اللهجة اليمانيّة » (١١٧) بقصّة مُختلفة تحت عنوان « والله إنَّ قصتكم عجيبة يا حجّ أحمد » قال : « أصل ذلك أنَّ شخصاً كان له صاحب ملازم له ويناديه (يا حجّ أحمد) ، وكل مرة يقول : اسمي علي ، فأنا الحاج علي لا الحاج أحمد ، وهكذا كل يوم ، فقصّ عليه قصة ، قال : إنّ أبي من التجّار الكبار وكان يسأل الله أن يرزقه ولداً يسميه عليّ تبركاً باسم عليّ بن أبي طالب ﷺ ، فاستجاب الله دعاءه ، وولد له ولد ، وعمل ضيافة للأمراء والتجّار ، وقال لهم : الحمد لله ، لقد استجاب الله دعائي ورزقني اليوم مولوداً ذكر فسميته عليّ ، فأنا اسمي الحاج علي ، قال : والله إنّ قصتكم عجيبة يا حج أحمد » المرحوم العزي صالح السنيدار ، والأخ المرحوم أحمد المطاع . أ. هـ .

(٢) وعكس ذلك ما طالعته في كتاب « ذكريات لا مذكّرات » (١٤-١٥) للأديب المصري ثروت أباظة وهو يتحدّث عن معلّمه الأول ، قال : « .. إنَّه الأستاذ أحمد حسين القرعيش ، الّذي أصبح الحاج أحمد حسين القرعيش ، وقد كان لحمله هذا اللقب قصّة في غاية الطّرافة ، فقد كانوا ينادونه بأحمد أفندي ؛ لأنّه كان يلبس الحلّة والطربوش ، وهو في طريقه إلى المدرسة الإلزاميّة الّتي كان يدرّس بها ، فقد كان يعمل بمدارس قرى أخرى ، وكان يخترق قرى عديدة ، فكان لابد أن يلبس حلته كاملة والطّربوش ، فلم يكن عجيباً أن ينادوه بأحمد أفندي ، وظلّ هذا لقبه حتّى بعد أن نقل إلى مدرسة غزالة (وهي قرية ثروت أباظة) ، فقد ظلّ يلبس حلته كاملة في المدارس إطاعة منه لأوامر الوزارة ، ثمّ حجّ وعاد من الأراضي الحجازيّة ، وراح أهل القرية ينادونه بأحمد أفندي على عادتهم ، فإذا هو يصيح بهم : « يا نهار أسود ، أكنت حججت ودفعت مائة جنيه (وهي تكلفة الحج في تلك الأيام) وزيادة لتقولوا : أحمد أفندي .. من لا يقول الحاج أحمد ، لن أرد عليه ...! » .

• **قُلتُ** : ومما يُناسب ذلك ما حكاهُ لي بَعْضُ الطَّلبة بالجَامعة الإسْلاميَّة بالمدينَة أنَّ مُدرسًا تعاقدَ مَعَ الجَامعة الإسْلاميَّة ، وجَاءَ لِمُقابلة مُدير الجَامعة ، ففي أثْناء الكلامِ حَلَفَ بالنَّبي ، فقَالَ : والنَّبي كذا وكذا ، فأَنْكَرَ عَلَيْه مُدير الجامعَة ، وذَكَرَ لَهُ حَديثَ النَّبي ﷺ : « **مَنْ حلف بغير الله فقدْ أشْركَ** »[1] ، فَتَأَسَّفَ الأُستاذ ، واعتذرَ ، وظلَّت في نَفْسه ، وخشي أن يَلْغي مُدير الجامعة عقدَهُ ، فانتهز أوَّلَ فُرْصَة للقائه – وكَانت عِنْدَ الكعبة – فقال له : والنَّبي ما قصدتُ أَحْلفُ بالنَّبي .. فقال المُدير : مرة ثانية .. ؟! .

ومن شجون هَذَا الحَديث – والحديثُ ذُو شُجون – مَا ذَكَرَهُ ابنُ الجَوْزي في « أَخْبارِ الظُّراف والمُتَمَاجنينَ » (٢٠٣ – ٢٠٤) قال : « قدِّم قومٌ غَريماً لَهُم إلَى الحَاكِم ، فادَّعوا عَلَيْه فقَالَ : صَدَقُوا ، إلاَّ أنِّي سَأَلْتُهُم أَن يؤخِروني؛ حتَّى أَبيع عقَاري وأَدْفعُ إلَيْهم ، فإنَّ لي مالاً وعقَاراً ورقيقًا وإبلاً ، فقالوا : كَذبَ ، مَا يمْلكُ شيْئًا ، إنَّما يريدُ دفْعنا عن نَفْسه ، فقال : أيُّهَا القَاضي ، اشهد لي عَلَيْهم ، فعَدَمَهُ (أَي حكمَ بأنَّهُ مُعْدَمٌ) ، ثُمَّ قَال لخصومه : قدْ عَدَمْتُهُ . فأُرْكبَ حمَاراً ، ونودي عَلَيْه : هَذَا مُعْدَمٌ ، فَلا يُعامله أحدٌ إلا بالنَّقْد . فَلمَّا كَانَ العَشاء ، تركَ عن الحمَار ، فقَالَ لَهُ المَكاري (صَاحبُ الحمَار) : هَات أُجْرَةَ الحمَار . قَالَ : ففيمَ كُنَّا مذ الغداة ؟! » .



(١) قال الإمام الشوكاني في « الدراري المضيّة » (٣٤٨/٢) : « .. وأخرج أبو داود والترمذي وحسّنه والحاكم وصححه عن النبيّ ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد كفر** » وفي لفظ « **فقد أشرك** » وهو عند أحمد من هذا الوجه ، وفي لفظ للترمذي والحاكم : « **فقد كفر وأشرك** » وفي الباب أحاديث » .
وراجع « الزواجر عن اقتراف الكبائر » لابن حجر الهيتمي (٢٩٩/٢) .

﴿٢﴾ بيع الخل !

وَهَذَا مثلٌ يَضربه القاضي العمرانيّ لِمَنْ يُقَاطِعهُ في الفتْوى أو الكلام .

وَقصَّةُ هَذَا المَثَلُ أنَّ نصر الدِّين جُحَا كان يَحْملُ الخَلَّ عَلَى حمَارٍ ويبيعه ، فَكَانَ كُلَّمَا دَخلَ الشَوارِعَ والحَارَات ، فَيَقُول : الخَلُّ الطَّيِّبَ مَنْ يريدُ الخَلَّ الطَّيِّبَ ؟ فكَانَ كُلَّمَا نادَى ببَيْعِ الخَلِّ نَهق حِمَارُهُ ، وكُلَمَا سَكَتَ سَكَتَ الحمَار ، وفِي النِّهَايَة انزعجَ جُحا ، وقال : مَنِ الَّذي يَبيعُ الخَلَّ أَنا أمْ أَنْتَ ؟ اذْهَبْ بعْ الخَلَّ أَنْتَ .. وتركَ جحا الحمارَ وذَهَبَ ! .

● **قُلتُ** : وبَعْضُ الأَحْيان إذَا زادت المُقاطَعَة لشيْخنَا العمْرَاني ، وكانت منْ شخصٍ غَريب ، فيقولُ القَاضي : هَذَا خَلٌ طوري ، والخَلُّ الطوري – عند أهْلِ صنْعَاءَ – يَقْصَدُ به الخَلُّ الخارجي ، أي غَير البلَدي ، ولَيْس منْ صُنْعِ أَهلِ صنْعَاء ، وهو يبَاعُ في الأسواق ، ومنه ما لونُهُ أَبْيَض ، ومنْهُ ما لَوْنُهُ أَحْمر ، وحموضته شديدةٌ أَشَدُّ منْ حمُوضَةِ الخَلِّ البَلَدي .



﴿٣﴾ لا يسلم الشرف الرفيع!

يحكي (١) القاضي العمرانيّ أنَّ المَهْدي (٢) عبد الله أحدُ أئمَّة اليَمَن كَانَ بطَّاشًا مُتَعَجِّلاً في سَفْك الدِّمَاء يرتَعِدُ مِنْهُ النَّاسُ ، وفي يومٍ من الأَيَّامِ مَرَّ بصَنْعَاء القَديمَة رَاكبًا عَلَى فَرَسِه ، وعَلَيْه اللِّبَاس الغالي ، وحوله الوزراء والدواشين ، وكَانَت الأَيَامُ أيَّام عيدَ الأَضحى ، فَسقطَتْ مِنْ إحْدَى البيوت حاجيَّات الكَبْشِ والدِّمَاء والأوسَاخ على المَهْديِّ عبد الله ، فَبُهتَ الوزَرَاءُ والحاشية من المُفاجَأة ، وَتوقَّعُوا أنْ يأْمُرَ المَهْدي بِقَطْعِ رأْسِ الرَّجُلِ صَاحِبَ البَيْتِ ، ولم يَدْرُوا مَاذا يَصْنَعونَ ؟

فَمَا كَانَ مِنَ الدُوشَانِ إلاَّ أَنْ أَنْشَدَ بيّتَ المُتَنبي (٣) :

---

(١) يحكي العلامة المؤرخ مُحمّد بن علي الأكوع هذه الحكاية بصورة مُغايرة في مقدّمته لكتاب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » للعصامي (٢٨-٢٩) يقول : « .. ومما يدل على أدبه (أي المهدي عبد الله) أنّ مرة من المرات مرّ بأحد أزقّة شوارع صنعاء ، فلم يشعر إلاّ وقد أهريق إلى الشارع ماءٍ قذرٍ ، فوقع على الإمام بدونِ شعور أهل المنزِل ، فأنشدِ في الحالِ قولِ المتنبي :

لا يسلَم الشّرف الرّفيع من الأذى حتّى يراق على جوانبه الدم

ثُمَّ مرَّ بسلامٍ ، ولم يمسّ أهلَ المَنزل بأذى ، حدَّثني بالأخير أستاذنا وأخينا (هَكذَا ، والصّواب : أخونا) العلاّمة عبد الله بن أحمد بن عبد الرزاق الرقيحي - رحمه الله - رحمة واسعة عن آبائه وأجداده ..» أ. هـ .

قلت : والظّاهر ما حكاه شيخنا القاضي العمراني - حفظه الله - .

(٢) المهدّي عبد الله بن أحمدالمتوكّل ابن علي المنصور : ولد في سنة ١٢٠٨ هـ ، ونشأ بحجر الإمامة في أيّام جده ثمّ في أيّام أبيه ، تولّى الإمامة في اليمن سنة ١٢٣١هـ ، بعد وفاة والده المتوكل أحمد ، وبايعه الشوكاني والعلماء والأمراء ، قال الشجني : كان لا يعرف منذ نشأ إلاّ السيف والسنان ، ولا يأنس إلا إلى الضرب والطعان ، وقال زبارة : ولصاحب التّرجمة فتكات كثيرة مشهورة ، وكان لا يبالي بالعواقب ، فدان له اليمن وأهله رغبة ورهبة ، وقد جمع له السيّد يحيى بن المطهر بن إسماعيل سيرة سمّاها « العنبر الهندي في سيرة الإمام المهدي » ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥١هـ ، راجع ترجمته في « البدر الطّالع » (٣٧٦/١- ٣٧٧) ، و«نيل الوطر» (٦٤/٢-٦٦) و« المقتطف من تاريخ اليمن » للجرافي (٢٦١-٢٦٤) ، و« الموسوعة اليمنيّة » (٦١٦/٢) .

(٣) **الدوشان** : هو شاعر القبيلة في اليمن وحافظ أنسابها ومحمّسها ومهيجّها في الحروب والسفير بينها وبين القبائل الأخرى ومادح الكرماء ، والدوشان ينتمي بحسب العرف القبلي إلى طائفة تدعى

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ مِنَ الأَذَى   حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِه الدمُ [١]

فضحكَ المَهْديُّ عبدُ الله ، وضَجَّ الوزرَاءُ إعْجَابًا ببَديهةِ الدوشان ، وأَلْقى كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم ما في يَدِه مِنَ مَالٍ عَلَى الدوشان ، فَمِنْهُمْ مَن أَلْقَى إِلَيْه خَاتَمهُ ، ومنهم من ألقى إليه الفرانصي [٢] ومِنْهُمْ مَنْ أَلْقَى إِلَيْه الجنيبة ، حامدِينَ لَهُ إخْرَاجِهم مِنْ هَذا المَوقف المُحرِج .



ب(بني الخمس) تشمل المزيّن والجزار والحمامي والقشّام ، ويُنظر إليها من القبائل نظرة نقص طبقيّة ، إلاّ أنّ الدوشان أحسن هذه الطّائفة حالاً وعطاء ، وكان الدوشان قديمًا يحفظ الشّعر الكثير حتّى يكون بعض الدواشين حافظًا لديوان المتنبي ، وبعد ثورة ١٩٦٢م اندّمج معظم هذه الفئات في المجتمع اليمني ودخلوا في الوظائف ، وقلّ التّميز الطّبقي ضدّهم . راجع « البنية القبليّة في اليمن » (٢٣٨-٢٤٤) ، و« الموسوعة اليمنيّة » (٤٤٦/١-٤٤٧) ، ومن لطائف الدواشين أنّ دوشانًا تسابّ هو وأناس ، فعيّروه بكونه دوشانًا ، فقال : كلمة « دوشان » أصلها : «ذو شأن » فخففت إلى « دوشان » !! .

• **المتنبى** : هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي ، الشاعر الحكيم وخاتم ثلاثة شعراء ، وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء ، وهو من سلالة عربية ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ ، لحق بسيف الدّولة الحمداني ، فمدحه بما خلّد اسمه أبد الدّهر ، وتعلّم منه الفروسيّة وحضر معه وقائعه العظيمة مع الروم حتّى عدّ من أبطال القتال ، قتل - رحمه الله - سنة ٣٥٤ هـ . راجع « جواهر الأدب » (٣٢٦/٢-٣٢٧) .

(١) قال الصّاحب ابن عباد في « أمثال المتنبي » (٩٥) : « المعنى : لا يسلم للشريف شرفه إلاّ بقتل أعدائه وحسّاده ، فإن فعل صار مهيبا يتحامون أذاه ، ويخشون عقباه ، ولو لم يقل أبو الطيّب سوى هذا البيت ، لكان من المجيدين ، فهو من بوالغ الحكم كما نقل عن أبي الفتح » .

(٢) كانت الوحدة النقديّة المستعملة في اليمن في التّعامل الرّسمي والتجاري هي ريال (ماريا تريزا) النمساوي الفضيّ ، وكان يدعى عمومًا « ريال فرانصي » ، وقد ظلّ التّعامل به وتداوله مستمرًا في اليمن ، وفي أنحاء أخرى من الجزيرة العربية في المعاملات الرّسميّة والتّجاريّة حتّى صدور العملة الورقيّة في سنة ١٩٦٤ م . راجع « الموسوعة اليمنيّة » (٩٦٨/٢) .

﴿ ٤ ﴾ حمل العمامة أهون من حمل أمامة

يَحْكِي القَاضِي العمراني أنَّ القَاضِي مُحمَّد بن عَلِيّ الشوكاني - رحمه الله - كَانَ يُصلِّي في مَدِينَة (ذمار) فَسقطتْ عِمَامته ، فحملَهَا وهو في الصَّلاة ، وأَعَادها على رَأْسه ، وكَانَ هُناك أَعْرابيٌّ يراهُ ، فقال : يا شوكانيّ ، هذه لَمْ تَعُدْ صَلاة ، هَذا لَعِبٌ . فقال الشّوْكانيّ : حَمْلُ العمامة أَهْون مِنْ حَمْلِ أُمامة (يُشير إِلَى الحَديث النَّبوي [١] الَّذي فِيه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ حمل أُمَامَةَ بنتَ ابنته في الصَّلاة) وهذه مِنَ الأَجْوبَة المُسْكِتَة ، فَرَحِمَ اللهُ الشوكانيّ ! .

﴿ ٥ ﴾ سمع الله لمَن خدره

يحكي القاضي العمراني أنَّ رجُلاً تزوَّج امرأتين إِحْداهُمَا كانتْ مِنْ قَرْيَة (حَمده) [٢] ، وهي تابعةٌ لقبيلة (بكيل ، والأُخْرَى كانتْ من قريَة (خدره) تابعةٌ لقبيلة (حَاشد) ، وكَانتْ كُلُّ واحدة تَغارُ منَ الأُخْرَى ، فَقالتْ المَرْأَةُ الَّتي مِنْ (خدره : أَنْتَ تُحب زوّجتك الأُخْرى أَكْثر مِنِّي ، فقال الرَّجل كَيْفَ ؟ قالت : تذكُرَهَا دَائمًا في صلاتك ، قال : في أي مَوْضعٍ ؟ قالتْ : عِنْدما تَرفع من الركوعِ تقول دائمًا : سَمِعَ اللهُ لِمَن (حَمِدَهْ) ، فلماذا لا تَقول : سمِعَ اللهُ لِمَنْ (خدره) ؟! .

---

(١) عن أبي قتادة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ كان يُصلِّي وهو حامل أمامة بنت زينب ، فإذا ركع وضعها ، وإذا قام حملها ، متَّفق عليه ، وفي رواية للبخاري عن مالك ﷺ : « فإذا سجد » ، وفي رواية لأبي داود : « حتَّى إذا أراد أن يركع أخذها فوضعها ، ثمَّ ركع وسجد حتى إذا فرغ من سجوده وقام أخذها فردَّها في مكانها » . راجع « فتح الغفار » للرباعي (١/١٥٩) .

(٢) قرية كبيرة ذُكِرت في النقوش اليمنيّة ، ومازالت حتَّى اليوم تحمل الاسم نفسه ، وتقع في ناحية عيال يزيد من محافظة صنعاء ، وتبعد عن مدينة ريدة حوالي ٩ كيلو مترات باتجاه الشمال ، وهي قرية الرئيس اليمني السابق إبراهيم الحمدي . راجع « الموسوعة اليمنيّة » (١/٤٢٠) .

● **قلت** : ومما يُناسب هذا مَا ورَدَ في مجلَّة (مساء) [1] (عدد : ٧ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ) عن أحد القُرَّاء من اليمن ، قالَ : لي ثلاثةَ أخوة : مُحمَّد وَإبْراهيم وإسماَعيل ، وذات يَوْم كَانَتْ أُمِّي تُصلِّي ، وفي التَّشهُد الأَخير، كانتْ تَقُولُ بِصوْتٍ مسمُوعٍ قَليلاً : اللهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّد .. كما صلَّيْتَ على إبراهيم .. إلى آخر الدُّعاء ، فبَعْدَ أنْ سَلَّمَتْ جَاءَ إسْماعيلُ يبْكي ، ويَقولُ : ماما .. وإسْماعيلُ ؟ ليش مُحَمَّد وإبراهيم بس ؟ ألستُ ولدُك أيضاً ؟ .

وذَكَرَتْ إحْدَى القَارِئَات مِنْ جدَّة ـ في نَفسِ العَدد – قالت : لَدَيَّ بِنْتٌ اسمُهَا (غفران) ، وطفلٌ اسمُهُ (الوليد) وذَاتَ يَوْمٍ سَأَلَتْني ابنَتي (غُفْرَان) عَنِ الدُّعَاء الذي نَقُولُه بَعدَ الخُروجِ مِنْ دَوْرَةِ المِيَاه ، فقُلتُ : غُفْرَانك ، قالت : وعندَ الدُّخُول ؟ فقُلتُ لها الدُّعَاء ... فَقَفزَ ابني (الوليد) وقال : لا ... لازم نقول : وليدك .. ليش في الأوَّل غُفْرانك ؟!! .

على مذهب الطَّبْنَجَة !

هَذَا مَثَلٌ يَضْربُهُ القَاضِي لِمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مُكرهاً عَلَيه ، فَيَقُول: فَعَلَهُ عَلَى مَذْهَبِ الطَّبْنْجَة (والطَّبْنْجة معناها البندق العربيَّة القديمة) .

يحكي القَاضِي أنَّ رَجُلاً شَرِبَ خمراً فَسَكَرَ ، وأمسَكَ بغُلامٍ أَمْرَدَ ، وذَهَبَ إِلَى أَحَد الشيوخ ، وقال : اعقد لي عَلَى هذَا الوَلَد ، فقال : كَيْفَ هذا ؟ لا يجوز ! فَأَخْرَجَ السكْرَانُ الطَّبْنْجَةَ ، وهَمَّ بقَتْله ، ثُمَّ تَرَكَهُ وذَهَبَ إلى شَيْخٍ آخر وفي يده الطَّبَنجة ، فَقَالَ لَهُ : اعقدْ لي عَلَى هذَا الغُلام وإلاَّ فأَنْتَ ترَى

---

(١) وهو مُلحق يصدر مع مجلّة « الأسرة » السعوديّة .

الطَّبَنجة، فقال الشيخ : مُدَّ يدَكَ ، بسم الله .. وأَوْهَمَهُ بالعَقْد ، فَخَرَجَ السَّكْرانُ وهو يقول قَدْ عَقَدَ لي الشَّيْخُ عَلَى هَذَا الوَلَد ، فدخلَ رجلٌ على الشَّيْخ ، وقال له : على أي مَذْهَبٍ عَقَدْتَ لَهُ ؟! فَقَالَ الشَّيْخُ : عَلَى مَذْهَبِ الطَّبْنجَة . فصارَتْ مَثَلاً ! .

وهذا مُطَابقٌ لقَوْل الشَّاعر أبو العلاء المعري :

حَكوا بَاطلاً وَانتَضوا صَارمًا وقَالُوا : صَدَقْنَا ، فَقُلْنَا : نَعَمْ

● **قلت** : ومِمَّا يُنَاسب هَذَا ما ورد في كتَاب « نفحة اليَمَن » (٦٤) :

« قيلَ اصطحب أَسَدٌ وثَعلب وذئب ، فَخَرَجُوا يصيدونَ ، فصَادوا حمَارًا وظَبْيًا وأَرْنبًا ، فقال الأَسدُ : للذئب اقسمْ بيننا صَيْدَنا ، فقال : الحمَارُ لَكَ ، والأَرْنب للثعْلَب ، والظَبي لي ، فَخَلبهُ الأَسَدُ ، فَأَخْرَجَ عينهُ ، فقال الثعْلَب : قَاتلَهُ اللهُ ! مَا أَجْهَلَهُ بالقسْمَة ! ، فقالَ الأَسدُ : هات أَنْتَ يا أَبَا مُعَاوية ، فاقسمْ ، فقال : يَا أَبا الحَارث ، الأَمرُ أَوْضحُ منْ ذَلكَ ، الحمار لغدائكَ والظَّبْيُ لعشائكَ وتخلَّل بالأَرْنَب فيمَا بَينَ ذَلكَ ، فقَالَ الأَسدُ : قَاتلكَ اللهُ ، مَا أَقضاكَ ! منْ أَيْنَ تَعلَّمْتَ هَذا ؟ قال الثَّعْلب : منْ عَيْنِ الذئب .



﴿٧﴾ صاحب مسجد الفليحي وعبده الذكي

يحكي القاضي العمراني أنَّ الَّذي بنى مسجد الفليحي [١] بصنعاءَ القديمةَ كانَ رَجُلاً صالحًا يدْعَى الشيخ أحمد الفليحي ، فأَوصَى ببنَاية المسجدَ بعْدَ موته مِنْ تركَته ، وفي يومٍ منَ الأيَّام كَانَ الحَاجّ أحمد الفليحي سَائرًا معَ عبْدٍ ذَكيٍّ لَهُ ، وكَانَ الطَّريق مُظْلمًا ، وكَانَ العبْدُ يحْملُ سِرَاجًا ليُضيء لسيِّده ، فكَانَ يَسير بالسِّراج خَلْفَهُ وسيده يقولُ لَهُ : سرْ أَمَامي ، الَّذي يُريدُ أَنْ يُضيء لإنسَانٍ ينْبَغي أَن يسير أَمَامَهُ لا خَلْفَهُ ، فيقُول العبد : هَذا على مَذْهبك ، فيقول الفليحي : علَى مَذْهَبي ! كيفَ ؟ قال : أنت عنْدَمَا أَردْتَ أَنْ تَعْملَ حسنة ، وهي بناءُ المسجد ؛ لتُضيء لك ، جعلْتَهَا بَعد موْتكَ أي خَلفك ، فهلاَّ جَعَلْتَهَا أَمـامكَ لتُضيء لَكَ ، فقـال الفليحي : صَدَقْتَ . وقام علَى بنَاء المسجد في حيَاته .

فلَمَّا عمِّر المَسْجد وابتدأَ النَّاس يُصلُّونَ فيه ، طَلَبَ الفليحي منْ هَذَا العبد المُتقدِّم ذكْره أَنْ يَدْعو جَميعَ المُصلِّين في صَلاة العشاء ليَتعشوا عنْدَهُ ، فنَزَلَ العَبْدُ وجَاء ومعهُ عَددٌ قَليلٌ ، وكَانَ المُصلونَ في المسجد كثيرينَ ، فقال الفليحي : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَدْعوا جَميعَ المُصَلينَ ، وجئتني بهذَا العدد القليل ، أَينَ بقِيَّة المُصلِينَ ؟ فقال العبد : هؤلاء هُم المُصلون ، قالَ : كيفَ ؟ والباقِي ، قال

---

(١) يقول العلامة الحجري – رحمه الله – في « مساجد صنعاء » (٩٠) : « مسجد الفليحي : من المساجد العامرة في الجهة الشماليّة من صنعاء ، وهو من أحسن المساجد وأنفسها ، أول من أسسه الحاج أحمد بن عبد الله الفليحي في سنة ٦٦٥ هـ ، وهو مقبور بجوار المسجد ، وبنو الفليحي أصلمسكنهم في جهة (حلملم والمصانع) من بلاد (ثلا) ومنهم من دخل صنعاء وسكنها ، وقد زاد في المسجد زيادة نافعة ... إلخ » .
قلت : ومن الجدير بالذكر أنَّ الإمام الشوكاني – رحمه الله – (ت١٢٥٠هـ) مدفون في حجرة غرب هذا المسجد .

العبد : بَعْدَ صَلاة العشاء سألتهم عن السورة الَّتي قرأها الإمام في الصَّلاة ، فلم يَعْرف الجواب إلاَّ هؤلاء ، والباقون لَمْ يجيبوا ، فلَمْ أعتبرهم مصلين .. فضحك الفَليحي - رحمه الله - (١) .

(٨) خادم الشَّامي وأنس بن مالك رضي الله عنه

يحكي القاضي محمَّد - حفظه الله - : كَانَ السيِّدُ العلاَّمة هَاشم بن يَحيى الشَّامي (٢) من أكابر عُلماء صنعاءَ واليَمَن في القَرْن الثاني عشر الهجْري وكَانَ يَسْكُنْ بحَارَة (العلمي) (٣) بصنْعَاء القديمة ، فمرض بالفَالجِ (٤) (أي الشَّلل النّصفي) فجَاء إمام اليمن في تلك الفترة المنْصور حسين (٥) بن

(١) ومن الأمثال اليمنيّة « كمل الفليحي » : قال القاضي الأكوع : « يُساق حينما يتم اجتماع شمل الأحبة والأصدقاء » . راجع « الأمثال اليمانيّة » (٢/٨٨٦) .

(٢) السيد العلامة هاشم بن يحيى الشّامي الصنعاني ، وُلد سنة ١٠٨٧هـ بحدة ونشأ بصنعاء ، وأخذ العلم عن أكابر علمائها ، كالسيِّد العلامة زيد بن محمّد بن الحسن بن الإمام القاسم ، والعلامة الحسين بن محمّد المغربي ، وطبقتهما وبرع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، ودرّس للطلبة وانتفع به أهل صنعاء ، وتخرج به جماعة من العلماء كالعلامة عبد القادر بن أحمد (أكبر شيوخ الشوكاني) والعلامة أحمد بن محمّد القلطن ، وكثير من العلماء النبلاء ، وتولّى القضاء بصنعاء أياماً ، وله شعر فائق وفصاحة زائدة ، وله المؤلفات العجيبة المفيدة ، منها « صيانة العقائد » ، « نجوم الأنظار حاشية على البحر الزخّار » ، «موارد الظمآن » مختصر من إغاثة اللهفان ، وغيرها من الكتب المفيدة ، وله آراء واجتهادات مصيبة ، وتوفي - رحمه الله - في بيته بصنعاء في ٢٣ من صفر ١١٥٨هـ . راجع ترجمته في « البدر الطّالع » (٢/٣٢١-٣٢٤) ، و« نشر العرف » (٣/٢٧١-٢٨٥) .

(٣) هذه الحارة هي الّتي عاش فيها القاضي العمراني - حفظه الله - معظم سني عمره ، ومازالت بنفس التّسمية ، ومازال بيت القاضي موجوداً فيها وقد رأيته .

(٤) هذا في آخر عمره ، ثمّ شفي منه وبقيت آثاره ، ثم عاد الألم فأقعده في داره ، وقد استمر به هذا المرض ست سنوات حتّى توفي - رحمه الله - .

(٥) الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكّل على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن حسن بن الإمام

المتوكِّل لزيارةِ الشَّامي في بيته ، فلمَّا وَصَلَ المنْصور حسين إلَى بيْت الشَّامي ، كَانَ في استقباله خادمٌ قديمٌ للعلاَّمَة الشَّامي ، فَأَرادَ الإمام المنصور أَنْ يُداعِب ذَلكَ الخادِم ، فقال لَهُ : كَمْ لَكُمْ عِنْدَ الوالد هاشم الشاميّ ؟ قال الخادم : أنا في خِدمته منْذُ عَشر سنين ، فقال المنصور : منْذُ عشر سنين ، هذه المُدَّة خدم فيها أنس بنُ مالك رضي الله عنه النَّبيَّ ﷺ فَحَفظَ عن النَّبي ﷺ آلاف الأحاديث ، وعلْماً جمّاً ، فَمَاذا حَفظتَ أَنْتَ منْ علْمِ الوالدِ هاشم الشاميّ ؟ فقال الخادم : ما كَانَ عنْدَ النَّبيّ ﷺ بقرة يعصب [(١)] لَها أنس بن مالك (التَّعصيب نوعٌ منْ طَعَام الحيوانَات يُعْصَبُ بالقَضب منْ عيدَان الذُرَة يُأخَذُ في إعْدَاده جُهْداً) ، ولو كَانَ للنَّبي ﷺ هَذه البَقَرة ما حَفظَ أنس بنُ مالكٍ حَديثًا واحداً ، فَضَحك المَنْصورُ وتعجَّبَ منْ قُدْرَة الخادِم عَلَى الجَوَابِ المُسْكت !! .

● **قلت : ولَكَ عنْدِي هنا - عزيزي القارئ - فائدتان :**

الأولى : أنَّ العلاَّمَة الشَّهير مُحَمد بْنُ إسْمَاعيلُ الأمير (المعروف بالصنعاني) صاحب « سُبُلِ السَّلامِ » و « منحة الغفَّار » وغيرها منَ الكُتُب القيِّمَة ، كَانَ مُتزَوِّجًا بالشريفة (مُحصنة) ابنة السيِّد العلاَّمة هَاشَمْ بن يَحْيى الشَّامي المَذْكُور في هَذه الحكَايَة ، وكَانَ هَذا الزَواج في شَوَّال سَنَة ١١٣٦ هـ ، وأنْجبت لَهُ في سَنَة ١١٤١ هـ أول أولاده إبْراهيم ، وتربَّى إبراهيمُ في أَحْضَان

= القاسم ، بويع بالإمامة على اليمن عند موت والده في رمضان سنة ١١٣٩هـ ونازعه أُناس في الإمامة ، ولكن كانت الغلبة له ، فإنّه كان مشهوراً بالشّجاعة وعلو الهمة والمصابرة في القتال واحتمال مشاق الغزو ، ودامت إمامته مع سعادة كبيرة وظفر بالأعداء ظفراً لم يسمع بمثله ، وكان جميع القطر اليمني داخلاً تحت طاعته ، ولم يخرج عن طاعته إلا بلاد تعز والحجريّة ، فإنَّ أخاه أحمد كان مستولياً عليها ، وكان موته في سنة ١١٦١ هـ . راجع ترجمته في « البدر الطالع » (١/٢٢٥-٢٢٦) .

(١) قال القاضي العمراني : العصاب هو أن يأخذ الإنسان بعضاً من أغصان القضب ، ويعصب بها على عيدان الذرة ويطعمها البقرة أو نحوها من الحيوانات .

الكَمَالِ والعِفَّةِ ، حتَّى أَصْبَحَ عَالِمًا كَبِيراً ، وبرز في الوعظ والخطابَةِ ، وكَانَ حسن التّلاوة جداً .

فمما يُحكَى عنه أنّه قَصَدَ اليَهودَ في يوم عيدٍ لَهُمْ إِلَى كَنِيسَتِهِمْ ، وهُمْ يَسْتَمعون إِلَى أَحْبَارِهم ، فَصلَّى فِي الكَنِيسة ركْعتَيْنِ ، ثُمَّ تلَى سُورَةَ القَصَصِ ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْه يستَمعونَ وتَركوا ما هُمْ فيه ، فَلمَّا ختَمَهَا التفَتَ فإذا كَبير الأحبار يبكي ويقول : صدق الله ، فطمع إبراهيم في إسْلامه ، فتَأَخَّرَ ، فقال : مَالكَ تأَخَّرتَ ؟ فقال : قَدْ سَمعْنَا القُرآنَ منْ غَيْرِكَ فَمَا فعلَ بنَا شَيْئًا ، وإِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، ولَكِنَّ الله يَهدي منْ يشَاء .

ومما يُحكى عن إبراهيم أنَّهُ كان يدْخُل على المَهْدي عبَّاس ، فَيَعظه ويقبل منهُ المَهْدي ، ويَتَعَجَّب من شأنه ، ويرغب في مُحَادثته لكمالِ إحسانه في تبيانه ولَّما مات المهدي عبَّاس ، دخل على ولده المنصور علي بن العباس في سنة ١١٩١هـ إلى دار البهمة ببئرِ العزب ، فناصحهُ وأنْكر علَيْه التَّوسع في البنيان ، وأشْياءَ أنْكَرَهَا ، ثُمَّ قَصَدَ في تلك اللَّيلة المسجدَ الجامع بصنعاء ونحَّى إمام المحْراب ، وتقدَّمَ لصلاة العشاءَ بالنَّاس ، فقرأ في الرَّكْعَة الأولى : ﴿ **إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ** ﴾ [آل عمران : ٦٨] إلى قوله : ﴿ **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٥] ، وقرأَ في الرَّكْعة الثانية : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٦] ، وأصبح خارجًا منْ صنْعاء إلى الحديدة ، وصعدَ منبر جامع الحديدة في يوم الجمعة ، فَخَطَبَ ، وذكر للنَّاس انتكاس الزَّمان ، وتغيُّر أَمْرِ السُلطانِ وغير ذلك ، وركب في البحر إلى مكة المُشرَّفةِ ، وكان مغري بها شديد الحب لها .

ومن شعر إبراهيم [١] - رحمهُ اللهُ - :

بَرئْتُ منَ المَنَازِل والقِبَابِ ... فَلا يُعَسّر عَلَى أَحَدٍ حِجَابي
فَمنْزلي الفَضَاءُ وسَقْفُ بيْتي ... سَمَاءُ الله أَو قِطَعُ السَّحَاب
فأَنْتَ إذَا أَرَدْتَ دَخلْتَ بيْتي ... عَلَيَّ مُسَلِّمًا منْ غَيرِ بَاب
لأنّي لَمْ أَجدْ مِصْرَاعَ بَابٍ ... يَكُونُ منَ السَّمَاءِ إلَى التُّرَاب
ولا انْشَقَّ الثَّرَى عَنْ عُودِ نَحْتٍ ... أؤَمِّلُ أَنْ أَشُدَّ به ثيَابي
وَلا خِفْتُ الإبَاقَ عَلَى عَبيدي ... ولا خِفْتُ الرَّصَاصَ عَلَى دَوابي
ولا حَاسَبْتُ يومًا قَهْرَمَاناً ... فَأَخْشَى أَنْ أُغْلَبَ في الحسَاب
فَفِي ذَا رَاحَةٌ وبُلُوغُ عَيْشٍ ... فَدَأْبُ الدَّهْرِ ذَا أَبَدًا ودَابي

الفائدة الثانية : كان منْ اجْتهَادات العلاّمة هاشم بْن يحيى الشّامي - رحمه الله - : أنَّ إقْرارات النِّساء لقرابتهنَّ ، وتمليكهنَّ لهم ، وإباحتهن ، ونحو ذلك لا تصح عنده ؛ لضعفِ إدراكهنَّ ، وعدم خبرتهن ، وحُكي عنه : أنَّه وصل إليه بعض أهْلِ صنعاء بقريبة له ، وقدْ كَتَبَ عليها مرقومًا (كتابًا) في تمليكه أموالاً ، وجاء بمعرفين بها ، فقرأ عليها الشاميّ ذلك المرقوم ، فقالت له أن يكتب عليها أنها قد ملكته ، فعرفها أنّه مالٌ كثير ، فقالت : قدْ ملكته ولو كان كثيرًا ، فقال لها : هل معك حلقة (خاتم) في يدك ؟ قالت: نعم ، فتناولها منها ، ثُمَّ قال لها : وهذه (أي الحلقة) نكتبها من جملة التمْليك ، فقالت : أمّا الحلقة فلا ؛ لأنّها حقي ، فكرر عليها ذلك ،

---

(١) توفي - رحمه الله - بمكّة في يوم الثلاثاء ١٢ من شوال ١٢١٣هـ عن اثنين وسبعين سنة وأشهر من مولده ، راجع ترجمته في « نيل الوطر » (١/٢٨-٣٤) ، و« البدر الطّالع » (١/٤٢٢-٤٢٤)، و«مصلح اليمن » (١٦٧-١٧٦).

فلم تسعد ، فعلم مِنْ هذا أنَّ المرأة لا تعد ما غاب عنْهَا ملكًا لها ، وأقبل على قريبها يعظه ويُخوفه مِنَ الله تعالى ، ومزَّقَ ذلك المرقوم .

وقال الشَّوْكانيّ في « البدر الطَّالع »[1] بعد إيراده هَذه الحكاية في ترجمة العلاَّمة الشَّاميّ المذكور : « وأقول : لا رَيْبَ أنَّ غالبَ النِّسَاء ينخَدعنَ ويفعلنَ لا سيما للقرابة ، كمَا يريدونه بأَدنَى تَرْغيب أو ترهيبٍ خُصوصًا المُحجَّبات ، وقد يوجد فيهنَّ نادراً مَنْ لَهَا مِنْ كَمَال الإدْراك ، ومعرفة التصرُّفات ، وحقائق الأمور ما للرجال الكُملاء ، وقد رأيتُ مِنْ ذلكَ عجائبَ وغرائبَ ، والَّذي يَنْبَغي الاعتمادُ عَلَيْه والوقوف عنْدَهُ ، وهو البحث عن حال المَرْأَة التي وقع مِنْهَا ذلك ، فإنْ كَانَتْ مُمَارِسَةَ للتَّصَرُّفات ، ومُطَّلعَة عَلى حقائق الأمور ، وفيها من الشِّدَّة والرشْد مَا يذهَب معه مَظَنَّة التَّغرير عليها ، فتصرفُها صحيحٌ كَتَصرُّف الرِّجَال ، وإنْ لَمْ يَكُنْ كَذلك ، فالحُكْم باطل ؛ لأنَّ وصاياها التي لا تتعلق بقربةٍ تَخُصُّهَا مِنْ حَجٍ أو صدقةٍ أو كفَّارة هو الواجب ، وكذلك تخصيصها لِبَعْضِ القَرابَة دونَ بعض ، بنذرٍ أو هِبَةٍ أو تمليك أو إقرار يظهر فيه التَّوليج ، وأمَّا تصرفاتها بالبيع إلى الغير والمعاوضة ، فالظَّاهر الصِّحة ، وإذا ادعَتْ الغبن ، كانت دعواها مقبولة وإن طابقت الواقع ، ولا يحلُّ دفعها بمُجَرَّد كونها مُكلَّفة، متولية للبيعِ ، ولا غبن على مُكلف أشبه إلا في النادر » .



(١) راجع هذه الحكاية في « البدر الطَّالع » (٢/٣٢٢-٣٢٣) ، و«نشر العرف» (٣/٢٧٥) .

﴿٩﴾ احتياطًا ..!

يَحْكِي القاضي العمرانيّ أنَّ رجلاً موسوساً كَانَ يؤمّ النَّاس في أحد مساجد قريةٍ مِنَ القُرى ، فكان في كلّ صلاةٍ يسجد للسهو [1] سواء وَقَعَ منْه ما يستحق أن يسجد له أو لم يقع ، فسأله المُصلّونَ : لِمَ هذا السجود المُسْتَمر ؟ فقال : احتياطًا .. ! .

وفي يومٍ مِنَ الأَيَّام كان هذا الرجل راكِبًا حمارًا ، فأمال الحِمَار رأسه ناحية الأرض ، وألقى بالرجل مِن على ظهرِهِ ، وأخذ الحمار يضرب الرَّجُل بقَدَميه ، فتكسر الرجل ، وجَاء النَّاس لإنقاذه ، فقال الرَّجُلَ – وهو مُصاب – : العجيب أنَّ هذا الحمار ألقى بي مِنْ عَلى ظَهْرِهِ ، ولم يكتف بهَذا بَلْ زادَني رفْسًا برجليه ، ألم يكفه إلقَائي ؟! فقال له النَّاس : احتياطًا .. أراد الحمار أنْ يحتاطَ ، فرُبَّما لَمْ تتكسَّر مِنَ الرَّمْيَةِ الأولى ، فَرَفَسَكَ برِجْلَيه احتياطًا ، فمذْهَب الحِمار في الرَّفْسِ كمذهبك في سجود السَّهْوِ الاحتياطي ! .

● **قلت** : ومما طالعته مِنَ قصص الموسوسين ، ما أورده ابن الجوزي في « أخبار الظراف والمتماجنين » (١٤٨) قال : جاء رجل إلى ابن عقيل (والمراد به ابن عقيل الحنبلي المتوفي سنة ٥١٣ هـ ، وهو شيخ ابن الجوزي) ، فقال له : إنِّي أغتمس في النَّهْرِ غمستين وثلاثًا ولا أتيقَّنْ أنَّهُ قد عمَّني المَاء ، ولا أني قد تطهرْت ، فقال له ابن عقيل : لا تُصَلِ ، قيل له : كيف قلت عن هذا ؟ قال : لأنَّ رسول الله ﷺ قال : « **رُفِعَ القَلم عن المجنون حتَّى يفيق** » ، ومن

---

(١) ويحكى أن أحد أئمَّة الصَّلاة كان يسجُد للسهو في كلِّ فرض ، فسأله أحدهم عن ذلك ، فقال : نترعل بأبتهم (وهي عبارة صنعانيّة معناها أتعبهم ، والترعال : كثرة التردد على الشيء مع التَّعب للحصول عليه . راجع « اللهجة اليمانيَّة » لزيد عنان (١٨٨) .

ينغمِس فِي النَّهْرِ مَرَتّينِ وثلاثًا ، ويظن أنَّهُ ما اغتَسَلَ فهو مجنون ! .

ومن ذَلِكَ أيضًا : ما وردَ في الكِتَاب المَذْكور (١١٠) : جاء رجلٌ إلى أبي خـازم القـاضي (مِنَ العُلَمَـاء الكِبـار ، توفي سنة ٢٩٢ هـ) فـقـال : إنَّ الشَيْطان يأتيني ، فيقول : إنك قد طلقت امرأتك ، فيُشكّكني ، فقال له : أو ليس قد طلقتها ؟ قال : لا ، قال : ألم تأتني أمس ، فتُطلقها عِنْدي ؟ فقال : والله ، ما جئتك إلاَّ اليوم ، ولا طلقـتـهـا بوجه من الوجوه ، قـال : فـاحلف للشيطان كما حلفت لي وأنتَ في عافيةٍ .

﴿١٠﴾ أحد ..أحد ..!

يحكي القـاضي أنَّ رجـلاً كَـانَ يضْـربُ طفْـلاً له ، والولد يبكي ويجـري ويقـولِ : أحدٌ ... أحد .. وأبوه يزيده مِنَ الضَّرْبِ ويقول : يا حمار ... جعلتني أُميَّة بن خَلَف [١] .



(١) أُميّة بن خلف الجمحي : صنديد من صَناديد المُشركين ، كان بلال بن رباح ﷺ مولاه ، فكان يعذب بلالاً ويطرحه في بطحاء مكّة ويضع الصّخرة العظيمة على صدره ، ثمّ يقول : لا والله لا تزال هكذا أو تكفر بمحمّد وتعبد اللات والعزّى ، فيقول بلال – وهو في هذه الحالة – : أحد .. أحد ، حتّى مرّ به أبو بكر فاشتراه ، فأعتقه ، وأسر عبد الرحمن بن عوف أميّة بن خلف في غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة ، فرآه بلال ، فصاح : لا نجوت إن نجا يا أنصار الله رأس الكفر أميّة بن خلف ، فاجتمعوا عليه فقتلوه ، لعنه الله . راجع « الرحيق المختوم » (٨٨، ١٥٨، ٢٢٠) .

﴿١١﴾ «ماشي» اليمنية والمصرية!

كلمة (ماشي) باللهجة اليمنية تعني (لا) أي النفي وأصلها (ما شيء) وأمَّا (ماشي) باللَّهجة المصريَّة ، فتعني (نعم) ، فهي اسم فاعل من الفعل (مشى) وبمناسبة اختلاف اللهجتين ..

يحكي القاضي العمرانيّ أنَّ رجُلاً يمنيًا ذهبَ إلى القاهرة العاصمة المصريَّة واستقل سيارة أُجْرَة ، فَلَمَّا أَوْصله السَّائق إلى المكانِ الذي يريده أعطى اليمني السَّائق جُنيهًا مصريًا ، وقال : هذا مناسبٌ ؟ ، فقالَ السَّائقُ المصريُّ : ماشي ، فظنَّ اليمني أنَّ السَّائق غيْر موافق على هذه الأجرة ، فزاده من النقود ، وقال : هذا كاف ؟ ، فقال السائق : ماشي ، فغضب اليمني ، وقال : ماذا تريد ؟ أنت طماعٌ ! وما زلت تقول ماشي ماشي .. وأخذ يصيح ، فقال السائق المصري : أقول ماشي ماشي ، يعني موافق ، اكتفيت ، وأنت الَّذي تعطيني زيادة ، ما أفْعَل لك ؟! .

وتُذكرني هذه اللَّطيفة ، بالمثل العربي « مَنْ دَخَلَ ظفارَ حَمر » أي من دخل (ظفار) وهي المدينة اليمنية الأثرية المعروفة ، فليتكلَّم الحميرية ، وأصل هذا المثل أنَّ أعرابيًا مِنْ شَمَال الجزيرة ، ممن لا يعرفون الحميرية ذهب إلى أحد ملوك حمير في (ظفار) [١] ، وكان الملك جالسًا في مكان مرتفع ، فلمَّا وصل إِلَيْهِ الأعْرابي ، قال له الملك : ثب ، وهي بلغة (حمير) بمعنى (اجلس) ، وبلغة عرب الشَّمال معناها (اقفز) ، فقال الأعرابي : طاعة لأمر الملك ، فقفز من المكان المُرتفع ، فوقع فمات ، فتعجب الملك ، وقال : لماذا فعل هذا ؟! ، فبينوا له أنَّها بلغته تعني القفز ، فقال الملك : مَن دخل ظِفار حَمر . فصارت مثلاً [٢] .

---

(١) راجع « شمس العلوم » لنشوان الحميري (٣٠٦/٢) و« الأمثال اليمانيّة » للأكوع (١٢١٠/٢).
(٢) نفس المصدر .

﴿١٢﴾ امتنع عن الخروج من النَّار!

يحكي القاضي العمراني أنَّ الشوكانيّ - رحمه الله - كان يُقرئ طلبته (صحيح البُخاري) وكانت تمر به أَحاديث الشَّفاعة الَّتي فيها خروج أُناس من النَّار مِنْ بَعْد ما امْتُحشوا ، وكان هُنَاك طالب من الطَّلَبَة مُعتزلي العقيدة - والمعتزلة تُنكِرُ الشَّفاعة الثَّابتة مِن خروج بعض المُسْلِمين من النَّار - فكان هذا الطَّالب كُلَّما مرَّت أحاديث الشَّفاعة حاول أن يُشوش ويعترِض ويُناقش ويُجادل فما كان مِنَ الشَوْكانيّ إلا أن قال له : عندما يأتون لإخراجك مِنَ النَّارِ امتنع عن الخروجِ ، وقُل : أنَا مُعتزليٌّ لَنْ أخرج .. ! .

﴿١٣﴾ فسجد الملائكة كلّهم أجمعين إلاّ إبليس..!

يحكي القاضي العُمرانيّ أنَّ مِنَ قاعدة الهادوية إذا وردت سجدة من سجدات القُرآن في الصَّلاة لا يسجدونها ، فكان رجل من الهادوية يُصلِّي فِي الحرمِ مَعَ النَّاس ، فقرأ إمام الحرم آية سجدة ، فسجد وسجد النَّاس كلّهم إلا هذا الهادويّ ظلّ واقفًا مُنْتَصبًا ، ولم يسجُد اتِّبَاعًا للمَذْهب ، فبعد سجودهم قام أحد المُصلِّينَ وأشَار إلى هذا الهادويّ الَّذي لم يسجد ، وقال : فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس .. ! .



﴿١٤﴾ ذكاء إياس

يَحكي القاضي العمرانيّ أنّ رَجُلاً مِنْ آل البيت خرجَ وترك أُمَّه وزوجته ، ولم يرجع ، فجاء رجل وادَّعى أنَّهُ هو العلوي الَّذي خرجَ ، فأنكَرَتْ الزوجة أنْ يكونَ هو زوجها ، والعجيب أنَّ الأُمَّ أَقَرَّتْ أنَّه ابنها ، ورُفِعت القضيةُ إلى حاكم (ذمار) ، فحكم بأن تُمَكِّنه الزوجة مِنْ نفسها وأنه زوجها ، فأنكرت الزوجة ، ورفعت أمرها إلى الإمام المهدي عبَّاس ، فأحال القضيَّة إلى شَيْخِ الإسْلامِ السحولي ، وكان رجُلاً ذكيًا ، تولَّى قبل الشوكانيّ ، فلما عرض عليه الأمر ، قال : الأمر هين ، وسأل أهل العلوي الغائب عمَّا كانَ يحفظه منَ القُرآن ، وعن شيء مِنْ خطه ، فأخبروه وأعطوه ورقة بخطِّه ، واستدعى المُدَّعي وأمره أن يكتب شيئًا بخطِّه ، فوجد الخطَّ مُخْتلفًا تمامًا ، وسأله عن محفوظه من القرآن، فكَانَ مُخْتَلفًا تمامًا عن الغائب ، فعندئذٍ جزم القاضي بأنَّه كذَّاب فأمر بتعزيره (وتُسمَّى بلُغَة أهل صنعاء « دردحوا به » أو « حومروا به ») ، وكان يتم التعزير بأَنْ يركب المعزر على حِمار ووجهه ناحية ذيل الحمَار ، ووجهه مسود ، ويضربون خلفه على طبلة أو طاسة ، ففعلوا به هكذا ، فمر قبيلي ، فرآه فسأل عنهُ ، فأخبر بمَا ادّعاه ، فقال : هذا مزين قبيلة كذا .. وأمَّا قاضي ذمار فخشي على نفسه أن يُعزّر أو يؤدب ، فقدم استقالته وترك القضاء .



﴿ ١٥ ﴾ يا الله اسقينا الغيْثَ

يَحْكِي القاضي العمراني أن جزَّاراً كان يأتي إلَيْه طِفْلٌ يشتَزي مِنْه اللحم (أي : يشرك ، بلغة أهل صنعاء) وكان هذا الطفل يُتعب الجزَّار ، ويعبث بأدواته ويتقافز داخل الملحمة ، والجزَّار في غاية الضِيق ، وفي يوم من الأيَّام استسقى أهل صنعاء ، فنزلت الأمطار ، ووقعت صاعقة ، فأصابت هذا الطّفل فأهلكته ، فارتاح الجزَّار مِنْ عَبَثِ الطّفل ، ثُمَّ جَاءَهُ طِفلٌ آخر ، وأخذ يفعل مثلَ ما كان يفعل الطّفل الأول ، فسأله الجزَّار عن اسمه وأسرته ، فقال : أنَا أَخو الولَدَ الَّذي أَهلَكته الصَّاعقة ، فأخذَ الجزَّار يُقَطِّعَ اللَّحم بالساطور ، وهو يقول : يا الله اسقينا الغيْثَ .. يا الله اسقينا (أي : اسقنا) الغيْثَ .. يُلَمّح بأن تأتي صاعقة أخرى فتأخذ الولد الثَّاني .. ! .

﴿ ١٦ ﴾ أهلاً بأخ الأب أبصرني

وصلَ القاضي العمرانيُّ إلَى مجْلس الإمام أحمد ملك اليمن قبل الثورة ، وكان الإمام في « تعز » فلمَّا دخلَ إلى المجلس ، قال له الإمام أحمد : أهلاً بأخ الأب أبصرني (أي العمراني ؛ لأنَّ معنى أخ الأب : عم ، وأبصرني : رآني مجموعهما : عمرانيّ) ففهمهَا القاضِي ، وقال هو بين يديكم ، فأعجب الإمام أحمد سُرعة فهم القاضي ، فأخبر الجالسينَ بمَا وقَعَ ، فقالوا : كان المفروض أن يُجيب عليك بأحجيَّة مثل استقبالك له بأحجيَّة ، فالتفت إليْه الإمام أحمدُ وقال : صحيح مالك لا تُجيب بأحجيَّة ؟! .

فقال القاضي : كان على لِساني أحجيّة ، ولكن لم أَرَهَا مُناسبةً لمقامكم، فقال الإمام أحمد : ما هي ؟ قال القاضي : كُنتُ سأقول المش سارق ، (

المش: المخ (بلغة أهل صنعاء) ، والسارق : لص ، فمجموعهما : المُخلص) فضحك الإمام وأعجبه القاضي – حفظه الله – .

﴿ ١٧ ﴾ مسألة تحتاج إلى تفكير..!

يحكي القاضي محمد – حفظه الله – : أنَّ جحا دخل إلى بستانٍ وأخَذَ يجمع مِن البَصَلِ والفجْلِ (القشمي ، بعاميَّةِ أهل اليمن) وغيره ، ويضع في شنطة كانت معه ، فجاء صاحب البستان ، وأمسكَ بجحا ، وقال له : ما أدْخَلَكَ إلَى بُستاني ؟ فقال جُحا : قامَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، فقذفتني إلى بُسْتَانكَ ، فقال صاحب البستان : فكيف قطعتَ هذا الفجْلِ والكُراث وغيره ؟ فقال جحا : لَمَّا اشتدَّت الريح أمْسَكْتُ بهذه النباتات ، فخرجت وقُلعت في يدي ، فقال صاحب البُستان : وما الَّذي أَدخلَها في الشنطة ؟ فقال جحا : أنَا جالسٌ مُنذُ فترةٍ أُفكر في هذا ..! (وبعاميَّة صنعاء : أنَا جالس مطنن ..) .

﴿ ١٨ ﴾ أنا أُخاطِبُ أَهْلَ « ثُلا » أم أنت ؟

يحكي القاضي العمراني ، فيقول : كان لأهل (ثُلا) [١] خطيب ، وفي إحدى الجمَعِ أخذَ يعدّ خُطبة في الصَّدَقة وإيثار الفقراء ، وحثّ الناس على العطاء حتَّى لو كان أكله أو غداءه ، وكان يُجرب نفسه أمام زوجته ويسألها رأيها ، فتستحسن كلامه ، ثُمَّ ذهب يوم الجُمُعَة فَخَطب في النَّاس ، وحثَّهم

(١) ثُلا : بضم الثاء المثلثة وفتح اللام ، ثُمَّ ألف ، إحدى مديريّات محافظة صنعاء ، وفي التَّقسيم الجديد أصبحت تابعة لمحافظة عمران ، تقع في الشمال الغربي لها ، وهي بلد حميري قديم ، بها آثار كثيرة حميرية وإسلاميّة قيل أنها سميت باسم ثلا بن لباخة بن أقيان بن حمير الأصغر ، ينسب إليها كثير من العلماء والفضلاء . راجع « الموسوعة اليمنيّة » (١/٢٩٨-٢٩٩) ، و« نشر العرف » (١/١٥٩) .

علـى الصَّـدَقة والإيثـار ، فلـمَّا انتـهى عاد إلى بيتـه ، وطلب من زوجتـه تقـريب الغداء ، فقـالت : ولكن جاء فقير فأعطيته إياه بسبب كـلامك عن الإيثـار ، وإعطاء الفـقـيـر ، فقـال الخطيب لهـا : أنا أُخـاطب أهل (ثُلا) أم أُخاطبك [1] ؟!! .

● **قلت** : ومما يُناسب ذلك ما قرأته في « أخبارالحمقى والمُغفلين » لابن الجوزي (١٢٦) : قال ابن خلف : قصَّ قاص بالمدينة ، فقـال : رأى أبو هريرة (الصَّحابي) على ابنته خاتم ذهب ، فقال : يا بنية ، لا تتختَّمي بالذَّهب ، فإنه لهب ، فبينمـا هو (أي القـاص) يُحدِّثهُم إذ بَدَتْ كفه ، فإذا فيه خاتم ذهب ، فقالوا له : أتنهانا عن لبس الذَّهب وتلبسه ؟! فقال : لم أكن ابنة أبي هريرة .

﴿ ١٩ ﴾ إنَّمَا الأعمال بالنيَّات ..!

يَحْكِي القاضي العمرانيّ : أنَّ الحاج مُحمَّد السنيدار كان مِنْ تُجَّار صنعاء الصالحين ، وكان دائم العطاء للفقراء ، وكـان مشهوراً بالتَّوسُمِ في الفقراء ، حتَّى أنَّه كَانَ رُبَّمَا يقابل الرجل صاحب الهيئة الحسنة ، فيضع في يده بضع ريالات مُتفرساً فيه أنَّه فقير ، وكان يُصيب في مُعظم الأحوال ، وكـان له ابن يغتـاظ مِنْ إنفـاقه الأمـوال على الفـقـراء ، ويكلم أباه بأنَّ هؤلاء النَّاس يدَّعون

---

(١) ومما يُناسب ذلك من الأمثلة اليمنيّة قولهم : « تلك مسألة أخرى » ، وقصّة هذا المثل أنَّ رجلاً سأل الحاكم ، فقال : بقرتي نطحت بقرة حتَّى أوجعتها ، وأنا خائف من الأرش (أي ثمن ما أفسدت بقرتي) ، فقال الحاكم : لا تخف جراح العجمي (أي الحيوان) جبار (أي : هدر) ، فقال الرجل : هيه بقرتكم المنطوحة . فقال القاضي : تلك مسألة أخرى . راجع « اللهجة اليمانيّة » لزيد عنان (١١٣) .

الفقر؛ ليخدعوه ويأخذوا أمواله ، والحاجّ السنيدار لا يستمع له ، وأراد هذا الولد أن يُثبتَ لأبيه أن الفقراء يخدعونه ، فلبس لِباس رجُلٍ غريب ، ووقف لأبيه في الطَّريق ، وقلَّد صوت مسكين ، وقال : امرأتي مسكينة عندها ولادة ، وليس عندها أحد يُنفق عليها ، فمدَّ الحاجّ السنيدار يده بعدة ريالات ، وأعطاها لابنه الذي يتزيا بزي الرجل المسكين ..

ثُمَّ عاد الحاجّ السنيدار إلى بيته ، وبعد دقائق جاء ابنه ودقّ الباب ، فلمَّا فتح الحاج السنيدار الباب ، ضَحِكَ الولد ، وقال : ألم أقل لك أنهم يخدعونك وحكى له القصَّة ، فغضَبَ الحاجُ محمد السنيدار ، وحلف أنَّ هذا الولد لن يبيتَ تحت خشبة البيت حتى يوصل هذه الفلوس إلى رجل فقير معه امرأة مسكينة عندها ولادة ، وقال : إنني أخرجت هذه الفلوس لهذا الغرض ، ولابد من تنفيذه ، فخرج الولد هائمًا على وجهه ، يبحث عن زوج امرأةٍ عندها ولادة، وأخذ يسأل عقال الحارات حتَّى وصل إلى إحدى الحارات ، فأخبره العاقل أنَّ هناك امرأة في الحارة قد ولدت ، وليس عندها نفقة وزوجها فقير ، فذهبا إليها وأوصلا إليها المال ، وكتب له العاقل ورقة بهذا ، وعاد إلى أبيه وأراه الورقة ، فقال الحاج محمّد السنيدار : الآن تستطيع أنَّ تبيت بعد أن أوصلت الفلوس إلى من أخرجت لهم .. ! .



﴿٢٠﴾ سنة ضرطة الخطيب[١] !

يَحْكِي القَاضِي العمراني ، فيقول :

ضرط أحد الخطباء في صنعاء وهو يخطب ، فاشتهر ذلك بين النَّاس ، فاستحيا هذا الخطيب وترك صنعاء ، واغترب لعدة سنوات ، ثُمَّ عاد إلى صنعاء، وفي مدخلِ صنعاءَ (رُبَّما كان سواد حزيز) أراد أن يستريح ويشرب كوباً من القهوة قبل دخوله صنعاء ، فجلس في (مقهى) وطلب من المرأة القائمة على المقهى كوباً من القهوة ، فوضعته على النَّار ، وجلست تتحدَّث مع صاحبة لها وهو يسمعها ، فقالت إحداهما للأخرى : كم عمر ابنتك ؟ فقالت الأخرى : ابنتي ولدت سنة ضرطة الخطيب ، فَلمَّا سمع ذلك انزعج انزعاجًا شديداً ، وقام عائداً عَلى أعقابه مُمْتنعًا عن دخول صنعاء ، وقال : أَبَلَغَ من شهرة الضرطة أن يؤرخوا بها ؟!! .

● **قلت** : وقرأت في « أخبارُ الحَمْقى والمُغفلين » لابن الجوزيِّ (١٦٢) : ضرط أبو النجم (الشاعر المعروف) في ليلة ضرطتين ، فخاف أن تكون امرأته قد سمعته ، فقال : أسمعت شيئًا ؟ قالت : لا ، ما سمعت منهما شيئًا ، فقال: لعنك الله ، فمن أعلمك أنَّهما اثنتان ؟! وراجع « موسوعة العذاب » (٤٥١/١) .

وقرأت فيه أيضًا (١٦٣) : قال أبو العيناء : كُنتُ بحمص ، فمات لجار

---

(١) ذكرها زيد بن علي عنان في كتابه « اللهجة اليمانيّة » (٥٦-٥٧) بصورة مختلفة ، ولفظه : «ضرط الخطيب في المنبر ، فهرب مدّة أكثر من عشر سنين لومًا ينسوا النّاس ، وعندما رجع ، لقي ولد عمره نحو عشر سنين خارج المدينة ، فقال : ابن من أنت ؟ فأجابه ، فقال : في كم عمرك ؟ قال : مانش دِاري إلا أمي قالت : أنا وِلدت سنة ما ضرط الخطيب ، فرجع وقال : بب قدنا ذا تاريخ (كلمة بب تقال للاستغراب أو التّعجب) » .

لي بنت ، فقيل له : كم لها ؟ قال : ما أدري ، ولكنها ولدت أيام البراغيث .

ومما يُناسب هذا قول العرب فى المثل : « إيش في الضرطة من هلاك المنجل » يضرب في تباعد الكلام من جنسه ، وأصله أنَّ امرأة ضرطت عند زوجها ، فلامها زوجها ، فقالت : وأنت ضيّعت منجلا ، فقال : إيش في الضرطة من هلاك المنجل . راجع « مجمع الأمثال ، مختارات » (٣٣) .

وفي « أخبار الحمقى » (٩٣) : صعد بعض الولاة المنبر ، فخطب فقال : إن أكرمتموني أكرمتكم ، وإن أهنتموني لتكونن أهون علي من ضرطتي هذه ، وضرط ضرطة ! .

ومن شجون هذا الحديث ما طالعته في « مسالك الأبصار » للعصامي (١٣٠) قال : وأهدى بعض عمال عبد الملك له تروسًا مكللة بالدر والياقوت ، فأعجبه ذلك ، وعنده جماعة من خاصته وأهل خلوته ، فقال عبد الملك لرجل من جُلسائه اسمه « خالد » : اغمز منها ترسًا نمتحن صلابته ، فقام خالد ، فغمز التّرس فضرط ، فاستضحك عبد الملك ، وضحك جلساؤه ، فقال عبد الملك : كم دية الضرطة ؟ قال بعضهم : أربعمائة درهم وقطيفة ، فأمر عبد الملك لخالد بذلك ، فأنشأ رجل من القوم يقول :

أَيَضْرِطُ خالد من غَمْزِ ترسٍ ... وَيَحْبُوهُ الأَمِيرُ بِهَا بُدُوراً
فَيَالَكَ ضَرْطَةً جَلَبَتْ غَنَاءً ... وَيَالَكَ ضَرْطَةً أَغْنَتْ فَقِيراً
فَوَدَّ النَّاسُ لَو ضَرَطُوا جَمِيعًا ... وَنَالُوا مِثْلَ مَا أُعْطِيَ عَشِيراً
وَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ الضَّرْطَ يُغْنِي ... فَأَضْرِطَ أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَا

فقال عبد الملك : أعطوه أربعمائة درهم ، ولا حاجة لنا في ضراطك ! .

﴿٢١﴾ يس والحلبة!

يحكي القاضي العمراني : أنَّ مؤذناً كَانَ يَصعد إلى المنارة (أو الصومعة بلغة أهل صنعاء) ليُؤذن ، فكان يطّلع على بيوت صنعاء ، وأعجبته امرأةٌ ، فكان كُلَّما صعد إلى المنارة أخذ يُشير إليها [(١)] ، وكانت المرأة عفيفة ، فلمَّا أكثر من هذه الحركات اشتكته إلى زوجها ، وكان ابنها يسمع ، فما كان من الزوج إلا أنْ ذَهَبَ إلى الجامع الكبير ، وطلب من أحد الفُقهاء أن يدرس سورة (أي : يقرأ) يس على هذا المؤذن ، وأخذ الابن حلة من الحلبة ، وانتظر حتى صعد المؤذن المنارة وسكب الحلبة على درجات المنارة التي ينزل عليها المؤذن إلى صوح المسجد ، فلمَّا انتهى المُؤذن من أذانه ، وأراد أن ينزل انزلقت قدمه في الحلبة ، فتدحرج حتَّى وصل الخبر إلى زوج المرأة ، قال : أرأيت ماذا فعلت يس ؟! ، وكان ولده بجانبه ، فقال : والحلبة . فصارت مثلاً .

● **قلت** : ومما يشبه ذلك ما ورد في كتاب « أخبار أبي العيناء اليمامي »

---

(١) يقول الحجري - رحمه الله - في « مساجد صنعاء » (٣٥-٣٦) : « ويقول أبو العباس محمَّد بن يزيد المبرد في « الكامل » أنَّ خالد بن عبد الله القسري بلغه شعر لرجل من موالي الأنصار يقول فيه :

لَيْتَنِي فِي المُؤذِّنِين حَيَاتي ... إنَّهم يبْصِرونَ مَنْ في السُّطوحِ
فيشيرون أو تشير إليهم ... بالهوى كلّ ذاتَ دل مليحِ

فهدم منار المساجد حتَّى حطَّها عن دور النَّاس ، فهجاه الفرزدق ، وقال :

أَلا قَطَعَ الرَّحْمنُ ظَهْرَ مَطيَّةٍ ... أَتَتْنا تَهادي مِنْ دِمَشْقَ بخالدِ
وكَيفَ يؤمُّ النَّاسَ مَن كَانت أُمُّه ... تَدينُ بِأَنَّ اللهَ لَيسَ بِواحدِ
بَنى بِيعةً فيها النَّصارى لأُمِّه ... ويهدمُ مِن كُفرٍ مَنارَ المَساجدِ

وقال أيضاً :

عَلَيْكَ أَمِيرَ المُؤْمنينَ بِخالدٍ ... وَأَصْحابِه لا طَهَّرَ اللهُ خالدا
بَنى بِيعَةً فيها الصَّليبُ لأُمِّه ... ويهدمُ من بُغضِ الصَّلاةِ المَساجِدا

والحقُّ أنَّ خالداً لَمْ يَهْدِم المنائر إلا لمصلحة ارتآها » أ. هـ ، وراجع « موسوعة العذاب » (١/٢٠٢-٢٠٣) .

(١٣٢) ، قال أبو العيناء : حدَّثني بعض أهل العلم ، قال : مرَّ الشَّعبي بإبل قد أثر فيها الجرب ، فقال : يا فتيان ، ألا ترون إبلكم هذه ؟ قالوا : إنَّ لنا عجوزاً نتكل على دعائها ، قال : أُحب أن تُضيقوا إلى دعائها شيئًا من القطران (والقطران يُعالج به جرب الإبل) .

● **قلت** : ومما يُناسب أن يُذكر هنا ، ما حكاه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (٤٥٩ - ٤٦٠) ، وابن القيم في « الدَّاء والدواء » قال : بلغني عن رجل كان ببغداد - يُقال له صالح المُؤذن ، أذَّن أربعين سنة ، وكان يُعرف بالصّلاح- أنَّه صعد يومًا إلى المنارة (المؤذنة أو الصّومعة بلغة أهل اليمن) ليُؤذن ، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد ، فافتتن بها ، فجاء فطرق الباب ، فقالت : من ؟ فقال : أنا صالح المُؤذن ، ففتحت له ، فلمّا دخل ضمها إليه ، فقالت : أنتم أصحاب الأمانات ، فما هذه الخيانة ؟! فقال: إن وافقتيني على ما أريد وإلا قتلتك ، فقالت : لا ، إلا أن تترك دينك ، فقال: أنا بريءٌ من الإسلام ، ومما جاء به محمد ، ثُمَّ دنا إليها ، فقالت : أنَّما قُلتَ هذا لتقضي غرضك ، ثُمَّ تعود إلى دينك ، فكُلْ من لحم الخنزير ، فأكل، قالت : فاشرب الخمر ، فشرب ، فلمَّا دبّ الشراب فيه دنا إليها ، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب وقالت : اصعد إلى السَّطح حتّى إذَا جَاء أبي زوجني منك ، فصعد فسقط فمات ، فخرجت فلفته في مسح ، فجاء أبوها فقصّت عليه القصة ، فأخرجه في الليل ، فرماه في السّكة ، فظهر حديثه ، فرُمِي في مزبلة ! .

وقرأت في كتاب « أخبار الظُراف والمتماجنين » لابن الجوزي (١٤٠- ١٤١) : أنّ رجلاً قال لرجل : بِمَاذا تداوي عينك ؟ قال : بالقرآن ودعاء

العجوز ، فقال : اجعل معهما شيئًا من أنزروت (والأنزروت بالفارسية ، وهو العنزروت بالعربية ، وهو صمغ شجرة تنبت في بلاد الفرس في طعمه مرارة ويستخدم في علاج أمراض العيون) .

● **ومن الأمثال المشهورة** : « اقرأ يس ، وفي يدك حجر » أي اعمل بالأسباب وتوكل على الله ، قال رسول الله ﷺ : « **اعقلها وتوكّل** » ، وهو حديث أورده العلامة الألباني في « صحيح الجامع الصغير وزيادته » .

يعتقد بعض الناس هذه الاعتقادات في « سورة يس » ، لما روي في فضلها: « **يس لما قُرأت له** » ، وقد قال العلماء في هذه الرواية : لا أصل لها بهذا اللفظ . راجع « تمييز الطيب من الخبيث » لابن البديع ! .

● **ومن أمثالهم المرتبطة بسورة يس** ، قولهم : « الغرق أهون » وقصته : أنَّ سفينة مالت بركَّابها ، وكادت تغرق بهم ، فنادى الربّان ركاب السَّفينة : يا مسلمين ، ألف شرف يس (أي : اقرأوا يس ألف مرة) ، فأجاب أحد الركاب : « الغرق أهون » . راجع « اللهجة اليمانية » لزيد عنان .



﴿٢٢﴾ من يرث من؟!

يَحْكي القَاضي العمراني : أنَّ بعضَ النساءِ اللاتي كُنَّ يُردن الحجّ ، ولم يكن لهنّ مَحَرَم ، كُنّ يعقدن على بعض الرجال المُسارين إلى الحج ، ولا يتم دخول [١] ولكن شيء يعمل حتّى يستطيع أن يصحبها ، ويخلو بها ، وكانت تُسمى « ملكة النظر » [٢] أي عقد من أجل إباحة النَّظر إليها والخلوة بها ، ثُمَّ إذا عادوا من الحجّ طلقها ؟! .

فيُحكى أن امرأة عُقد لها على رجل لتحجّ ، أي عقد « ملكة النَّظر » وسارت مع زوجها هذا للحجّ ، فلاحظ أنَّ حالتها الصّحيّة مُتأخرة ، فلمَّا حجّوا وعادوا إلى صنعاء طلبت منه أن يُطلقها على حسب العرف في ملكة النظر ، فأبى ؛ طمعًا منه في أن يرثها كزوجٍ ، وتدخل النَّاس ، فأصرّ على عدم طلاقها ، فاتَّفقوا في النهاية على أن تبقى في بيتها ، ويبقى في بيته ، ولا يُنفق عليها ، ولا تجلس معه ، واستمروا على هذا الوضع ، فحدث عكس ما كان الرجل يتمنى ، فقد مات الرّجل أولاً ، وورثته المرأة التي كان يطمع أن يرثها . فتأمل !.



---

(١) من شروط الحجّ الاستطاعة ، ومن الاستطاعة وجود المحرم للمرأة ، فإذا فقد المحرم فلا يجوز لها السفر ، ولا يجب عليها الحج إلا بوجوده وموافقته على السّفر معها ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] وتحصيل شروط الواجب ليجب لا يجب ، فلا يجب على المرأة أن تتزوج ليتوفّر الشّرط ، بله أن يعملوا هذه الصورة « ملكة النظر » ، راجع « فتاوي اللجنة الدائمة » (١١/٨٧-٩٨) .

(٢) عقد « ملكة النَّظر » صحيح عند جمهور علماء اليمن إلا القاسم بن محمَّد فإنّه قال : هو باطل ، قاله القاضي محمَّد ، وفي بعض البلاد يعقدون للمرأة الّتي تريد الحجّ وإن كانت متزوجة ، فاعجب من هذه الجهالات ! . راجع « السنن والمبتدعات » للشيخ محمَّد عبد السلام الشقيري – رحمه الله – ! .

﴿٢٣﴾ تفضلوا عليه به

يحكي القاضي محمد – حفظه اللهُ – فيقول : كان هناك خادم يُسمّى «قبول» ، فطرده سيده من خدمته ، فاستجار بأحد الأدباء ، فأرسل هذه العبارة لسيده ، فكانت سبباً في عودته إلى خدمة سيده ، والعبارة هي : صدر إليكم قبول ، فتفضلوا عليه به ، فإنّه أهل للاستخدام [(١)] .

﴿٢٤﴾ لا رحم الله الصينيين!

يحكي القاضي مُحمّد – حفظه اللهُ – :

كانت امرأة فقيرة تسكن في حجة ، وكان لها قرابة يطمئنون عليها بالمراسلة ، وكانوا لا يستطيعون المجيئ عندها ؛ لأنَّ الطَّريق بين حجة وصنعاء كانت وعرة جداً وغير مرصوفة ، فكان المُسافر يقطعها في عدّة أيام ، وبعد فترة رُصف الطّريق بين صنعاء وحجة على أيدي الصينيين [(٢)] ، فأصبحت الطَّريق سهلة وأصبح المُسافر يصل في ساعات من صنعاء إلى حجّة ، فأصبح قرابتها هؤلاء يأتون إليها كثيراً ، ويحتاجون إلى ضيافة ، وهي ليس عندها شيء ، فتستقبلهم قائلة : أهلاً وسهلاً .. لا رحم الله الصينيين ! .

● **قلت** : ومما يُمكن ذكره هنا ، ما حكاه صالح محسن في كتاب « ثورة ١٩٤٨م » (٣٩٢) وهو بصدد الكلام على حادثة نهب صنعاء بعد فشل ثورة

---

(١) الاستخدام ، مُصطلح بلاغي يرد في علم البديع ، وهو : ذكر لفظ مشتركٍ بين معنيين ، يُرادُ به أحدهما ، ثمَّ يُعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر ، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما . راجع « جواهر البلاغة » للسيِّد أحمد الهاشمي (٣٦٥) .

(٢) القائم على عمليّة رصف الطرق في اليمن شركة صينيّة منذ فترة طويلة .

الدستور (١٩٤٨ م – ١٣٦٧هـ) قال : « وهناك قصة لعجوز في « حجة » أنَّه جاء إليها أهل أرحب بعد أن جمعوا من النَّهب ما جمعوا وأبقوه لديها حتَّى يأتوا بالجمال لأخذه ، فوافقت على بقائه لديها ، وعندما وصلت الجمال حملوها ، وبقي جمل بدون حمولة ، فقاموا بنهب هذه المرأة وحمَّلوا الجمل وذهبوا ، فخرجت المرأة تصيح وتبكي في الشّارع ، فقال أحدهم لرفيقه : ارمها (أي بالرصاص) يا صالح ، ارمها .. قتلت الإمام وتبكي » !.

﴿ ٢٥ ﴾ كفن للميت الذي لم يمت !

يحكي القاضي محمد – حفظه اللهُ ـ :

أنّ رجلاً وقف في أحد مساجد صنعاء ، وتكلّم بحرقة بأنّه قد مات له ميت ، وأنَّه لا يجد ما يُكفنه به ، ونادى في النَّاسِ بصوت باكٍ : هل يرضيكم أن نترك الميّتَ هكذا حتَّى يجيف ؟ وتأثَّرَ النَّاس بِهذا ، وأقبلوا عليه ليعطوه ، ولكن فجأةً نادى فيهم أحد المصلين : لا تعطوه شيئًا ، وأنا مساعد – إن كان هناك ميّتٌ حقيقة – أن أدفع من ألف إلى عشرة ، بشرط أن أُشاهد هذا الميّت؛ لأنني رأيت هذا الرجل يقول هذا الكلام في مسجد آخر من يومين أو ثلاثة ، فأنكر السّائل ، وقال : تفضل معي لأُريك الميّت . فقال الرّجل : باسم الله ، هيّا. وذهب ليلبس جوربه ويأخذ حذاءه ، فانتهز السّائل الكذّاب هذه الفرصة ، وفرّ هاربًا يلتمس النّجاة !! .

● **قلت** : وهذه القصة تُذَكرني بما حكاه المؤرخ زبارة في « نيل الوطر » (٢٢٨) في ترجمة الفقيه الأديب أحمد محمد العلفي ، قال زبارة : « وله مع

وزراء المنصور على قضية مشهورة كان قد أفلس ، فعرضَ بحاجته لهم ، فلم ينل شيئًا منهم ، فأمسى ليلة بأشدّ ما لقيَ ، وكتب إلى كُلّ واحد منهم أنّ ولدي محمداً قد مات ، ولا أجد ما أُكفّنه به ، فاحضروا دفنه ، فبعث إليه كُلّ واحد منهم بِكفنٍ ومالٍ ، وأصبحوا يتواردون إلى المسجد الجامع بالروضة ، فلمّا أصبح قيل له : إنَّ وزراء الإمام وأعيان الدولة بالجامع ينتظرونك للجنازة ، فخرج إليهم وهو يضحك ، واعتذر بأن ولده أصابه بلغم وأقاله الله ، فعلموا أنّه خدعهم ، ومازالوا يضحكون ، ومازالت القالة شهراً من تلك الحالة » ا . هـ .

● **ومما يُناسب ذلك :** ما حُكِيَ [١] أنَّ أبا دلامة الشَّاعر [٢] دخل على الخليفة العبَّاسي المهدي [٣] يومًا فسلَّم عليه ، ثُمَّ قَعَدَ وأرخى عيونه بالبُكاء ، فقال له المهدي : ما لك ؟ قال أبو دلامة : ماتت أم دلامة . فقال : إنَّ لله وإنّا إليه راجعون ، ودخلته رقة لما رأى من جزعه ، فقال له : عظّم اللهُ أجرك يا أبا دلامة ، وأمر له بألف درهم ، وقال له : استعن بها في مصيبتك . فأخذها ودعا له وانصرف ، فلمّا دخل إلى منزله قال لأم دلامة : اذهبي فاستأذني على الخيزران جارية المهدي ، فإذا دخلت عليها فتباكي وقولي : مات أبو دلامة . فمضت واستأذنت على الخيزران ، فأذنت لها ، فلمّا اطمئنّت أرسلت عينها بالبكاء ، فقالت لها : ما لك ؟ قالت : مات أبو دلامة . قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، عظّم اللهُ أجرك وتوجعت لها وأمرت لها بألفي درهم ، فدعت لها

---

(١) راجع القصّة في « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشّجن » لأحمد محمد الشرواني (٧٣) .
(٢) أبو دلامة : زند بن الجون الأسدي بالولاء ت(١٦١هـ) شاعر مطبوع ، من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، نشأ في الكوفة ، واتصل بالخلفاء من بني العباس ، فكانوا يستلطفونه ، ويغدقون عليه صلاتهم ، وله في بعضهم مدائح ، وكان يتّهم بالزّندقة لتهتكه .
(٣) راجع « أزمنة التّاريخ الإسلامي (١/٢١٠-٢٢٥) .

وانصرفت ، فلم يلبث المهدي أن دخل على الخيزران ، فقالت : يا سيدي ، أما علمت أن أبا دلامة مات ! ، قال : لا يا حبيبتي إنّما هي امرأته أم دلامة . قالت : لا والله إنّه أبو دلامة . فقال : سبحان الله ! خرج من عندي السّاعة ، فقالت : وخرجت من عندي السّاعة ! وأخبرته بخبرها وبكائها ، فضحك وتعجب من حيلهما .

﴿٣٦﴾ البُخاري يذكر فضائل الإمام عليّ رضي الله عنه !

كان العلاّمة حسن بن زيد الديلمي (١) قد استقر بمدينة ذمار (٢) للإقراء والتّدريس بمدرسة ذمار الشّمسيّة ، فكان يُدرس جميع الفنون واعتنى بتدريس الأُمهات الست وغيرها من كتب الحديث ، وقد جرى بينه وبين بعض أهل ذمار قلاقل (٣) لتدريسه بهذه المدرسة في علوم الحديث ، ومن هذه القلاقل

---

(١) مولده – رحمه الله – بالذاري في رجب سنة ١٣١٢هـ ورحل إلى مدينة ذمار فأخذ عن علمائها ، ثمّ هاجر إلى صنعاء فأخذ عن كبار علمائها ، وأخذ عن القاضي إسحاق المجاهد في سنن أبي داود والنسائي والموطأ وبلوغ المرام وغير ذلك ، وأخذ عن المولى الحسين بن علي العمري صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والمنذري وغير ذلك ، توفي – رحمه الله – في بدايات القرن الخامس عشر من الهجرة ، راجع ترجمته في « نزهة النظر » لمحمّد زبارة وولده أحمد (١/٢٢٣–٢٢٤) ، و« تحفة الأخوان » للجرفي (٦٧) .

(٢) مدينة كبيرة تبعد عن صنعاء بمائة كيلو متر ، ويطلق عليها كرسي الزيدية ، ويكثر فيها التّعصب ، وينسب إليها نفر من أهل العلم ، وكانت أحد مراكز العلم والثقافة في اليمن ، وجامعها الكبير يعدُّ من أقدم المساجد الإسلاميّة ، وسميت باسم الملك ذمار علي ، أو ذمار بن دهمان ، وذمار : بفتح الذال المعجمة والبناء على الكسر زنة حذام ، وهكذا ينطق به اليمنيون ، وحكى الإمام البخاري : كسر الذال ، وتبعه كثير من أهل المعاجم ؛ لأنّه دخل اليمن وأخذ عن علمائها . راجع « صفة جزيرة العرب » للهمداني (١٠٠–١٠١) ، و« الموسوعة اليمنيّة » (١/٤٧٢–٤٧٣) ، و« اليمن الخضراء » للأكوع (٧٩) .

(٣) وكادت المسألة في ذلك تعظم لولا تدارك الإمام يحيى حميد الدين لذلك بإصدار أوامره القاطعة بزجر مريدي التّعرض للكلام في ذلك وتقرير العلامة المذكور على ما هو فيه من التّدريس والإقراء . راجع « نزهة النّظر » (١/٢٢٤) .

يحكي القاضي محمد – حفظه الله – :

كان العلاّمة المذكور يدرس يوماً في المَدْرسة الشّمسيّة « صحيح البخاري » وحوله طلبته ، فأراد أحد المُتعصبين من الشّيعة ، ويُدعى عليّ عقبات أن يوقع بهذا العالم ، فذهب إلى القبائل التي حول ذمار ، واستغاث بهم ، وقال لهم إنَّ الديلمي يُريد أن يُبدّل مذهب أهل البيت وهو مُبغض لعليّ بن أبي طالب والعترة المصطفوية ، فجاءت القبائل ، وحاصرت المسجد الذي يدرس فيه هذا العالم ، فمن فطنته وذكائه لمّا شعر بالأمر ، أمر الطَّلبة أن يفتحوا « صحيح البخاري » على باب فضائل عليّ بن أبي طالب ، وأخذ يُحدّث بهذه الفضائل، والقبائل يسمعون ويتعجبون من سماعهم الأحاديث في فضل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ثم قالوا لبعضهم : ولد عقبات هذا يكذب على ولد الديلمي أسمعتم الأحاديث في فضل أمير المؤمنين (١) ، وهذا ولد عقبات يقول بأنه

(١) بعض المتعصبين من الشيعة يشيع أنَّ البخاري لم يرو شيئاً في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذا كذب عجيب ؛ لأنه لو كان كذباً على كتاب مفقود ، لكان الأمر محتملا ، فكيف والبخاري في كلّ بيت ؟! ، ولكن هؤلاء الكذّابين يستغلون كسل النّاس وإهمالهم التّحقق من كذب الدعاوي أو صدقها ، وهاك ما أورده البخاري – رحمه الله – في فضل علي رضي الله عنه ، قال البخاري – رحمه الله– (٤/٢٠٧ –٢٠٩) : « باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه ، وقال النّبي ﷺ لعلي : « **أنت مني وأنا منك** » ، وقال عمر رضي الله عنه : توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، حدّثنا .. ثم أورد حديث : « **لأعطين الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله** » .. ثم أورد حديث : « **اجلس يا أبا تراب** » مرتين ثم حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « ... فذكر محاسن عمله ، وقال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النّبي ﷺ .. » ، ثمّ أورد حديث: « .. **إذا أخذتما مضاجعكما**..» ، ثمّ ختم بما رواه عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال : « اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتّى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي » قال البخاري : فكان ابن سيرين يرى أنَّ عامة ما يروى على عليّ الكذب . أ. هـ. وبعدها باب ، قال البخاري : « باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ، ومنقبة فاطمة عليها السّلام بنت النّبي ﷺ وقال النّبي ﷺ : « **فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة** » ، ثمّ أورد ثلاثة أحاديث منها : حديث : «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**» فتأمل عزيزي القارئ ما ذكرته لك وراجع بنفسك في البخاري لتعلم قدر هذا الإمام – رحمه الله – .

يبغض أمير المؤمنين ، هذا الديلمي [(١)] جدّه (أي علي بن أبي طالب) ، ثُمَّ انصرفوا لاعنين لعقبات هذا [(٢)] !! .

﴿ ٢٧ ﴾ رؤيا الشوكاني للأمير في المنام

حكى القاضي محمّد - حفظه الله - [(٣)] :

أنَّ الإمام الشَّوكانيّ [(٤)] - رحمه الله - قال : وقد رأيت العلامة محمد

---

(١) قال زبارة : في « نيل الحسنيين بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحسنين » (١٢٦-١٢٧) : « بيت الديلمي : السادة بيت الديلمي ، ينسبون إلى الإمام الأعظم الشهيد المنصور بالله أبو الفتح الديلمي الشهيد في سنة ٤٤٦ للهجرة بقاع الديلمي بين شراع وذمار ، وهو النَّاصر بن الحسين بن محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .. ثمَّ قال : وجامع نسب السادة الأعلام منهم الَّذين بمدينة ذمار ، هو السيِّد علي بن ناصر بن محمَّد بن المنتصر بن عبد الله بن محمَّد بن صلاح بن عبد الله بن الحسن بن المطهر بن صلاح بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم بن قاسم بن أحمد بن عبد الله بن الإمام أبي الفتح الديلمي .. إلخ » .

(٢) وهذه المحن وقعت كثيراً لمن درس الكتب الستَّة ونشر علومها كابن الوزير والجلال والمقبلي والأمير والشوكاني وبيت العمراني .

(٣) سمعتها من القاضي محمَّد - حفظه الله - من حوالي ست سنوات ، ثُمَّ وجدتها في « البدر الطالع » للشوكاني في ترجمة العلامة الأمير (١٣٨/٢) .

(٤) الإمام العالم محمَّد بن علي الشوكاني إمام مجتهد فقيه بارع ولد سنة ١١٧٣هـ ، وتوفي سنة ١٢٥٠هـ ، له مؤلفات عديدة منها : « نيل الأوطار » ، و« وبل الغمام » و« السيل الجرار » و«فتح القدير » و« الدراري المضية » و« البدر الطالع » وغيرها ، راجع ترجمته لنفسه في كتابه « البدر الطالع » (٢١٤/٢ - ٢٢٥) ، وأُلفت عنه عدَّة رسائل علميَّة ، منها : « الشوكاني المفسِّر » للدكتور إبراهيم توفيق أبو بكر الديب ، رسالة دكتوراه بكليَّة أصول الدين ، قسم التَّفسير وعلوم القرآن ، جامعة الأزهر عام ١٩٧٧ م ، « الإمام الشوكاني مفسراً » للدكتور محمَّد حسن بن أحمد الغماري ، رسالة دكتوراه بكليَّة الشَّريعة ، جامعة أم القرى عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) ، و«القراءات في تفسير الشوكاني فتح القدير» للدكتور أحمد بن عبد الله المقري ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلاميَّة ، شعبة التَّفسير ، عام ١٤٠٤-١٤٠٥ هـ . و« الإمام الشوكاني حياته وفكره » للدكتور عبد الغني قاسم غالب الشرجبي ، رسالة دكتوراه بجامعة صنعاء ، كليَّة التَّربية ، عام ١٤٠٨هـ ، و«الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقاديَّة في الإلهيَّات بين السلف والزيديَّة » للباحث سعيد إبراهيم سيد أحمد ، رسالة ماجستير بكليَّة الشريعة ، جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ ، و«منهج الإمام الشوكاني في العقيدة » للدكتور عبد الله نومسوك » رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلاميَّة، قسم العقيدة ١٤١٢هـ .

بن إسماعيل الأمير [١] في المنام في سنة ١٢٠٦ هـ ، وهو يمشي راجلاً وأنا راكب في جماعة معي ، فلمّا رأيته نزلت وسلّمت عليه ، فدار بيني وبينه كلام حفظت منه أنَّه قال : دقِّقْ الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول الله صلّى عليه وآله وسلم ، فخطر ببالي عند ذلك أنّه يُشير إلى ما أصنعه في قراءة البُخاري في الجامع ، وكان يحضر تلك القراءة جماعة من العلماء ، ويجتمع من العوام عالم لا يحصون ، فكنت في بعض الأوقات أُفسّر الألفاظ الحديثية بما يفهم أولئك العوام الحاضرون ، فأردت أن أقول له إنه يحضر جماعة لا يفهمون الألفاظ العربية ، فبادر وقال – قبل أن أتكلم – : قد علمت أنه يقرأ عليك جماعة وفيهم عامة ، ولكن دقق الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول الله ﷺ ، ثُمَّ سألته عند ذلك عن أهل الحديث : ما حالهم في الآخرة ؟ فقال: بلغوا بحديثهم الجنَّة ، أو بلغوا بحديثهم بين يدي الرحمن ، ثُمَّ بكى بكاءً عاليًا وضمّني إليه وفارقني ، فقصصت ذلك على بعض من له يد في التّعبير ، وسألته عن تأويل البكاء والضّم، فقال: لابُدّ أن يجري لك شيء مما جرى [٢] له

(١) الإمام العلم محمَّد بن إسماعيل الأمير ، المعروف بالصنعاني ، إمام مجتهد ، نبذ التقليد ، وعمل بالكتاب والسنَّة وصنف المصنفات الفريدة المفيدة ، مثل : « سبل السلام » و« منحة الغفار » و«العدة» وغيرها ، وقد وقعت له محن بسبب نشره للسنَّة وعمله بالدليل ، توفي – رحمه الله – سنة ١١٨٢ هـ ، راجع ترجمته في « البدر الطَّالع » (١٣٢/٢ – ١٣٩) ، و« نشر العرف » لزبارة (٢٩/٣ –٦٩) ، وكتاب « مصلح اليمن محمَّد بن إسماعيل » لعبد الرحمن طيب بعكر .

(٢) من المحن الَّتي جرت للأمير : أنَّه لم يذكر الأئمَّة الَّذين جرت العادة بذكرهم في نهاية الخطبة الثَّانية ، فثار عليه جماع من آل الإمام الَّذين لا أنسة لهم بالعلم ، وعضدهم جماعة من العوام وتواعدوا فيما بينهم على قتله في المنبر يوم الجمعة المقبلة ، وكان من أعظم المحشدين لذلك السيد يوسف العجمي ، فبلغ الإمام المهدي ما قد وقع التواطؤ عليه ، فأرسل لحماعة من أكابر آل الإمام وسجنهم وأرسل للأمير أيضًا وسجنه ، وأمر بطرد السيّد يوسف المذكور من الديار اليمنيّة وولى الخطابة غير الأمير .. ومازال الأمير في محن من أهل عصره حتّى توفي – رحمه الله – . راجع « البدر الطالع »(١٣٤/٢ وما بعدها) .

من الامتحان ، فوقع من ذلك بعد تلك الرؤيا عجائب وغرائب [١] ، كفى الله شرّها .

● **قلت** : ومما يُناسب ذلك ما طالعته في رسالة « الحاوي لمساوي السماوي » للعلامة يحيى بن المطهر بن إسماعيل – رحمه الله – ١٢٦٨ هـ وهي مخطوطة ، قال : « .. رأى من يغلب الظنّ بصدقه منامًا : أنَّ الصّحابة على فرسانهم في القاع الذي غربي بير العزب ، فقالوا : جئنا ننصر محمداً الشوكاني الَّذي يذبُّ عنَّا .. » .

﴿٢٨﴾ المسفلة « متخصصة في رؤيا الأموات » !

المسفل أو المسفلة : رجل أو امرأة تزعم أنَّها أوتيت موهبة رؤية الأموات في المنام ، ومعرفة أحوالهم في قبورهم من سعادة أو شقاوة ! ، فإذا مات إنسان – ذكرًا أو أنثى – جاء أهله إلى المسفلة ، فسألوها أن ترى لهم هذا الميت في منامها وتعرف حاله ، وما عليه من ديون – إن كانت – أو ما له من حقوق عند الناس –إن وجدت فتصبح المسفلة مُخبرة أنَّها رأت هذا الميّت في منامها وأنَّ حاله طيّبة أو سيّئة ، وأنّ عليه من الدّين كذا وكذا .. ، أو له من المال عند فلان كذا وكذا ...، أو أنَّ له مالاً مُخبأً في المكان الفُلاني .. إلى آخر مثل هذه الأخبار العجيبة .. وبمناسبة الكلام على المسفلة ، حكى لنا القاضي مُحمَّد هذه الحكاية الطريفة [٢] :

---

(١) أي أنه قد وقع للإمام الشوكاني محن عديدة مثلما وقع للأمير تمامًا ، راجع بعض ما وقع للشوكاني من المحن فيما حكاه بنفسه في كتابه « أدب الطلب » .

(٢) كنت قد سمعت هذه الحكاية من القاضي محمّد أولاً ، ثمَّ طلبت منه مصدراً من مصادرها ، ═

كان الأديب الفقيه أحمد بن محمد العلفي قد صحب سعد يحيى العلفي وكان الأخير غنيًا ، وكان يُكرم الأديب أحمد العلفي المذكور ويُعطيه من ماله ، فلمَّا توفى سعد العلفي هذا ، وورثه ولده أحمد سعد يحيى ، فكان هذا الولد شديد الإسراف ، ولم ينل منه الأديب أحمد العلفي شيئًا ، فاحتال عليه بأن دسّ إليه من يُحدّثه بخبر المسفلة الّتي تُخبر عن الموتى وعن أحوالهم ، فقصّ الجماعة الحاضرون بموقف أحمد سعد يحيى خبرها ، فتعجب من أمرها ، وسألهم عمَّا قاله العُلماء فيها ، فقالوا : إنهم قضوا بصحة ما تُخبر به [1] ، فلمَّا علم الأديب أحمد العلفي أنَّه قد تمكن الخبر من قلبه ، أرسل امرأة بأحرة تُخبر أحمد سعد يحيى أنَّها مسفلة ، فسألها أن تأتي بخبر والده ، فعادت إلى الأديب العلفي فأخبرته ، فقال لها : قولي له - إذا جئت غداً - : إنّي دخلت المقبرة (أي بروحها كما تزعم المسفلة) ، فوجدت والدك في نعيم وسرور في

فذكر لي « نيل الوطر » للمؤرخ زبارة ، فوجدتها في ترجمة الفقيه أحمد بن محمّد العلفي (٢٢٩-٢٣٠) وهي موجودة أيضاً في « نشر العرف » (٧٣٣/١) لزبارة .

(١) هذا زعم غير صحيح ، ولا أعلم من يقول بصحة ما تخبر به شيخنا العلامة محمّد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - ، إلا أنه يقول : شأنها صحيح ، ولكن لا يعمل بقولها في الشّريعة ، فإذا أخبرت بأن الميت له دين على فلان ، لا يصح إلزامه بهذا الدين إلا ببيّنة شرعيّة ، وهو في تصحيح شأنها اعتمد على كلام العلامة محمّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني في « جمع الشتيت » (٨٦) قال : « .. قلت : واعلم أنَّ الله تعالى لمَّا طوى أمور سكّان القبور عن المشاهدة للمعذّب منهم والمنعم جعل لبعض عباده اطّلاعًا على أحوالهم في المنام ومشاهدتهم لأمور صادقة عند الأنام بحيث أنّه قد يخص تعالى رجلاً أو امرأة بذلك ، وتصير معروفة بإتيان الأموات في منامها وتأتي عنه بأخبار يصدقها فيه قراباتهم ومن كان يلابسه ، وقد يرسل بعض قرابة الميت من الأحياء إلى من يريده من الأموات من عرف بإتيانه بأخبار الموتى ويبلغ عنه ما توصي به إليه ويأتي بجوابه ، وقد أخبرنا أمة بعد أمة من خيار النّاس بوقوع ذلك حتّى صار يقينًا ، لكثرة وقوعه ، ويسمون من يأتي الموتى بالمسفل والمسفلة .. إلخ كلامه رحمه الله » .

- **قلت** : وهذا الّذي قاله الأمير - رحمه الله - مردود ، فالمسفلة دجّالة من الدجّالين ومُدّعية لعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، ومدّعية أنها تستدعي الرؤساء في الوقت الّذي تريد ، والنّبي ﷺ يقول : **«الرؤيا من الله ..»** الحديث متفق عليه ، ولولا أنَّ المكان غير مناسب لأكملت الردّ على الأمير ، وقد كتبت رسالة طويلة في بطلان أمر المسفلة وبيان أنّها دجّالة .

جنات عالية ، خلا أنَّه قال : لم يجد بعد المَوْتِ مُكدراً ولا مكروهًا إلا من أحمد بن محمد العلفي (الأديب المُدبر للحيلة) ، ففعلت ، فقال الأديب العلفي : فلم أشعر إلاَّ وقد أرسل إليَّ واستفهمني عن والده ، فقلت : نعم ، إنَّه كان بيني وبين والدك أمر عظيم واتصال كليّ ، وأنه فعل معي وفعل (أي قصّر في حق صحبتي له ، ولم يقم بحقها) ، وإنّي لا أعذره بين يدي الله عزَّ وجل ، ولابدّ من السؤال عمَّا صنع معي من المصائب .

فقال : سألتك بالله إلا ما أقلته من المصائب ، ولك ما اقترحت ، قال الأديب العلفي : فاقترحت من فاخر ثياب والده ما كان يستجوده ، فأعطاني ، فلمَّا أخذ العلفي ما أخذ باع ذلك كلّه في السوق ، فبلغ أحمد سعد يحيى فشراه بمال جزيل ، ثُمَّ دسَّ العلفي إليه من يُخبره بأن تلك حيلة منه ، فتألّم لذلك ولقيه بعدها وهو يضحك ، فعلم أنه قد خدعه ، ولعنه جهاراً . ا. هـ .

● **قلت** : وقد وجدت حكاية أخرى لطيفة في « نيل الوطر » (١٥٢ – ١٥٣) في ترجمة القاضي علي بن قاسم حنش الصنعاني المتوفي سنة ١٢١٩هـ ، وهي تدل على ما ذكرت في الحاشية من كذب المسفل ، قال زبارة : « ولصاحب الترجمة (أي القاضي علي بن قاسم حنش الصنعاني) خبر مع مسفلة كانت تأتي النَّاس بأحوال موتاهم ، فأراد إظهار كذبها وكذب مرماهم ، فدعاها إليه ، وسألها عن والده ، وأوهمها أنَّه مات ، فوعدته بدخول المقبرة (أي بروحها) ليلتها ، لتأتيه بحديث عن أبيه ، وكان والده إذ ذاك على قيد الحياة ، فلمَّا أصبح دعا جماعة ممن فتن بها ، ووالده مع الجماعة ، فوقفت خلف باب منزله فاستفصحها الخبر عن والده ، فقالت : رأيت والدك في نِعم ونعمى لابسًا لحلّة عُظمى محفوفًا بالوصائف مسرور القلب منشرح

الخاطر ، وقالت : إنّه أودعها وصيّة إليه ، وبالغ في شرح حاله عليه ، وأنَّها لا تتكلم بحضرة واحد من النَّاس ، فقال لها : هذا الوالد في المكان ، استتمي شرح القصَّة ، ومن رأسك إلى رأسه ، فضحك حاضروه » .

● **تنبيه** : اعلم – أيها القارئ العزيز – أنّ الرؤى والأحلام ليست بحجّة أو دليلاً في الشَّريعة المُطهَّرة ، وإنَّما علمها البشارة والنذارة ، باستثناء الأنبياء فإنَّهم إذا رأوا في منامهم فهو وحي من الوحي بدليل رؤيا نبي الله إبراهيم عليه السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ [الصافات: ١٠٢] ، وأمَّا إذا رأى عامة النَّاس الأنبياء في المنام ، فليست بحجَّة شرعية ، وإن كان المرأي هو سيد ولد آدم ﷺ ، فرؤياه حق كما في الحديث المتواتر : « **من رآني في المنام فقد رآني حقًا ، فإنَّ الشَّيْطان لا يتمثّل بي** » ولكنَّها ليست دليلاً شرعيًا لاحتمال الكذب من الرائي أو الوهم أو الاختلاط ، وعلى هذا وقع الإجماع ، قال النووي – رحمه الله – في « شرح مسلم » (١/١١٥) : « قال القاضي عيَّاض – رحمه الله – : هذا ومثله استئناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان ، لا أنَّه يقطع بأمر المنام ، ولا أنه تبطل بسببه سنّة تثبت ، ولا تثبت به سنَّة لم تثبت ، وهذا بإجماع العلماء ، هذا كلام القاضي ، وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم ، فنقلوا الاتفاق على أنَّه لا يغير بسبب ما يراه النَّائم ما تقرر في الشَّرع ، وليس هذا الذي ذكرناه مُخالفًا لِقوله ﷺ : « **من رآني في المنام فقد رآني** » فإنَّ معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان ، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به ؛ لأنَّ حالة النَّوم ليست حالة ضبط وتحقيق .. إلخ » وراجع «التنكيل» للمعلمي (٢/٢٤٢) .

﴿٢٩﴾ لا يُقتل مرتين [١] !

يحكي القاضي العمراني – حفظه الله – ، فيقول :

كان يعلى بن أميَّة واليًا على اليمن ، فوصل إليه رجل من حفاش يشكو رجلاً قتل ابنه ، فكتب يعلى بن أميَّة إلى سعيد بن عبد الله الكنديّ ، وكان عامله على حفاش وملحان أن يُرسل إليه القاتل ، فقدم به سعيد على يعلى ، فدعا يعلى عدة من صلحاء أهل صنعاء ، ودفع إلى أب المقتول سيفًا يُقال له البحتري ، وقال له : اقتله ، وهؤلاء شهود ، فضربه حتَّى جدعه بالسيف ، ورأى أنَّه قد قتله ، فاحتمله أهله ليدفنوه في قبره ، فوجدوه يتنفس وبه رمق ، فداووه فشفى ، ثُمَّ وجده أبو القتيل بعد ذلك يرعى غنم أبيه ، فأتى يعلى وقال : إنَّ قاتل ابني حي ، فكتب يعلى إلى عامله ، فأشخصه إليه ، فإذا هو ، فحسبت جراحه فوجد فيها الدّية ، فقال له يعلى : إن شئتَ فادفع إليه الدية واقتله ، وإلاَّ فدعه ، فلحق الرجل (أبو المقتول) بعمر بن الخطاب ﷺ وشكا إليه يعلى وأنَّه حال بينه وبين قاتل ابنه ، فغضب عمر ﷺ وعزل يعلى ، وبعث المُغيرة بن شعبة ، وأمره بأن يشخص إليه يعلى بن أميّة ، فأشخصه المُغيرة وأساء إليه ، فلمَّا قدم يعلى على عُمر وأخبره الخبر ، استشار علي بن أبي طالب ﷺ ، فأشار عليه بصحة ما قضى به يعلى ، فردَّه عمر ﷺ إلى عمله وعزل المُغيرة ، ولَمَّا رجع يعلى أحسن إلى المُغيرة ، فقال المُغيرة : والله إنَّ يعلى خيرًا مني حين عُزل وحين ولِيَ .



(١) راجع « مساجد صنعاء ، عامرها وموفيها » للعلامة محمد أحمد الحجري (١٣٥) .

﴿٣٠﴾ لو اجتمع عليه أهل صنعاء لقتلهم به!

وحكى القاضي محمَّد - حفظه الله -[(١)] :

وحدث في مدَّة ولاية يعلى بن أميَّة[(٢)] على اليمن ، أنَّه كان يعيش في صنعاء صبي يُدعى أصيل ، وكان لوالد أصيل زوجة فاسدة ، وكان لها ستة أخلاَّء ، وأنَّها قالت لأخلائها : أنَّهم لا يستطيعون الانفراد بها ، حتَّى يقتلوا ابن زوجها (أصيل) ، فقالوا لها : أمسكيه عندك ، فأمسكته فقتلوه وألقوه في بئر قرب غمدان ، وأخذت أم أصيل تطوف بالشوارع وتسأل عنه وتدعو الله أن يكشف لها ما وقع لولدها ، واهتمَّ الوالي يعلى بن أميَّة بقضية أصيل وبذل جهده في حل القضيَّة ، ووعد من يُساعد في كشف الأمر بالوعود الحسنة والمكانة السامية ، وبعد أيام قلائل ، وصل إليه بعض الأذكياء من أعوانه وأخبره أنه شاهد في بئر قرب قصر غمدان ذباباً أخضر يصعد منه بكثرة ، وأنَّه لا يكون هذا الذباب إلا عند ميتة ، فخرج يعلى إلى البئر المذكور ، وأمر بنزول أحد الحاضرين للكشف عن البئر ، فانتدب أحد القاتلين - وهم لا يعلمون - وكان حاضراً لمراقبة الحالة ، فلمَّا نزل البئر ، وجد القتيل طافيًا على الماء فوضعه في حفرة بجانب البئر ، وأخبر الوالي أنَّه ما وجد شيئًا ، فلم يُصدقه الوالي ؛ لأنَّ الرائحة كانت قويَّة بعد نزول القاتل وتحريكه للقتيل ، وأمر الوالي

---

(١) كنت قد سمعتها من القاضي محمَّد في البداية ، ثُمَّ وجدتها في « مساجد صنعاء ، عامرها وموفيها » للحجري (١٣٤-١٣٥) وراجع «وصف صنعاء» لعلي بن عبد الله بن القاسم (١١).

(٢) قال الحجري في المصدر المذكور : « .. يعلى بن أميَّة ، أو ابن منية ، فأمية أبوه ، وهو أمية بن أبي عبيد بن همام بن الحارث بن بكر من بني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ومنية أمه ، وهي منية بنت شبيب بن الحارث من بني مازن بن منصور بن عكرمةبن جعبهة بن قيس بن عيلان ، وهذا يعلى هو الَّذي استخلفه أبان بن سعيد على ولاية صنعاء في زمن الرسول ﷺ ، واستمرت ولايته إلى مقتل عثمان رضي الله عنه .. إلخ » .

بنزول رجل آخر من الحاضرين ، فكشف الحقيقة ، وحينئذ ظهرت أمارات الخوف على القاتل ، وامتقع لونه ، فأمر الوالي بحفظه إلى أن أخرج القتيل من البئر ، فكان الوالي التّشديد على القاتل ، فاعترف بكل شيء وذكر شركاءه في الجناية ، فقبض عليّهم الوالي ، ورفع القصّة إلى عمر بن الخطّاب ، فتردد عمر في قتل الجميع حتّى قال له علي بن أبي طالب : أرأيت أو أنَّ نفراً اشتركوا في سرقة جزور (أي : جمل) ، فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً ، أكنت قاطعهم ؟ قال : نعم ، قال : فكذلك هذا . فكتب عُمر إلى يعلى بقتل جميع المُشاركين في قتل (أصيل) ، وقال كلمته الشهيرة : «**لو اجتمع عليه أهل صنعاء لقتلتهم به**» فقتلوا الستّة مع زوجة والد أصيل .

﴿٣١﴾ الطبقية تصدّ عن دين الله عز وجل

يحكي [١] القاضي محمّد – حفظه الله – :

كان هناك رجل مُثقّف واسع الاطلاع قبل الثورة (١٩٦٢م) يُسمَّى المحلوي [٢] ، ولولعه بالبحث والاطّلاع ، فقد استعار التوراة والإنجيل (العهد الجديد والعهد القديم) من بيت سعيد يسر ، وأراد أن يدرس التّوراة على الحاخام اليهودي الكبير يحيى الأبيض [٣] الّذي كان متبحراً في العلوم اليهودية

(١) هذه الحكاية كنت سمعتها من القاضي محمّد – حفظه الله – من عدة سنوات ، ثُمَّ وجدتها أخيراً في كتاب « الطّريق إلى الحريّة مذكرات العزي صالح السنيدار » (٦٠-٦١)وفيها زيادات فأدخلتها.

(٢) محمّد بن عبد الله المحلوي ، مثقف سياسي صاحب نكتة وظرف ، كان من أوائل الثوّار على العهد الإمامي ، حبس عدة مرات ، ثمّ توفي على إثر خروجه من الحبس . راجع الكلام عليه في « الطريق إلى الحريّة » (١١-٢٣) .

(٣) وكان دردعي المذهب مثل البروتستانت في المسيحيّة .

والإسلامية مُنصفًا إلى حد ما [١] ، وفي يوم خلا المحلوي مع يحيى الأبيض ، فقال له : بالله عليك بصفتك قد اطلعت على كتب المسلمين اطّلاعًا كاملاً ، فما رأيك في الدّين الإسلامي ؟ فقال الحاخام يحيى الأبيض : الّذي جاء به محمّد عليه السّلام هو الحق ، ولا ننكره ولكن أين المسلمون اليوم ؟ فقال المحلوي : هل لك رغبة في الدّين الإسلامي ، وهل تُحدّثك نفسك بشيء ؟ فقال : بالله عليك يا عزي ، أنا بين اليهود بهذا المنصب ومقدّر عندهم ، بل وعند المسلمين وخاصة رجال الحكومة ، فماذا يحدث لو أسلمت ؟ ماذا سيكون موقفهم مني ؟ أنظف القاذورات أو موقّر [٢] ، هل سيقدرونني مثل أيام النبي « **له ما لنا ، وعليه ما علينا ، ويُؤتى أجره مرتين** » [٣] ؟ ولكن لن يحدث شيء من هذا سيسمونني : يحيى المهتدي [٤] ويحتقرونني ، من منهم سيزوجني بأخته أو ابنته ؟ فهذا أحسن لي والله المُطّلع على السرائر . فسكت المحلوي ، وانتقل به إلى حديث آخر .

● **قلت** : ومما يُمكن أن يُضاف إلى هذا ، ما ذكره ابن الجوزي في

---

(١) حتّى أنّه عندما اطّلع على كتاب « إظهار الحقّ » لرحمت الله الهندي العلامة الكبير الذاب عن الدين الإسلامي الّذي جرت مناظرة بينه وبين العالم المسيحي فندر في حيدر آباد ، اطّلع عليه الأبيض وأيدّ بعض ما فيه . راجع « الطريق إلى الحريّة » (٦٠) .

(٢) قبل أن يعرف النّاس الطّواحين ، كان في كل بيت في اليمن رحي ، وبكثرة استعمالها تُصبح ملساء ، فيوقرونها أي يضربونها بأزميل لتعود خشنة كما كانت ويسمّي من يعمل ذلك موقر ، وهي مهنة وضيعة لا يحترفها إلا من سدت أمامه أبواب الرزق . راجع « الطّريق إلى الحريّة » (٨) .

(٣) الحديث الأول وهو « **له ما لنا وعليه ما علينا** » لا يصح ، راجع في ذلك « تخريج كتاب الحلال والحرام » للألباني ، والحديث الثاني وهو « **يؤتى أجره مرتين** » صحيح مشهور .

(٤) كان أهل اليمن يطلقون على من أسلم من اليهود والنصارى المهتدي ، وكان النظام الطبقي ينظر إلى المهتدي نظرة احتقار ويجعله في أدنى الطّبقات ، ومن أمثالهم الّتي تحمل هذا التّعصب «اليهودي يهودي ولو أسلم » والمعنى أن طبيعة اليهودي هي المكر واللؤم فلا يطهر من لؤمه ولو أسلم . راجع « الأمثال اليمانيّة » للقاضي إسماعيل الأكوع (١٣٨٨/٢) رقم (٦٠٢٨) .

« أخبار الظّراف والمتماجنين » (١٣٦ - ١٣٧) قال : « قال عبد الله بن سليمان بن الأشعث سمعت أبي يقول : كان هارون الأعور [١] يهوديًا فأسلم ، وحسُن إسلامه ، وحفظ القرآن والنّحو ، فناظره إنسان في مسألة فغلبه هارون ، فلم يدر المغلوب ما يصنع ، فقال له : أنت كنت يهوديًا فأسلمت . فقال هارون : فبئس ما صنعت ؟! ، فغلبه في هذا أيضًا .

﴿٣٢﴾ عنزة ولو طارت [٢] !

قال القاضي محمد - حفظه الله - :

خطب العلاَّمة يحيى بن محمد الكبسي [٣] خطبة بليغة في الجامع الكبير بصنعاء ، في يوم الجمعة ناهيًا النَّاس عن الجمع بين الصَّلاتين ، ومُبينًا لهم لزوم التَّوقيت ، شارحًا لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾ [النساء : ١٠٣] ، ثُمَّ صلى بهم الجُمعة ، فبمجرد أن قال السَّلام

---

(١) هارون بن الحائك الضّرير : نحوي على مذهب الكوفيين من أعيان أصحاب ثعلب ومن طبقته ، وكان يناظِر المبرد .

(٢) هذا مثل يضرب للمعاند المستمر في عناده ، وإن ظهر بعده عن الصواب ، وأصل قصته : أنَّ رجلين كانا يسيران في غابة في الظّلام ، فرأيا شيئًا يتحرك من بعد، فقال أحدهما: هذه عنزة وقال الآخر: هذا طائر، وأمسك بحجر وألقاه ناحيته، فطار في الجو فقال الأول : عنزة ولو طارت ، فصارت مثلاً .

(٣) هو السيد العلامة يحيى بن محمّد بن أحمد الكبسي ، مولده سنة ١٣٢١هـ ، أخذ عن مشائخ المدرسة العلميّة في العربيّة والفقه والأصول وأتقنها وتولّى القضاء بناحية حريب مدّة طويلة ، ثمَّ كان من أعضاء الهيئة الشّرعيّة بمدينة تعز أيّام الإمام أحمد ، وفي عهد الجمهوريّة صار من أعضاء محكمة الاستئناف ، وهو ذو خلق كريم ، توفي منذ حوالي ١٥ سنة ، راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٢/٦٤٦) . هذا ما نقلته من « نزهة النظر » وقد ضرب عليه القاضي العمراني بالقلم وكتب : « السيّد يحيى الكبسي ، كان علماً ضريراً من حفّاظ القراءات السبع ، وممن له على بعض العلوم الإسلاميّة ، ولم يتولَّ أي ولاية ، لكونه كان ضريراً أعمى ، وقد عاش في الرّوضة إلى أن مات » .

عليكم ورحمة الله ، قال رجل صائحًا : عصر ! فقال بعض الحاضرين : ومن أراد أن يقرح يقرح (أي : ومن أراد أن ينفجر فلينفجر !) ، وفعلاً أُقيمت صلاة العصر في وسط صرح الجامع الكبير .

﴿٣٣﴾ أخرج هذا العبد !

قال القاضي محمَّد - حفظه الله - :

كان الإمام المنصور علي إمامًا على اليمن في الفترة (١١٨٩-١٢٢٤هـ) وكان أسوداً كأنَّه عبد ؛ لأنَّ أمّه كانت جارية حبشية ، وأراد في يوم من الأيام أن يدخل الحمام العام ، فطلب من الحمامي أن يفرغ له الحمام ففرغه إلا من رجل كبير السنّ شيبة كان يغتسل ويتحمم ، فأمر المنصور علي بتركه في الحمَّام ، ودخل المنصور عليّ يتحمم بجوار الرجل الشيبة ، وبعد دقيقة مرّ ابن الحمَّامي ليخدم المنصور عليّ ، فناده الرجل الشيبة ، فقال الصبي : ماذا تُريد ؟ فقال الرجل الشيبة : أُريد أن تُبعد هذا العبد - وأشار إلى المنصور علي - من هنا ؛ فإنّه قد سدّ نفسي (وبلغة أهل صنعاء : غاثى نفسي) بمنظره الكريه عن الاستحمام ، فأخذ الغلام الدلو وضربه به ، فرآه المنصور عليّ وقال : ما هذا ؟ لماذا تضرب هذا الرّجل الشّيبة ؟ أما عندك أدب ؟ ما السّبب؟ فقال الصّبيّ : ما فيش (أي : ليس هناك شيء) ، فقال المنصور : لابُدّ من حبسك . فقال الصّبي : يا سيدي ، أنا كُنت في مصلحتكم . فقال المنصور : كيف ؟ فحكى له الصّبيّ الحكاية ، فضحك المنصور ، وقال : ما نفعل ، كان لا يُعجبهم إلا الجواري السود ! .



● **قلت :** ومما يُناسب هذه الحكاية ما روي : أنَّ علي بن موسى الرضا – رحمه الله – كان يميل لونه إلى السَّواد ؛ لأنَّ أمه كانت أمة سوداء ، وكان له بنيسابور على باب داره حمام ، وكان إذا دخل الحمَّام ، فرغ له ، فدخل ذات يومٍ ، فأطبق الحمَّامِي باب الحمَّام ، ومر إلى بعض حوائجه ، فتقدّم إنسان رستاقي إلى باب الحمَّام ودخل ونزع ثيابه ، ودخل الحمام ، فرأى علي بن موسى ، فظنّ أنَّه بعض خدم الحمَّام ، فقال : قُم فاحمل إليَّ الماء . فقام علي بن موسى – رحمه الله – وامتثل جميع ما كان يأمره ، فرجع الحمَّامي ، فرأى ثياب الرستاقي ، وسمع كلامه مع علي بن موسى – رحمه الله – ، فخاف وهرب وخلاهما ، فلمَّا خرج عليّ بن موسى وسأل عن الحمَّامي قيل له : إنَّه خاف مما جرى ، فهرب ، فقال : لا ينبغي أن يهرب ، ليس الذنب له ، إنَّما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء . راجع « حدائق النمام » للكوكباني (٢٠٦) .

● **قلت :** وهذه الأمة تُدعى « أم البنين » !! .



﴿٣٤﴾ انقلاب عسكري في تعز[1] !

يحكي القاضي محمَّد - حفظه الله - :

كان عبد الله عبد الوهّاب نعمان[2] يحرر جريدة « الفضول »[3] من عدن في عهد الإمام أحمد ، وكانت نصف شهرية ، وفي يوم من الأيام نشر في العنوان الرئيسي في جريدة « الفضول » « انقلاب عسكري في مدينة تعز » وهزّ العنوان النَّاس ، فاشتروا الجريدة ، ثُمَّ وجدوا تحت العنوان شرحًا لهذا الانقلاب : بأنَّه قد سقط أمس جُندي (عسكري) من على حماره ، فانقلب على رأسه .. إلخ ، فضحك النَّاس وتعجبوا ! .



---

(١) تعز : بفتح المثناة وكسر المهملة ، إحدى مدن اليمن الكبار ، كانت في بعض الفترات عاصمة لليمن ، تبعد عن صنعاء بمسافة ٢٥٦ كيلو متر ، ممنوعة من الصرف للعجميَّة ووزن الفعل ، وسيأتي - إن شاء الله - مزيد كلام عليها . وراجع « الموسوعة اليمنيّة » (١/٢٤١ - ٢٤٢) .

(٢) قال القاضي العمراني : « كان عبد الله النعمان يدرس معي القرآن في المعلامة ، وكان لا يحفظ وكان سيدنا يضربه بسبب ذلك ، وكنت أظنه بليداً ، ولكن يبدو أنه أدخله أبوه وأجبره على ذلك ، ولم يكن عنده رغبة ، ولذلك لم يكن يحفظ ، ولكن ظهر ذكاؤه وشعره بعد ذلك ، فكان غاية في الذّكاء وإجادة الشعر » أ. هـ . قلت : وقد خلطت « الموسوعة اليمنيّة » (٢/٦٣٥) بين ترجمة عبد الله محرر « الفضول » وأبيه عبد الوهاب ، فانتبه .

(٣) في « الموسوعة اليمنيّة » (٢/٥٦٠) : « .. ومن أبرز الصحف اليمنيّة في الأربعينات (الفضول) وقد صدرت في عدن عام ١٩٤٨ م ، وكرد فعل لظهور صحيفة الفضول في عدن ، وصحيفة السلام في كاردف ، صدرت في عدن صحيفة سبأ عام ١٩٤٩م لصاحبها محمَّد عبده صالح الشرجبي ، وكانت موالية للإمام أحمد ، وقد نقلت إلى تعز بعد أن أغلقها في عدن الحاكم الإنجليزي سيجر ... إلخ » .

﴿ ٣٥ ﴾ التَّوقيت جائز !

من المعلوم تساهل المتمذهبين بالمذهب الهادوي في مسألة توقيت الصلوات، فيجمعون غالباً بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، وكان ممن يجمع بين الصلوات الإمام يحيى حميد الدين الَّذي حكم اليمن في الفترة (١٣٢٣-١٣٦٧هـ) ، فيحكي القاضي محمَّد - حفظه الله - :

أنه كان الإمام يحيى في يوم من الأيام جالسًا في ديوانه ، وذلك في آخر عمره وعنده القاضي العلاَّمة عبد الله العيزري بعد أذان العصر ، وكان الإمام يحيى قد جمع بين الظهر والعصر ، فجاء السيِّد علي بن حسين الشَّامي ، وقال: من لم يُصل العصر ؟ فقال القاضي العيزري [١] : أنا ، فقاما يُصليان معًا صلاة العصر في وقتها ، وبعد أن سلّما ، أراد الإمام يحيى أن يبين صواب فعله في الجمع بين الصلاتين ، فقال للموجودين في حضرته : انظروا إلى هذين اللذين لا يأخذان برخصة رسول الله ، فالتفت إليه القاضي العيزري ، وقال : يا مولانا ، كونوا وقتوا ولو مرّة في السنة حتى يعلم النَّاس أنَّ التّوقيت جائز ! .

● **قلت** : ومما يُناسب ذلك ما ورد في كتاب « أخبار أبي العيناء » (٥٨) : « قال محمد بن مكرم يومًا : مذهبي الجمع بين الصّلاتين ، فقال أبو العيناء : صدقت ، تجمع بينهما بالترك » .

---

(١) القاضي العلامة فخر الدين عبد الله بن محمّد العيزري ، مولده بضوران ١٢٧٨هـ ، ونشأ بمدينة ضوران ، وقرأ على كبار مشايخ اليمن ، منهم القاضي يحيى بن علي الإرياني والقاضي علي بن محسن الغشم والسيّد علي بن يحيى بن المتوكل ، وكان عالمًا حافظًا ورعًا تقيّاً زاهداً واسع الإطلاع كثير المحفوظات ، هاجر إلى الإمام المنصور محمّد بن يحيى فقابله بالإكرام ، وكان من أعيان أصحابه وأصحاب ولده الإمام يحيى ، وفي عام ١٣٦٤ هـ مرض بمدينة ذمار ، وتوفّاه الله بها في رمضان من نفس العام . راجع ترجمته في « نزهة النّظر » (٣٩٥ - ٣٩٦) .

﴿ ٣٦ ﴾ أجر تعليم القرآن !

يحكي القاضي محمد – حفظه الله – :

بعد أن توفيَ الإمام صلاح الدّين الّذي حكم اليمن في الفترة (٧٧٣–٧٩٣هـ) ، أعلن الإمام المهدي نفسه إمامًا على اليمن ، وأعلن الإمام عليّ بن صلاح الدين نفسه إمَامًا على اليمن ، وبايع هذا أُناس ، وبايع الآخر آخرون ، وقامت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة الإمام المهدي ، وحبس في السجن لمدّة سبع سنين ، ألّف فيها كتاب « الأزهار » ، وعليه اعتماد المتأخرين من الهادوية في الفقه ، وشرحه بكتاب « الغيث المدرار » ، وألّف كتاب « البحر الزخار » كل هذا وهو محبوس ، وفي هذه الفترة علّم ولد السجّان القرآن ، وقال له السجّان : أجرك عندي أن أُطلقك من الحبس ، فلمّا أتمّ الولد القرآن ، فتح السجّان باب السجن للمهدي ليهرب ، وهرب معه السجّان وولده .

﴿ ٣٧ ﴾ خير الأسماء ما عطعط !

يحكي القاضي محمّد – حفظه الله – :

أنّه كان بمدينة صنعاء فقيه يُعلم الأولاد الصّغارالقُرآن ، وكان في الأولاد أخوان ، أحدهما يُدعى محمّداً ، والآخر يُدعى أحمد ، وكان أبوهما غنيًّا ، وكان معهما ولدٌ ثالث يُدعى عطيَّة ، وكان والده فقيراً ، وفي يوم من الأيام أعطى الأخوان محمّد وأحمّد لهذا المُعلم فلوسًا ، فمدحهما وأثنى عليهما ، وقال : نعم ، صدق رسول الله ﷺ : « **خير الأسماء ما عُبّد وحُمّد** »[1] ، فقال الولد عطية : وما عطعط يا مولانا ! .

---

(١) وقال ابن الديبع في « تمييز الطيب مِن الخبيث » (١٦) : « .. وأما ما يذكر على الألسنة من قولهم : خير الأسماء ما حمد وما عبد ، فقال شيخنا – أي الحافظ السخاوي –: ما علمته » وراجع « كشف الخفاء » (١/٣٩٠) رقم (١٢٤٥) .

﴿ ٣٨ ﴾ فقه امرأة [١] !

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - فيقول [٢] :

كان الفقيه حسن النّحوي [٣] من كبار علماء الهادويّة في القرن الثامن ، وهو مؤلف كتاب « التذكرة » [٤] الذي استفاد منه الإمام المهدي في تأليفه لكتاب « الأزهار » مُعتمد المتأخرين من الهادويّة ، وكانت لهذا الفقيه ابنة ذكيّة درست الفقه الهادوي ، ومما درست فيه أنّ المُطلّقة تعتد بثلاث حيض ، وحتّى تغسل جميع بدنها ، أو تيممه للعذر ، أو يمضي عليها وقت الصّلاة الاضطراري تأخيراً من عدتها بالحيض ، فمهما لم يحصل للمعتدة أحد هذه الأمور الثّلاثة ، فالنكاح في حكم الباقي فترث مُطلقها ويرثها .

---

(١) هذه المرأة تذكرني بالشريفة فاطمة بنت الإمام المهدي أحمد بن يحيى الّتي ترجمها الشوكاني في «البدر الطّالع » (٢٦٦/٢) فقال : « .. هي مشهورة بالعلم ولها مع والدها مراجعات في مسائل كمسألة الخضاب بالعصفر ، فإنّه قال : إنّ فاطمة ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام ، وهذه المقالة تدل على أنها كانت مبرزة في العلم ، فإنّ الإمام لا يقول مثل هذه المقالة إلا لمن هو حقيق بها ، وكان زوجها الإمام المطهر يرجع إليها فيما يشكل عليه من مسائل وإذا ضايقه التّلامذة في بحث دخل إليها ، فتفيده الصّواب ، فيخرج بذلك إليهم ، فيقولون : ليس هذا منك ، هو من خلف الحجاب ، وماتت قبل والدها - رحمه الله - ، وقد تقدّم تاريخ موته ، أ« ستة ٨٤٠ هـ » .

(٢) راجع « الشعاع الفائض » للعلامة علي الدبب (حاشية ص٤٢) .

(٣) العلامة الحسن بن محمّد بن سابق الدّين المعروف بالنّحوي الصنعاني الزيدي ، عالم الزيديّة في زمانه وشيخ شيوخهم كان يحضر حلقة تدريسه زهاء ثمانين عالماً ، وله تحقيق وإتقان لاسيّما لعلم الفقه يفوق الوصف ، وكان زاهداً ورعًا متقشفًا متواضعًا ، وكان يأكل من عمل يده ، وله من المؤلفات : « التّذكرة الفاخرة » ، وتعليق على « اللمع » ، واختصر « الانتصار » للإمام يحيى بن حمزة ، وله تفسير . تولّى قضاء صنعاء وانتفع به النّاس واستمر على حاله الجميلة حتّى مات سنة ٧٩١ هـ . راجع « البدر الطّالع » (٢١٠/١) .

(٤) يقول الشوكاني في « البدر الطّالع » (٢١٠/١) : « .. وله (أي الفقيه حسن النّحوي) مُصنّفات منها في الفقه كتاب « التّذكرة الفاخرة » أودعه من المسائل ما لا يحيط به الحصر مع إيجاز وحسن تعبير ، وهو كان مدرس الزيديّة وعمدتهم حتّى اختصره الإمام المهدي أحمد بن يحيى وجرد منه « الأزهار » فمال الطّلبة من حينئذ إلى هذا المختصر ... » .

فكانت ابنة الفقيه حسن النّحويّ قد طلقّها زوجها طلاقًا رجعيًا ، فذهبت إلى إحدّى حمّامات صنعاء [1] ؛ لتغتسل بعد الحيضة الثّالثة ، وقبل أن تشرع في الاغتسال ، جاءت امرأة تنعي إليها طليقها ، فأشهدت على ذلك النّساء الموجودات في الحمّام وأنها لم تُكْمل غُسلها ، وعلى هذا لم تنته عدتها ، فلما خرجت ورّثها الحاكم من زوجها لكونها مازالت في عدته الرجعيّة على المذهب الهادوي ! .

﴿٣٩﴾ شهادة الفاسق مقبولة !

من المعلوم عند كلّ طالب علم اشتراط العدالة في الشهادة ، ولكن بعض العلماء اجتهدوا ، فقالوا بالعمل بشهادة الفاسق على الفاسق في موضع لا يحضره إلاّ الفسّاق كالخمّارات ، والأماكن المشبوهة من باب المصالح المُرسلةُ أو الاستحسان حتّى لا تُهدر الدّماء في المواضع التي لا يحضرها العدول .

ومما يحكيه القاضي محمّد – حفظه الله – في هذا الشأن ، يقول :

كان هناك بقعة خارج باب اليمن عندما يسمى بـ« عرضي الطبشي » يجتمع فيها الفسّاق ، فيعاقرون الخمر ، ويتعاطون الحشيش ، وغير ذلك من المنكرات ، وفي يوم وقعت بين هؤلاء الفسّاق منازعة أدّت إلى أن قتل أحدهما صاحبه ، فرفعت إلى المحكمة ، فحكمت بالقصاص ، بشهادة الشهود الموجودين ، فطعن مُحامي القاتل في الشهود بأنّهم فسّاق ، فأجابت المحكمة

---

(١) راجع الكلام على الحمّامات في اليمن عمومًا ، وفي صنعاء خصوصًا في « الموسوعة اليمنيّة » (١/٤١٥-٤٢٠).

بأنَّ هذا الموضع لا يحضره إلاَّ الفسَّاق ، فإذا لم تأخذ المحكمة بشهادة هؤلاء أهدرت الدّماء ، وأقرت محكمة الاستئناف والمحكمة العليا هذا الحكم ، ووصل الحكم عند القاضي محمّد في مكتب المظالم برئاسة الجمهورية ، فوافق عليه وعرض على رئيس الجمهوريّة ، فوقّع ، ونُفّذ القصاص في القاتل .

وهذه القصة وقعت منذ عشرين أو خمس وعشرين سنة على قول القاضي محمد - حفظه الله - .

● **قلت** : ومما يُناسب ذلك ما ذكره صاحب « المُستظرف » (٢/٣١٩) ، قال : « وتقدّم اثنان إلى أبي صمصامة القاضي ، فادّعى أحدهما على الآخر طنبوراً ، فأنكر ، فقال للمدّعي : ألك بيّنة ؟ فقال : لي شاهدان ، فأحضر رجلين شهدا له ، فقال المُدَّعَى عليه : سلهما يا سيدي عن صناعتهما ، فأخبر أحدهما أنّه نبّاذ (أي يبيع الخمر) ، وقال الآخر : إنّه قوّاد ، فالتفت القاضي إلى المدعي عليه ، وقال : أتُريد على طنبور أعدل من هذين ، ادفع إليه طنبوره » .



﴿٤٠﴾ البوارد التسع!

يحكي القاضي العمراني فيقول :

سأل سيف الإسلام [(١)] عبد الله بن الإمام يحيى العلامة الحسين بن علي عبد القادر عامل صنعاء [(٢)] سابقًا عن التسع البوادر التي تسند إليها في المجالس كلّ قصة أو حكاية باردة ، فيقال : هذه من التسع البوارد [(٣)] ، فنظمها بقوله :

مِنِّي السَّلامُ عَلَى الَّذي ... أَضْحَى مَلاذا [(٤)] للأَوَابِد [(٥)]

يَغْشَاهُ طُولُ زَمَانَ ... مَا ازْدَانَ جِيدٌ بالقَلائِد [(٦)]

وَافَى السُّؤال [(٧)] عَنِ الَّتي ... قَدْ عَنْعَنَتْهَا أُمُّ قَالَد [(٨)]

بِرَاوِيَةٍ مَوْصُولَةٍ ... جَاءَتْ عَنِ الحَبْرِ ابْنِ زَايِد [(٩)]

---

(١) سيف الإسلام: لقب يُطلق على أولاد الإمام قبل الثورة، راجع « الطريق إلى الحريّة » (٢٦ حاشية) .

(٢) عامل صنعاء : أي بمثابة محافظ صنعاء الآن .

(٣) أي أنّ من حكى خرافة أو شيئًا باردًا لا يصدق ، قيل له : هذه من التسع البوارد ، فمن هنا نشأ سؤال : ما التسع البوارد هذه ؟ فنظمها عامل صنعاء المذكور .

(٤) ملجأ .

(٥) الأوابد : جمع آبدة ، وهي الشاردة النافرة .

(٦) ما ازدان جيد بالقلائد : أي ما تحلّى عنق بالعقود واللآلئ .

(٧) وصل السؤال .

(٨) أم قالد : هي كنية أم الجنية أو الجنية الكبيرة عند أهل صنعاء .

(٩) علي بن زايد : شخصيّة يمنيّة شبه أسطوريّة ، اختلف في شأنها ، نُسبت إليها أقوال وأمثال بعضها موافق للشريعة وبعضها مخالف . راجع في شأن هذه الشخصيّة الغريبة كتاب « أقوال علي بن زايد ، دراسة ونصوص » وكتاب « أحكام علي بن زايد » جمعها ونسّقها المستشرق أناطولي أغاريشيف ، ومن لطيف ما يحكي عن علي بن زايد : قيل إنّه خرج من بيته يبحث عن حبوب لطعام العشاء ، ولما رجع خائبًا اختبأ في زاوية يتسمع منها أقاويل زوجاته الثلاث ، فقالت الأولى : ما حصل على قرض ، فذهب يسرق ، وقالت الثّانية : إنّ تأخر بسبب اجتماع القرية لأداء القسم على الوفاء بالثّأر ، وقالت الثّالثة : إحداهن أخبرتها بأنّها رأت زوجها يتحدّث مع فلانة ، ولعلّها قد وعدته ، فهو لديها ، وفي اليوم الثّاني كان يغنّي على محراثه هكذا :

وَالنَّاسُ قَـدْ ضَـمُّوا إِلَى ... مَـا جَـاءَ في نَظْمي زَوَايِدْ (١)
فَـإِلَيكمـو يَا سَـيِّدي ... تـعْـدَادُهَا في نَظْمٍ بَارِدْ (٢)
القَـوْلُ عِنْدَ عُـثُورِهِمْ ... لَقط مِنَ المَلْحِ الشَّوارِدْ (٣)
وَكَـذَا إِذَا اكْـتَحَلَ امْـرُؤٌ ... كَـهي لِمَسْحِ العَيْنِ قَاصِدْ (٤)
وإِذَا عَـوَى كَلْبُ الدُّجَى ... شَرَخُوا مَلاقيطَ المَواقِدْ (٥)
وضع اليَسِيرَ مِنَ الحَصِيرِ ... لِعَيْنٍ مِنْ رَفَّتْ عَوَايِدْ (٦)
والنَّفْدي إِذَا بَدَا ... مَسَحُوهُ بكوفِيَّة ابْنِ دَاودْ (٧)
وإِذَا اشْتَكَى عُنُقُ امْرِئٍ ... وَضَعُوا الحذَاءَ عَلَى المَرَاقِدْ (٨)

= يقول علي بن زايد ... في قلّة الزّرع الأخلاف
أمسيت من فقر ليله ... زاني وسارق وخلاف

« رجعة الحكيم بن زايد » للبردوني (٢٦) .

(١) أي أنَّ بعض النَّاس لهم زيادات على هذا النَّظم .
(٢) أي خذوا تعداد التسع البوارد في شعر بارد يليق بها .
(٣) أي يقولون عندما يعثر الطفل أي يسقط ، لقط الملح ، فيلقط من الأرض بعض الحجارة .
(٤) إذا اكتحل إنسان تنفّس في يديه ، ومسح بهما عينيه .
(٥) وإذا سمعوا عواء الكلب في الليل أخذوا الملقاط الّذي يحركون به الفحم في النّار وثبتوه مفتوحاً .
(٦) وإذا رفت عين إنسان ، أي تحركت حركة لا إراديّة ، أخذ شيئًا من الحصير وحرقه ، ووضعه على عينه .
(٧) والنفدي هو الدمل يظهر في جفن العين ، فيعتقدون بأنّه إذا مسح عليه بكوفيّة أو شال يهودي فإنّه يذهب ويشفى الإنسان ، والمراد بابن داود عليه السلام هو اليهودي ، وقد حكى لي القاضي محمّد – حفظه الله – بمناسبة هذه الخرافة : أنَّ رجلاً يمنياً كانت له قضيّة في محكمة ، فظلمه القاضي والكاتب والحاجب ، فخرج من المحكمة وهو في غاية من الغضب والانزعاج ، فوجد رجلاً فيه دمل في جفنه (النفدي بعاميّة صنعاء يطارد يهودياً ليمسح بكوفيته هذا النفدي ، فقال له المظلوم : دَع اليهودي ، وادخل المحكمة وامسح النفدي بكوفيّة الطارف ، أي بكوفيّة القاضي أو الكاتب أو الحاجب .. إشارة إلى أنهم يهود في تعاملهم .
(٨) إذا اشتكى إنسان ألمًا في عنقه ، وضع الحذاء تحت الوسادة الّتي ينام عليها . راجع «اللهجة اليمانية» لزيد عنان (٢٠٣) .

مَنْ لَمْ يُقَبِّل كَفَّهُ ... مِنْ بَعْدِ حَكِّ العَيْنِ فَاسِد (١)

والقَبْضُ للمِقْرَاضِ مِنْ ... كَفٍ إلى كَفٍ مُبَاعِد (٢)

والكَنْسِ بَعْدَ مُسَافِرٍ ... أيْضًا مِنَ التِّسْعِ البَوَارِدِ (٣)

هَذِه هِي الزَّعَمَات (٤) كَانَت ... للأُولَى ولَهَا عَقَايِد

سَجَّلْتُهَا بِتَكَلُّفٍ ... والفِكْرُ بَعْدَ النَّهْب (٥) جَامِد

وَاسْلَمْ ودُمْ فِي نِعْمَةٍ ... مَا خَرَّ لِلرَّحْمَنِ سَاجِد



---

(١) إذا حكَّ الإنسان عينه ، ينبغي عليه أن يقبلها بعد الحك .

(٢) إذا أراد إنسان أن يناول إنساناً آخر المقراض أي المقص ، فيجب أن يناوله إيّاه في يده ، ولا يقذفه في الهواء .

(٣) إذا سافر إنسان ، فإنّهم يتشاءمون بذلك ويمنعونه .

(٤) أي هذه هي الاعتقادات والمزاعم الفاسدة التي تناقلها الآخرون من الأولين .

قلت : ولقد انتهت معظم هذه السّخافات من اعتقادات معظم اليمنين ، ولكن للأسف تذهب خرافات وتأتي خرافات أخرى ، فلا يخلو بلد من بلاد المسلمين في هذه العصور من هذه الاعتقادات الباردة الفاسدة على الرّغم من التّقدم العلمي ، وكثرة الحاصلين على الماجستير والدكتوراه ، والسبب الأساسي الجهل بالعقيدة الإسلاميّة الصحيحة !!! .

(٥) أي بعد نهب صنعاء من القبائل الّتي حاصرتها بعد فشل ثورة الدستور (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) .

﴿٤١﴾ حسن التعليل [(١)] وسرعة البديهة

حكي القاضي محمّد – حفظه الله – :

كان القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي اليمني [(٢)] من العلماء الأدباء الشعراء ، فاتفق أنّه خرج من الحمّام [(٣)] ، فلقيه بعض أصدقائه، وسأله عن سبب دخوله الحمّام – والظّاهر أنّ النّاس كانوا في مجاعة وأزمة ، فكأنّه استغرب تنعمه مع سوء حال النّاس – فأنشده قول الشاعر [(٤)] :

وَلَمْ أَدْخُلِ الحَمَّامَ مِنْ أَجْلِ لَذَّةٍ ... وَكَيْفَ وَنَارُ الشَّوق بيْنَ جَوَانِحِي

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْفِنِي فَيْضُ أَدْمُعِي ... دَخَلْتُ لأَبْكِي مِنْ جَمِيعِ جَوَارِحِي

وكان قد استعمل الحنّاء وأثره على يده [(٥)] ، فقال له : فما هذا ؟ يُشير إلى الحنّاء ، فقال مُرتجلاً :

وَلَيْسَ خِضَابًا مَا بِكَفِّي وَإِنَّمَا ... مَسَحْتُ بِهِ أَثَرَ الدُّمُوعِ السَّوافِحِ

(١) حسن التّعليل ، باب من أبواب البديع ، وهو : أن يُنكر الأديب صراحة أو ضمناً علّة الشيء المعروفة ، ويأتي بعلّة أخرى أدبيّة طريفة ، لها اعتبار لطيف ، ومشتملة على دقّة النّظر ، بحيث تناسب الغرض الّذي يرمي إليه . راجع « جواهر البلاغة » للهاشمي (٣٧١) .

(٢) مولده سنة ١٠٥٥هـ في صنعاء ، وطلب العلم صغيراً ، وكان واسع الاطلاع كثير النقل ، وله رسائل ومسائل مفيدة ، وشرع في شرح « مجموع الإمام زيد » وكان فيه تعصب ، وقيل : كان جاروديّاً رافضيّاً ثمّ رجع إلى القول بالتوقف عن السب ، وله أشعار ، تولّى القضاء والوزارة وامتحن بالحبس حتّى توفي بعدن سنة ١١١٦هـ ، و« المخلافي » بكسر الميم ، نسبة إلى مخلاف الحيمة . راجع ترجمته في « ملحق البدر الطّالع » لزبارة (٤٦-٤٧ ، رقم ٨٢) ، و« نشر العرف » لزبارة أيضاً (١/٢٩٥ – ٣٣٠ ، رقم ٩٢) .

(٣) راجع هذه الحكاية والأبيات في « حدائق النمام في الكلام على ما يتعلق بالحمام » للكوكباني (١٥٤) والمصدرين السّابقين .

(٤) يقال : بأن هذه الأبيات لصدر الدين بن الوكيل سعيد بن محمّد المنوفي المصري المكي الّذي استوطن اليمن مدّة ، وتوفي سنة ١١٣٠ هـ .

(٥) هل يجوز للذكر أن يخضب يديه ورجليه بالحناء ، أم لا يجوز ؟ فيه تفصيل وخلاف . راجعه في «حدائق النمام» (١٤٩-١٥٠) .

● **قلتُ :** ثُمَّ صدَّر الخلافي البيتين المذكورين وعجزهما ونقلهما إلى الوعظ ، فقال [(١)] :

وَلَمْ أَدْخُلْ الحـمَّـامَ مِنْ أَجْلِ لَذَّةٍ ... وَكَـيْفَ التـذَاذي بالنِّيـارِ اللوافِحِ
وَلا جـئـتـه أَبْغي اصطلاء بنارِهِ ... وَكَـيْف ونَارُ الشَّوق بينَ جَوانحِي
وَلَكنَّه لَمْ يَكْفني فَـيضُ أَدْمـعي ... عَلَى مَاضيَـاتٍ مِنْ ذُنوبٍ فَواضِحِ
وَلَمَّا رَأَيتُ العَـينَ لَمْ يَكُف وبلهَـا ... دَخَلْتُ لأَبْكي مِنْ جَميع جَوارِحي
وَلَيْس خِـضَـابًا مَـا بِكَفِّي وَإِنَّمَـا ... مَـسَـحْتُ بِهِ أَثَرَ الدُّمـوع السَّـوافحِ

﴿٤٢﴾ بأرة ، وبغرة ، وبقرة !!

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - :

في أيّام الحرب بين الجمهوريّة والملكيّة في اليمن في الفترة (١٩٦٢-١٩٦٧م) ، وكان الجيش المصري قد جاء لمساعدة الجمهورية ، فكان الجندي المصري ربّما يتخفى في صورة يمنيّ إذا وقع في منطقة للقبائل الّتي مع الملكية، فكان بعض رجال القبائل يختبرون من يجدونه ليعرفوا حقيقته فيقولون له : قل : « بقرة » ، فإذا نطق بها عرفوه ؛ لأنَّه إذا قال : « بأرة » فهو مصري، وإذا قال « بغرة » فهو من المناطق الوسطى تعز وما حولها ، وإذا قال : « بقرة » بالجيم القاهريّة فهو صنعاني ! .

● **قلت :** وأنا سمعت من أحد الإخوة السوريين بأنَّه في أثناء الحرب اللبنانية ، كان حزب الكتائب يميزون بين السوريّ والفلسطيني ، بأن يقولوا له: قل : بندورة (أي طماطم) ، فإذا فتح النون فهو سوري ، وإن سكَّنَ النون فهو فلسطيني ، وربّما يرتبون على ذلك تركه أو قتله .

---

(١) « نشر العرف » (٢٩٨/١) .

﴿٤٣﴾ لنا بقيّة يومنا يا يهودي!

اشتهر في كتب الهادويّة أنّ يهودياً جاء يتقاضى ديناً من النّبيّ ﷺ ، ولم يكن اليوم الذي فيه موعد سداد الدّين قد انتهى ، فقال النبيّ ﷺ : « **لنا بقية يومنا يا يهودي** » [1] ، أي أننا وعدناك أن نسد دينك في هذا اليوم ، ولكن اليوم لم ينته ، فأمامنا مُهلة إلى بقيّة اليوم .

ويحكي القاضي بمُناسبة هٰذه الرواية لطيفتين :

● **الأولى** : أنَّ العلامة القاضي زيد علي الديلمي [2] كان عنده أوراق مقاضاة لبيت ملقاط ، فاشتكوه إلى الإمام يحيى حميد الدّين ، فحدد الإمام له يوم الخميس ليخرج لهم هذه الأوراق ، ولمّا جاء يوم الخميس ، جاء أصحاب الأوراق من بيت ملقاط على الموعد ، فأراد الإمام أن يُرسلهم إلى القاضي زيد الديلمي ، فقالوا : يا مولانا القاضي زيد لا يداوم في هذا اليوم ، ويذهب إلى الحمام ليتحمم ، فقال الإمام : ولو .. اذهبوا إليه ، وكتب إليه ورقة : تفضلوا

---

(١) هذا الحديث موجود في «أمالي أحمد بن عيسى» ولكنه غير موجود في كتب السنة فهو غير صحيح .

(٢) مولده بذمار في ليلة النصف من شعبان سنة ١٢٨٤هـ ، واشتغل بطلب العلم ، فأخذ عن علماء ذمار ومدينة جبله ، وهو من المحققين للفنون نحواً وصرفاً وفقهاً ومال إلى السنّة وترجيح الدّليل وهو حسن الأخلاق كثير المحفوظات ، حبسه الترك سنة ١٣٢٩هـ ، وفي سنة ثلاثين تعين حاكماً بصنعاء فسلك أحسن المسالك ، وكان الإمام يحيى حميد الدين يشد أزره ونصبه الإمام يحيى سنة ١٣٥٠هـ رئيساً للمحكمة الاستئنافيّة بصنعاء ، ومن أمثال أهل صنعاء : « قفز الحيد ، ولا حصمة السيد زيد » والحيد : الهاوية ، وحصمة : كلمة يقولها أحد الخصمين للآخر طالبًا منه المثول أمام الحاكم ، فإذا لم يتبعه على الفور فإن الحاكم يرسل له جندياً بعد أن يتأكد أنَّ الشاكي قد قال للمشكو به : « حصمة الحاكم » ، والسيد زيد : هو زيد بن علي الديلمي المذكور في هذه التّرجمة ، وكان مشهوراً بالصرامة وقوة المنطق والحجة ، تولّى القضاء في صنعاء بعد الائتلاف بين الإمام يحيى حميد الدين ، وبين المشير عزت باشا الوالي العثماني سنة ١٣٢٩ هـ المعروف بصلح دعان ، والمعنى : أنَّ الوثوب من حرف الجبل أهون من المثول أمام السيد زيد ، لما كان له من مهابة عند النّاس ، وكانت وفاته بصنعاء في ذي الحجّة سنة ١٣٦٦ هـ - رحمه الله - . راجع ترجمته في « نزهة النّظر » (٣٠٤-٣٠٥) و« تحفة الأخوان » (٧٥-٧٦) ، و« الأمثال اليمانية » (٨١٦/٢-٨١٧) .

بإخراج أوراق بيت ملقاط ، فذهب إليه العسكري بالورقة ، وهو خارج من الحمّام، فكتب على ظهرها: لنا بقيّة يومنا .. يا مولانا. فلمّا وصلت إلى الإمام فَهِمَ ما فيها من تلميح وغضب وأخذ يقول: حمار .. حمار .. من أهل ذمار .

● **الثّانية :** كان الشيخ علي فضة [١] يدرس يالمدرسة العلميّة ، وكان من عادته مع الطّلبة أن يذكر بعضًا من الحديث والطّلبة يرددون بصوتٍ عالٍ بقيّة الحديث ، فمثلاً يقول : إنّما الأعمال بإيش ؟ فيقولون بصوت واحد مرتفع : بالنيّات .

فجاء عند هذا الحديث وقال : لنا بقيّة يومنا ، يا إيش ؟ ، فقال الطّلبة بصوتٍ عالٍ غير مُعتاد : يا يهودي ، ففهم أنّها مقصودة فغَضَبَ ! .

﴿٤٤﴾ عُقلاء المجانين [٢] !!

يحكي القاضي العمرانيّ ، فيقول :

دخل أُناسٌ عند ملك ، ودخل معهم مجنون معه جرّة ، فقال :

ولمّا رأَيْتُ القَومَ شَدّوا رِحَالَهُم إلَى بَحرِكَ الطَّامِي أَتَيْتُ بِجرَّتي

فَأَمَرَ الملكُ بأن تُملأَ جرته ذهبًا ، فخرج بها المجنون فتصدّق بها ، فلما سأله الملك عن هذا ، أنشد قائلاً :

---

(١) الفقيه علي بن محمّد فضة : مولده بهجرة (دار عمرو) من وادي الفروات في سنحان في سنة ١٣٠١هـ ، وهاجر إلى مدينة صنعاء وأخذ عن كبار علمائها ورحل إلى مدينة حوث وأخذ عن علمائها وعاد إلى صنعاء واستفاد في العلوم كلها وعكف على التّدريس بمسجد التّقوى ، ودرس بالمدرسة العلميّة لما افتتحت . ترجمته في « نزهة النّظر » (٤٥٨- ٤٥٩) ، و« تحفة الأخوان » (١٠٢) .

(٢) هناك ممن اشتُهر بين النّاس أنّه مجنون ، يأتي بأقوال حكيمة عجيبة ، فيقال لهم : «عقلاء المجانين» وقديماً كنت طالعت كتاباً بهذا الاسم « عقلاء المجانين » جمع فيه نوادرهم ، ولكن ذهب عني الآن اسم مؤلفه . هو ابن حبيب النيسابوري طبع في دار الكتب العلمية أبو القاسم .

يَجُــودُ عَلَيْنَا الخَــيِّــرونَ بِمَــالِهِم   وَنَحْــنُ بِمَــالِ الخَــيِّــرين نَجُــودُ

فقال الملك : املأوا له جرَّته عشر مراتٍ ذهبًا ، فأخذها وخرجَ !! .

﴿٤٥﴾ أهلاً وجبلاً !

حكى القاضي مُحمّد – حفظه الله – :

أرادَ العلاّمة الموسوعيُّ شيخ العروبة أحمد زكي باشا [١] أن يزور اليمن في عهد الإمام يحيى حميد الدّين ، فلمّا وصل إلى الحديدة أحضروه إلى صنعاء على بغلة ، وخافوا أن يحملوه على السيّارة ؛ خوفًا من حوادث الطّريق ، وهو في الطّريق بين الحديدة وصنعاء ، كان لا يرى حوله إلاَّ الجبال الشامخة المُرتفعة الَّتي لم ير مثلها ، فلمّا وصل إلى الإمام يحيى ، قال له : أهلاً وسهلاً، فقال شيخ العروبة : قل : أهلاً وجبلاً .. أين السّهل عندكم ؟!! .

● **قلت** : ومما يُناسب ذكره هنا ما أوردته مجلّة « مساء » عن أحد المُشاركين من صنعاء ، قال : أخبرني أحد الأخوة أنَّه كان مُسافراً يومًا مع أسرته على طريق جبليّ ، وأثناء صعودهم كان أحد أطفاله يتأمّل المُرتفعات الشَّاهقة المُحيطة بالطَّريق ، فسأل أباه – وقد أصابه الملل ـ : أبي ، كم بقي من الوقت حتَّى نصل إلى السَّماء ؟! .

---

(١) أحمد زكي باشا : علامة مصري عالم باللغة والتَّاريخ والآثار ، يهوى جمع النوادر من مخطوطات أو أثريّات أو كتب ، سافر إلى كثير من البلدان وتعرف على كثير من الملوك والرؤساء والعلماء والفضلاء ، أثار الدنيا بمقالات وأبحاث ، منها أنَّ قبر الحسين ﷺ ليس صحيحًا أنَّه موجود في القاهرة ، وغير ذلك من أبحاثه القيّمة الَّتي تشبه الصواعق في وقعها على الجامدين ، أُلفت عنه كتبًا منها « أحمد زكي باشا شيخ العروبة » لأنور الجندي ، فراجعه .

﴿٤٦﴾ العنوه..لعنه الله !

التَّابعي حجر بن قيس المدري [١] نسبة إلى مدر [٢] من قرى بلاد أرحب [٣] المشهورة ، أحد قبائل همدان [٤] ، وحجر بن قيس : صاحب علي بن أبي طالب ﷺ ، وله عنه روايات كثيرة وبه تفقه ويعرف بصحبته ، وكان من أجّل الفقهاء ، وكان طاوس يراجعه في المسائل الَّتي تُشكل عليه ، يحكي القاضي محمّد :

أنَّ [٥] علياً ﷺ قال لحجر بن قيس يومًا : كيف بك يا حجر إذا أمرت بلعني ؟ قال : أو كائن ذلك يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم ، قال : فكيف أصنع ؟ قال العنّي ولا تتبرأ مني .

---

(١) قال ابن حجر في « تقريب التّهذيب » (١٥٤) رقم (١١٤٥) : « حجر بن قيس الهمداني ، المدري ، الحجوري ، بفتح المهملة وضم الجيم ، ثقة من الثالثة . د س ق (أي روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه) .

(٢) مدر : بفتحتين ، آخره راء ، أكثر ديار همدان قصوراً ، قال أبو علكم المراني من قصيدته المشهورة :

وفي ريئام وفي النجدين من مدر ... على المنار وجف الشيد إيوانًا

راجع «صفة جزيرة العرب» للهمداني (١٥٩-٢٢١) و«السمن الخضراء» للأكوع (٥٥، ٢٨٠).

(٣) أرحب : ناحية مشهورة من نواحي محافظة صنعاء في الجهة الشّمالية الشرقيّة ، وأرحب هي أيضًا قبيلة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدعام ، وتنمى إلى بكيل، وفي « معجم البلدان » لياقوت : « أرحب على وزن أفعل ، مخلاف باليمن تسمّى بقبيلة كبيرة من همدان » . راجع المزيد في «الموسوعة اليمنيّة» (٩٣/١-٩٤) .

(٤) همدان : بفتح فسكون ، أكبر قبيلة يمنيّة وتحوي البطنين حاشد وبكيل ، واليوم تقع أراضي القبائل الهمدانيّة (حاشد وبكيل) في المنطقة الممتدّة شمال صنعاء حتّى صعدة ، وما بين الجوف شرقًا وتهامة غربًا ، وهي منقسمة بخط طولي ما بين صنعاء وصعدة ، فشرقيّة لبكيل ، وغربية لحاشد ، ولكن التّداخل قائم بين بلديهما ، وفي المنطقة الشماليّة الغربية من صنعاء تقع أراضي همدان بن زايد ، وهوقيل ينتمي - كما يبدو - إلى الأقيال الهمدانيين الأوائل وتؤلف هذه المنطقة مديريّة في محافظة صنعاء ... راجع « الموسوعة اليمنيّة » (٩٨٣/٢ -٩٨٤) .

(٥) ذكر هذه القصّة الحجري في « مساجد صنعاء » (٩) ، وقال : « قال ابن مخرمة : وذكر الحافظ أبو نعيم في رياضة المتعلمين مسنداً أنَّ ...وساق القصّة ، وقال : انتهى من كتاب النسبة لأبي مخرمة !! » ، فلا أدري أهو مخرمة أو أبو مخرمة ؟ والقصّة موجودة في كتاب « الأذكياء » لابن الجوزي (١٥٨-١٥٩) ، وفي « أخبار الظرّاف » له (٩٦) : « عن عبد الرزاق عن أبيه أنَّ حجراً المدري ... » .

فلمَّا كانت ولاية محمَّد بن يوسف الثقفي [١] - أخي الحجاج بن يوسف [٢] - على صنعاء ، وكان حجر بن قيس خطيبًا ، فصعد المنبر في إحدى الجمع ثُمَّ خطب ، فلمَّا فرغ من الخُطْبة - والأمير محمد بن يوسف حاضر - أمره أن لا ينزل حتَّى يلعن عليّاً ، فذكر قول علي ﷺ ، فرفع صوته، وقال : إن الأمير محمَّد بن يوسف أمرني أن ألعن عليّاً ، فالعنوه عليه لعنة الله ، فتفرق النَّاس عن المسجد ، وما فهمها إلا رجل واحد .

● **قلت** : وجدت هذه الحكاية بنفسها في كتاب « الأذكياء » لابن الجوزي (١٥٨-١٥٩) ، ووجدت حكاية أخرى مُقاربة لها (١٥٩) ولفظها : « قال : قام الخطباء إلى المُغيرة بن شعبة بالكوفة ، فقام صعصة بن صوحان ، فتكلّم ، فقال المُغيرة : أرجئوه فأقيموا على المصطبة ، فليلعن عليّاً ، فقال : لعن الله من لعن الله ولعن عليّ بن أبي طالب ، فأخبروه بذلك ، فقال : أُقسم بالله لتعيدنّه . فخرج فقال : إنَّ هذا يأبى إلا عليّ بن أبي طالب ، فالعنوه لعنه الله ، فقال المُغيرة : أخرجوه، أخرج اللهُ نفسه .

وفي « أخبار الظرّاف » لابن الجوزي (٩٦) : « قال القرشي : وامتحنت الخوارج شيعيّاً ، فقال : أنا من علي ، ومن عثمان بريء » .

---

(١) محمَّد بن يوسف الثَّقفي ، أخو الحجاج ، توفي سنة ٩١ هـ ، استعمله الحجاج على صنعاء ، ثُمَّ ضمَّ إليه الجند ، فلم يزل واليًا عليهما إلى أن توفي ، والجند : أحد أقسام اليمن الثلاثة .

(٢) الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ، الأمير الشهير ، الظَّالم المبير ولي إمرة العراق عشرين سنة ومات سنة ٩٥هـ ، راجع « تقريب التهذيب » لابن حجر (١٥٣) رقم (١١٤١) ومن طريف ما يحكى عن الحجاج أنه قرأ في سورة هود : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦] فلم يدر كيف يقرأ : (عمل) بالضم أو بالفتح ، فقال لحرسي : ائتني بقارئ ، فأتي به ، وقد ارتفع الحجاج من مجلسه ، فحبس القارئ ، واعترض الحجاج أهل الحبس ستة أشهر ، فلمَّا انتهى إليه ، قال له : فيم حبست ؟ قال : في ابن نوح ، أصلح الله الأمير ، فأمر بإطلاقه ! . راجع « العقد الفريد » (٣٦/٥) ، و« موسوعة العذاب » (١٧٩/٣) .

﴿٤٧﴾ الزلابيا هي القاتل !

كان السلطان عامر بن عبد الوهّاب آخر سلطان من سلاطين بني طاهر الّذين تولوا على اليمن الأسفل بعد بني رسول ، وكانت عاصمتهم في الصَّيف مدينة رداع ، وعاصمتهم في الشّتاء مدينة زبيد ، وكان المنجِّم قد قال للسلطان عامر بن عبد الوهاب أنَّ الزلابيا ستقتلك ، فَفَهِمَ السلطانُ عامر أنَّ المُراد الأكلة المعروفة بالزلابيا ، فكان يتجنبها طوال عمره ، ولا يأكلها أبدًا ؛ خوفًا من أن يكونَ موته بها ، كما ذكر له المنجّم الدَّجال .

وحدثت حروب بعد ذلك وسقطت دولة بني رسول ، فهرب السلطان عامر لينجوبنفسه ، فوصل إلى ناحية سعوان خارجَ صنعاء ، فلقيه رجل من أهل سعوان يُسمّى الزلابيا فقتله ، وهو لا يعلم أنَّه السُلطان عامر بن عبد الوهَّاب ! .

﴿٤٨﴾ عصمت إينونو واليمن !

عندما دخل الأتراكُ اليمنَ ، كان من ضمن ولاتهم على اليمن أحمد عزَّت باشا في الفترة ،وكان سكرتيره (أو ياوره بالتركيَّةِ) هو عصمت إينونو ، وفي أحد الأيام مرّ أحمد عزّت باشا والياور عصمت إينونو راكبين في السيَّارة في أحد شوارع صنعاء ، وكان أحد سكَّان صنعاء قد وضع بعض الملابس في الشَّمس فوق سطح البيت وثبّتها بحجرٍ ، فهبَّت ريح شديدة أثناء مرور أحمد عزَّت باشا وياوره ، فوقع الحجر على السيَّارة ، فحطَّم سقفها ، وحمل الوالي والياور إلى المستشفى ، وأخذ أهل صنعاء يدوكورن ويتحدَّثون ويتوقعون ، بعضهم قال : أنَّ الوالي مات ، وبعضهم يقول : لم يمُت ، فنجّم رجل تركيّ

يُدعى رجب أفندي ، وقال : إنَّ الوالي لم يمُت ، قالوا : والياور ؟ فضرب الرمل ، فقال : سيكونُ سلطانًا ، فتعجّبَ النَّاسُ من ذلك ، فأعاد ضرب الرمل، فخرج – بزعمه – أنَّه سلطان ..

تلك القصَّة وقعت في صنعاء سنة ١٣٢٩ هـ ، ومرّت سنوات طويلة سقطت فيها الخلافة العثمانيَّة ، وتولَّى الحكم في تركيا المُلحد أتاتورك ، وكان نائبه عصمت إينونو المذكور سابقًا ، ولمَّا هلك أتاتورك تولَّى الحُكم بعده عصمت إينونو ، وكان أحد أحفاد العمريّ يستمع لإحدى الإذاعات ، فسمعهم يذيعون خبر تولّي عصمت رئاسة الجمهوريّة التركيَّة ، وذكروا في ترجمته – في الإذاعة – أنَّه عمل في اليمن ، فاستغربَ وسألَ جدَّهُ المولى حسين العمري [1] ، فقالَ : نَعم ، وحكى له هذه القصّة .

﴿ ٤٩ ﴾ الأسدُ في حُضْنِ العلاَّمة الشماحي !

يحكي القاضي محمّد ، فيقول :

كان الإمام أحمد قبل أن يُصبح إمامًا على اليمن وليّاً للعهد ، وكان أميراً على حجة وبعض المناطق ، وكان أحمد مشغولاً مشغوفًا بالإمارة والحكم وضبط الأمور ، والإمام يحيى والده في صنعاء مهتم بأن يدرس ولي العهد العلوم الشّرعيّة ولا ينشغل بالإمارة ، فطلب من العلاَّمة الشماحي أن يدرس ولي العهد ، فكان الشماحي يأتي كلَّ يوم إلى مقام ولي العهد فيُدرسه ثُمَّ يعود ،

(١) ألَّفَ القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في ترجمته كتاباً كاملاً ، هو « تحفة الإخوان بحلية علامة الزمان حليف السنّة والقرآن المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري رحمه الله المتوفي في غرةِ شوال سنة ١٣٦١ هـ » وقد طبع فراجعه .

وكان عند أحمد أسدٌ وله سايس يسوسه ، وفي يوم من الأيام جاء الشماحيّ ودخل المقام وجلس ، وكان يرتدي لباسًا وزيّاً يُشبه ما يلبسه ولي العهد ، وجلس ينتظر وليّ العهد ، وأراد ولي العهد أن يُداعب العلاَّمة الشماحيّ مُداعبة خشنة ، ففتح للأسد باب القفص وسمح له بالدخول على الشماحيّ ، ومن حُسن الحظ أنَّ الأسد ظنَّ الشماحي وليّ العهد ، فجلس الأسد في حجر الشماحيّ على هذا الظن ، وارتعش الشماحي وتصبب عرقًا ، ولم يستطع حراكًا ولا نطقاً ، ورأى هذا المنظر السايس القائم على رعاية الأسد ، فحذّر ولي العهد من الدخول حتَّى لا يُدرك الأسد أنَّ الذي يجلس في حجره ليس ولي العهد ، فيُخشى إذا عرف الأسد ذلك أن يلتفت إلى الشماحي ، فيهبره ، ثُمَّ دخل السايس ونادى الأسد ، وقال له : تعال ، يكفي دع مولانا الآن ، فقام الأسد بكلّ هدوء مُطيعًا لسائسه ودخل القفص ، وعندئذ انتفض العلاَّمة الشماحيّ ، وقام من مكانه غاضبًا أشدّ الغضب ، وصاح : أنا جئت أُعلّم ولد الإمام ، أم جئت أُعلم سرسري (سرسري بلغة أهل صنعاء : الحقير التافه) ؟ من أراد أن يتعلم ، يأت عندي ، وأنا بعد الآن لن أحضر عند أحد ، وانطلق لا يلوي على شيء ، وولي العهد يبتسم !! .



﴿٥٠﴾ قاسم العزي والسفير المصري

حكى القاضي محمّد – حفظه الله – :

كان قاسم العزي وزير الأوقاف في عهد الإمام يحيى حميد الدين ، وكان قاسم العزي رجلاً مُتَشدداً ، تعتقدُ القبائلُ في فضلِه ومكانتِه ، لكونه من أهل البيت وعالمًا هادوياً ، وفي يوم العيد كان النَّاس يخرجون إلى الجبانة (وكانت في موضع مسجد المشهد الآن) فخرج قاسم العزي وجلس في الجبانة ، وخرج السفير المصري في ذلك الوقت ، وجاء مجلسه بجانب قاسم العزي ، وكان بعض العوام يدخل فيصلي ركعتين ، فمال السفير المصري على أذن قاسم العزي ، وسأله عن هذه الصّلاة ؟ وقال في المذهبِ الهادوي أن يُصلِي الداخل إلى الجبانة أو المصلى ؟ فما كان من قاسم العزي إلا أن قال للسفير : ما لكم أنتم يا أهل مصر .. وأنتم لا تصلون . فسكت السّفير المصري حتَّى إذا عاد إلى موضع سفارته أرسل برقيّة شديدة اللهجة إلى الإمام يحيى ، وفيها أن وزير أوقافه قاسم العزي تعدَّى على شعب مصر كلهم واتّهمهم أنَّهم لا يُصلّون . فغضب الإمام يحيى ، وقال : هذا قاسم العزي صاحب مشاكل ، وأرسل محمّد راغب باشا وزير الخارجيّة – وكان من الأتراك الَّذين بقوا في اليمن ، وكان رجلاً ذكيّاً لبقاً متكلّماً – فأرسله الإمام يحيى ليعتذر للسفير المصري حتَّى تنتهي هذه الأزمةُ .



﴿٥١﴾ ملك مصر

كان السلطانُ المُجاهد من سلاطين بني رسول الذين كانوا يتسلطنون على اليمن الأسفل تعز وما حولها ، وقع له أن نجَّم له المنجم بأنَّه سيدخل مصر ، وسيشرب فرسه من النيل ، وحوله العساكر من كل ناحيّة ، فوقر في قلبه بأنَّه سيملك مصر .

وحدث أن ذهب الملك المجاهد ليحجّ ، وفي مكّة وقعت معركة بين الملك المُجاهد ومن معه وبين الجنود المصريين الَّذين جاءوا إلى الحرمِ المكّي ، فأسر المصريون الملك المجاهد ، وأخذوه معهم إلى مصر ، ولمَّا وصل إلى القاهرة ، أراد أن يسقي فرسه ، فنزل فرسَهُ إلى النيلِ ليشربَ وحول الملك المجاهد الجنود المصريون يُحافظون عليه من الهرب ، فعندئذ دمعت عينا الملك المُجاهد ، وتذكر ما نجَّم به المنجم ! .

﴿٥٢﴾ سيقع قتل ودماء

يحكي القاضي محمّد :

أنَّه في حوالي سنة ١٣٥٠ هـ ، نجَّم أحد أهالي صنعاء وهو حسين كوكبان بأنَّه سيقع في عيد الأضحى هذه السنة دماء ، وحذر النَّاس من الخروج إلى العيد ، فخرج مُعظمُ النَّاسِ غير مصدقين له ، وكان من عادة الإمام يحيى حميد الدين أن يخرج أثواراً تُذبح مع خروجه لصلاة العيد ، فذُبحت وسال دماؤها ، فكانت تلك هي الدماء ، ولم يقعْ فتنةٌ ولا شيء ! .



﴿٥٣﴾ وأعطيناهم الحصان كمان..!
أو «لا لي ولا لك ولا للبطاط»

يحكي القاضي مُحمّد فيقولُ : كان هناك امرأةٌ صنعانيةٌ فيها تغفيل ، وقد تُوفي أبوها وأمها منذ فترة ، وفي يوم من الأيام كان زوجها في عمله ، وهي جالسة في البيت ، فدقّ عليها باب البيت رجل دجال ، ففتحت له ، فقال لها: أنت فلانة ، وأبوك فلان ، وأمك فلانة ؟ (بلغة أهل صنعاء ، وفيها إبدال كاف المؤنث شيناً ، وأبوش فلان ، وأمش فلانة) ، قالت : نعم ، فقال : أبوك وأمك اليوم يتعرسوا في الجنَّة (أي يعمل لهما عرس في الجنَّة) وهما يحتاجان إلى ملابس لزوم العرس ، والزفَّة ، فقالت : صدق ؟! لابد أن أُحضر لهما أحسن الملابس .. لكن من أنت ؟ قال الدجال : مزين البلى [(١)] ، فقالت: مرحبًا .. أعطني خمس دقائق لأجمع لك خير الملابس ، ثُمَّ جمعت له صرتين كبيرتين واحدة فيها ملابس رجال لأبيها ، والأخرى ملابس نساء لأمها ، فأخذهما الدجال وذهب مُسرعًا ، وبعد قليل جاء زوجها من عمله مُتعبًا ، فلمَّا فتحت له الباب قالت : قول لي (أي : قل لي) جنة (جنة [(٢)] وهي عبارة صنعانيّة معناها ، هنأني) فقال : لماذا ؟ قالت : قول لي جنة ، قال: جنّة ، قالت أبي وأمي هيتعرسوا (أي : سوف يتعرسون) في الجنّة ، فقال : كيف ؟ فحكت له الحكاية كلها ، فصاح بها وقال : أنت غبية بلهاء ، هيّا جهزي لي الحصان حتّى ألحق هذا الدجال بسرعة ، فجهزت له الحصان ،

---

(١) المزين : أي« الحلاق ، والقاعدة في اليمن أنّ المزين أو الحلاق كالخادم يوم العرس ، فيسعى في تحصيل ما يحتاجه العروسان ، وأهل البلى : أي الموتى .

(٢) من أمثال نساء صنعاء « جنه لش » قالت : بعدمه ، وجنه بمعنى هنيئًا ، ولش : لك ، وبعدمه : بعد أي جهد وأي انتظار ، يضرب لمن يظفر بحاجته بعد طول معاناة لها وصبر عليها . راجع « الأمثال اليمانيّة » للأكوع (١/٤٢١) .

فركب عليه وأغذ السير [(١)] ، حتَّى رأى من بُعد الدّجَّال وفي يديه الصرتان ، والتفت الدَّجَّال فرآه ، فأدرك أنَّه زوج المرأة الَّتي خدعها ، وفكَّر بسرعة في كيفيّة الخروج من هذا المأزق ، وفي أثناء تفكيره رأى رجلاً أصلع يحرث في قطعة أرض بجوار جبل ، وبجواره كومة من القش الكبيرة ، فأقبل الدحال ناحية الرَّجل الأصلع ، وخبَّأ الصرتين في كومة القش ، ثمّ قال الدجال للرجل الأصلع : أترى الرّجل القادم على الحصان هناك ، إنّه مُرسل من قِبلِ السلطان ليصنع من رؤوس الصّلع بطاطا (البطاط : عبارة عن إناء من الجلد ، يوضع فيه السليط أي الزيت) ، وكان الرّجل الأصلع غبيّاً مُغفلاً ، فصدّقه وقال له : وما العمل ؟ قال الرجل : أرى أن تُحاول الهرب منه ، فتصعد على الجبل ، فلا يصل إليك ، فنفَّذ الرجل الأصلع ما أشار عليه به الدّجال ، وعندما وصل زوج إلى الدجال سأله : ألم تر رجلاً يحمل في يده صرتين ؟ فقال الدجال : نعم ، هذا الذي صعد فوق الجبل ، فقال زوج المرأة : ولكنّي لا أستطيع أن أُطارده فوق الجبل وأنا على الحصان ، فقال الدَّجال : دع الحصان عندي أحفظه لك حتَّى تصعد على الجبل وتُمسك بالرَّجل ، فقال زوج المرأة : شكراً لك ، ولكن حافظ على الحصان ، فقال الدّجال : نعم ، نعم ، طبعاً .

ثُمَّ صَعَدَ زوج المرأة على الجبل ليُطارد الأصلع ، فلمَّا أبصره الأصلع يُطارده ، تأكَّدَ له أنه يُريد أن يصنع من صلعته بطاطا ، فلمَّا اقترب زوج المرأة من الأصلع ، كان يقول له وهو يُطارده : خُذْ واحدة ودع واحدة (وهو يريد الصرتين) ، والرَّجلُ الأصلع يضرب على رأسه ويقول : والله ما معي إلاَّ هذه (وهو يُريد صلعته) .

---

(١) أي أسرع .

وفي النّهاية أخذ الرّجل الأصلع حجراً مدبباً ، وتوقّف عن الجري وأخذ يضرب رأسه بالحجر ليشجّها ، ويقول : لا لي ولا لك ولا للبطاط [١] ، فلمّا رآه زوج المرأة يفعلُ هذا ، استفسر عن السّبب ، فحكى له ، وعرف أنّه ليس هو اللص الذي خدع زوجته ، وتبيّن له أنَّ اللصَ هو الّذي ترك عنده الحصان ، فنزل مُسرعًا ، فرأى اللص على بُعد لا يُمكن الوصول إليه ، وقدركب الفرس ، ووضع إحدى الصرتين في ناحية على الفرس والصرَّة الأخرى في النَّاحية الأخرى، فعلم أنَّه قد ضاع منه الفرس كما ضاعت الصرتان ، وأنَّه خُدعَ كما خُدعت زوجته ، فعاد إلى بيتِه مُتعباً محسوراً مخزياً لا يدري ما يقول لامرأته ، وقد وبّخها وشتمها على صرتين ، فماذا ستقول له ، وقد أضاع الحصان ؟! فلمَّا وصل وفتحت له ، قالت : ما فعلتم ؟ فقال بسرعة : وجدناه صدقًا ، وزفتهم يوم الخميس ، ولم يكن لديهم حصان ، فأعطيناهم الحصان كمان [٢] ليتمخيلوا عليه (أي ليختالوا عليه) ! .



(١) هذا مثل صنعاني ، يُقال في الشيء الذي لا تستفيد منه أنت ولا غيرك .

(٢) هذا المثل يقال فيمن غلب مرتين (أو بلغة أهل صنعاء : زادوا عليه مرتين) وأذكر أن القاضي محمّداً – حفظه الله – أرسل أحد أولاده لتحصيل دينٍ كان عند أحد النَّاس ، ولمَّا وصل ابن القاضي إلى المدين استطاع هذا الأخير أن يقترض منه مبلغاً ثانياً بالإضافة إلى الأول ، فلمَّا عاد ابن القاضي إلى البيت سأله القاضي : ماذا فعلت ؟ ، فقال : أعطيناهم الحصان كمان ...! ، ففهم القاضي ما وقع .



﴿٥٤﴾ أنا كبسي

هذا مثلٌ يضربُه القاضي ، بمعنى : « أنا ساكت لا أتكلم » ، وقصته :

أنَّ العلامة حسين بن محمَّد الكبسي [١] كان مندوب اليمن في جامعة الدول العربية بمصر في بداية نشأتها سنة ١٩٤٥ م ، وكانت تعليمات الإمام يحيى حميد الدّين ألا يتكلّم في أمر حتَّى يبرق للإمام بما يتكلَّم به [٢] ، وكان يطلب منه عبد الرحمن عزّام أمين الجامعة أن يتكلَّم ، فيمتنع فاشتهر بين الأعضاء في الجامعة العربية ، وفي الصّحف أنَّ الكبسي ساكت لا يتكلّم ، حتَّى أنَّهم جعلوا كرسيّه – في أحد الاجتماعات – بحيث يكون ظهره للمجتمعين ووجهه إلى النَّاحية الأخرى ، فتمنَّى الكبسيّ يومئذ أن تبلعه الأرض من الحرج ، ومما يُذكر أنَّ أعضاء الجامعة العربيَّة اجتمعوا في مدينة أنشاص ، وركبوا في مركب ، وكانت المُغنّية المعروفة أم كلثوم بينهم ، وكان صوتها به بحة ، فطلبوا منها أن تُغنِي ، فقالت : أنا اليوم عاملة كبسي . أي ساكتة !! .

---

(١) السيد العلامة حسين بن محمد بن عبد الله الكبسي : عالم وسياسي وطني من هجرة الكبس بخولان ، ولد بقرية تبعان من بلاد خبان قضاء يريم ، ودرس على علماء ذمار ، ثمَّ رحل إلى صنعاء لطلب العلم ، فأخذ عن كبار مشايخها ، فدرس في جامعها الكبير ، ثمَّ في المدرسة العلميّة ، فبات من كبار أساتذتها ، وتولّى نظارة أوقافها ، وفي عام ١٣٥٦هـ – ١٩٧٣م اختاره الإمام يحيى لمرافقة ابنه سيف الإسلام الحسين في جولته الرسميّة إلى أوروبا واليابان ثمَّ زار الصين ، واستفاد كثيراً من رحلاته ، وحضر عام ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م توقيع ميثاق الجامعة العربية بالقاهرة ثمَّ عين مندوباً بها ، وكان من أنصار التّجديد ، وزعماء ثورة الدستور عام ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨ م الّتي قتل فيها الإمام يحيى فشارك في وضع الدستور ، وعيّن وزيراً لخارجيّة حكومة الثورة وبفشلها أعدم بمعتقل حجة في ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م . راجع ترجمته في « نزهة النّظر » (٢٨٧) ، و« تحفة الأخوان » (٧١ – ٧٢) ، و« الموسوعة اليمنيّة » (٣٦٢ – ٣٦٣) .

(٢) في مذكرات العزي صالح السنيدار « الطريق إلى الحريّة » (١١٨ – ١١٩) ، قال : « .. ومما يجدر ذكره انضمام السيد حسين الكبسي إلى صف الأحرار بعد أن كان مغروراً بالإمام وأولاده وخاصة بالسيف (وذلك لسبب) ما جرى له مع الإمام عند عودته من اليابان، ثم ما حدث له إذ أرسله الإمام يحيى ممثلاً لليمن في الجامعة العربيّة بمصر ، إذ أبرق له الإمام يحيى بأن يكون مستمعاً فقط » .

﴿٥٥﴾ كلهنَّ شوعات

كلمة شوعة باللغة الدَّارجة الصنعانيّة بمعنى قبيح ..

ومما يحكي القاضي: أنَّ العلامة عبد الرزاق بن مُحسن الرقيحي[١] كان خطيب الجامع الكبير، فجاءه بدوي، فقال: يا مولانا أين أشوع بين المغرب والعشاء أذكر الله أم أُصلي على النَّبي ﷺ ؟ فقال مُجيباً: كلهنَّ شوعات[٢] !! .

﴿٥٦﴾ خلق الله كبَّاسي

كان السَّادة بيت الكبسي[٣] مشهورين بالحجّ عن الآخرين ، فإذا مات إنسان ولم يحجّ وأوصى بحجَّة من تركته ، جاء أقارب الميّت إلى واحد من بيت الكبسيّ ، وأعطاه الفلوس الَّتي تركها الميّت وصيّة ليحجَّ عنه ، وكثُر هذا

---

(١) العلامة الفقيه ، مولده بصنعاء ١٢٦٦هـ ، وهو ممن قام وقعد وجدّ واجتهد في طلب العلوم وتحقيق حدودها المرسوم ، وتفنن في فنونها وحقّق ودقق شروحها ومتونها ، وكان عالما عاملاً ورعًا ناسكًا واعظًا حافظًا لا يترك التّهجد الثلث الأخير ، وقد أخذ عليه أكابر علماء عصره وأسمع عليه تجويد القرآن الجم الغفير من النّاس بجامع صنعاء ، وكان مهتماً بتقييد الشوارد النافعة والطّرائف واللطائف الأدبية ، توفي – رحمه الله – سنة ١٣٢٣ هـ .
راجع ترجمته في « نزهة النّظر » (٣٥٥ – ٣٥٧) و«الموسوعة اليمنيّة » (٦٣٢/٢ –٦٣٣) .

(٢) هذا من باب مخاطبة العامي بما يفهمه ، والبدوي هنا أراد : أيها أكثر تأثيراً أو أحراً ؟ ، فأجابه : بأنها كلها مؤثرة نافعة .

(٣) قال العلامة المؤرخ محمّد زبارة في « نيل الحسنيين بأنساب من باليمن من بيوت عترة الحسنين » (١٧٣–١٧٦) : « بيت الكبسي : نسبة إلى هجرة الكبس المتوسطة بين بلاد اليمانيّة السفلى واليمانيّة العليا من خولان العالية على مسافة يوم كامل جنوباً إلى الشّرق من صنعاء ، والجامع نسب جميع السادة الكباسية هو : السيد علي بن معتق بن الهيجان بن القاسم بن يحيى بن الإمام الشهيد حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن الحسني الحمزي السابق ذكره ، وفي سادة الكبس البيوت المعروفة بيت القاضي بيت عبد الرحمن وبيت يوسف وبيت غمضان وبيت المراجل وبيت المغلس وبيت الشمام وبيت المريخ وبيت سيدنا وبيت الحلقة وبيت القحوطة وبيت الغليسي وبيت الهجوة وبيت القعطبي وغيرهم ، وفي غالب أهل بيت من هذه البيوت العلماء والصلحاء والأتقياء ، وهم في جهات كثيرة من اليمن ومن أكابر أعلامهم .. إلخ » .

العمل في بيت الكبسيّ حتّى اشتهروا به .

فيحكي القاضي محمّد - حفظه الله - :

أنَّ رجلاً مُترفّهًا من أهل صنعاء ركب على حماره وسار مع الحجيج الّذين كانوا يخرجون جماعة واحدة من صنعاء وظلّوا سائرين ، وكانت القاعدة أن يسيروا في كل يومٍ من بعد طلوع الفجر حتّى الظهر ، ويستريحوا بقيّة اليوم ثُمَّ يُعاودون السَّيرَ مع الفجر الجديد ، وهكذا حتّى يبلغوا مكّة في (٤٥ يومًا) ويسمونها (٤٥ مرحلة) [١] ، فلمّا وصل الحجيج إلى مدينة عمران تعب هذا المترفّه ، وسأل : أهكذا الحجّ ؟ قالوا : نعم .. هكذا إلى مكّة .. خمس وأربعون مرحلة ، فأدار دابّته ناحية صنعاء ، فقالوا له : ماذا تُريد أن تصنع ؟ قال : أرجع إلى صنعاء .. خلق الله كباسيّ !! .

(كناية عن أنّه لن يحج في حياته ، وسيوصي بأن يحجّ عنه بعد موته ، ومن المشهور أنَّ السّادة من بيت الكبسي هم المشهورون بهذا العمل) .



---

(١) يحكي لي القاضي العمراني : أنَّ الحجاج كانوا يجتمعون مِن أنحاء اليمن في صنعاءٍ ليسيروا دفعة واحدة راكبين على الدواب وعليهم أمير وحراسة خوفًا من قطّاع الطرق المنتشرين ، ثمّ يسيرون في بداية ذي القعدة في طريق (صنعاء - صعدة) يغذون السير من بعد صلاة الفجر حتّى تشتد الظهيرة ، فتتوقف القافلة بسبب الحرارة وللحاجة إلى الراحة والغذاء ، فيمكثون هكذا إلى فجر اليوم التّالي ثمّ يبدأون السير ويكررون هذا العمل خمسة وأربعين يومًا حتّى يصلوا إلى مكّة المكرمّة .. وكانوا يتزودون بالطّعام والماء وببعض المصنوعات كالإبر وغيرها حتّى يحصلوا على ما يحتاجونه من أهل القرى الّتي يمرون عليها بتبادل ما يحملونه من مصنوعات بطعام أو شراب أو غيره من حاجيّاتهم ، وكان هذا طبعًا قديمًا ، والآن تغيّرت الحال ووجدت الطائرات والسيّارات وغيرها فـ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٣] .

﴿ ٥٧ ﴾ قيدوه..زوجوه..!

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - :

أنَّ العلامة المُحدِّث الحافظ مُعمَّر بن راشد [١] كان يرحل من بلدٍ إلى بلدٍ لينشر الحديث النبوي ، ويجمعُ إليهِ ما لم يكن عنده منه ، فلمَّا حلَّ في اليمن، رغب أهل تلك الدّيار أن يبقى عندهم ، ليكسبوا من عمله وفضله ، فاختاروا له قيداً منعوه به من مغادرتهم ، وكان ذلك القيد هو أن زوجوه امرأة منهم ، فكانت قيداً له حبسه عن الرحلة والعودة إلى الوطن الأول ، فاستمر لديهم إلى آخر الحياة .

● **قلت :**

أ - قال العجلي في ترجمة معمَّر بن راشد : « معمّر بن راشد ، يكنى أبا عروة بصري سكن صنعاء اليمن ، وتزوج بها ، ثقة رجل صالح ، وكان من عقلاء الرجال روى عنه ابن المبارك ، ورحل إليه سفيان الثوري وسمع منه بصنعاء ، ولَمَّا دخل صنعاء ، كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم ، فقال لهم رجل : قيدوه ، فزوجوه » فأقام عندهم حتَّى مات سنة ١٥٣ هـ - رحمه الله تعالى - .

ب - من لطيف ما أُشير به إلى أنَّ الزواج قيد ومسئوليّات ثقيلة [٢] ، قول

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تقريب التّهذيب » (٥٤١) ترجمة رقم (٦٨٠٩) : « معمر بن راشد الأزدي مولاهم ، أبو عروة البصري ، نزيل اليمن ، ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً ، وكذا فيما حدث به بالبصرة ، من كبار السابعة (أي الطبقة على ترتيب ابن حجر) مات سنة أربع وخمسين (أي بعد المائة) وهو ابن ثمان وخمسين سنة. ع (أي روت له الكتب الستّ) .

(٢) يقول الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة - رحمه الله - في كتابه اللطيف البديع « العلماء العزاب الّذين =

بعض الظرفاء :

إنَّ ذئْبًا أَمْسَكُوهُ وتَمَارُوا في عِقَابِه
قَالَ شَيْخٌ : زوِّجُوهُ ودَعُوهُ في عَذَابِه

﴿ ٥٨ ﴾ نبوغ الشوكاني

يحكي القاضي محمّد – حفظه الله – :

أنَّ الشوكانيّ حكى عن نفسه ، فقال [١] : « وإني أُخبرك أيّها الطّالب عن نفسي تحدّثا بنعمة الله سُبحانه ثُمَّ تقريبًا لما ذكرت لك من أنَّ هذا الأمر كامن في طبائع النَّاس ، ثابت في غرائزهم ، وأنّه من الفطرة الَّتي فطر الله النَّاس عليها ، إنِّي لما أردت الشروع في طلبِ العلمِ ، ولم أكن إذ ذاك قد عرفت شيئًا منه ، حتَّى ما يتعلق بالطّهارة والصَّلاة إلا مجرد ما يتلقاه الصّغير من تعليم الكبير لكيفيّة الصَّلاة والطّهارة ونحوهما ، فكان أول بحث طالعته بحث كون الفرجين من أعضاء الوضوء في « الأزهارِ » وشرحه ؛ لأنَّ الشّيخ الَّذي أردت القراءة عليه والأخذ عنه ، كان قد بلَغَ في تدريس تلامذته إلى هذا البحث ، فلمَّا طالعت هذا البحث قبل الحضور عند الشّيخ رأيتُ اختلاف الأقوال فيه ، سألت والدي – رحمه الله – عن تلك الأقوال أيّها يكون العمل عليه ، فقالَ :

= آثروا العلم على الزواج » (١٥) : « .. فالزواج وما يتصل به وما ينشأ عنه ، قيد لا ريب فيه وله مسئوليّات تأخذ جوانب كبيرة من حياة الرّجل ماديّاً ومعنويّاً ، وتقتطع من فراغه للعلم كثيراً ، بل قد تقطعه عن العلم أو الازدياد فيه قطعاً ، كما شوهد ذلك في كثير من العلماء الأذكياء ، فلذا آثر بعضهم العزوبة عليه » . وراجع ما يتصل بالزواج والعزوبة والعلم وأحوال العلماء بين ذلك في هذا الكتاب القيّم .

(١) راجع « أدب الطلب » للشوكاني (٢١) .

يكون العمل على ما في الأزهار ، فقلتُ : صاحب الأزهار أكثر علمًا من هؤلاء . قال : لا ، قلتُ : فكيف كان اتباع قوله دون أقوالهم لازماً ؟، فقال : اصنع كما يصنعُ النَّاس ، فإذا فَتَحَ اللهُ عليك ، فستعرف ما يُؤخذ به وما يترك ، فسألت الله عند ذلك أن يفتح عليَّ من معارفه ما يتميز لي به الراجح من المرجوح ، وكان هذا في أول بحث نظرته ، وأوّلُ موضعٍ درسته وقعدت فيه بين يدي العالم ، فاعتبرْ بهذا ، ولا تستبعد ما أرشدتك إليه ، فَتُحْرَمَ بركةَ العلمِ وتُمحَق فائدته » .

« ٥٩ » الإمام أحمد والثعابين

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - :

كان الإمام أحمد الذي حكم اليمن في الفترة (١٩٤٨- ١٩٦٢م) غريب الطباع إلى حدٍّ كبير ، فقد كان يهوى وهو ولي عهد أن يجمع الثعابين فكلّما عثر على ثعبان ، أمسكه من قذاله وأخذه ، وفي يوم خرج الإمام أحمد يتريض ويتنزه قليلاً (وهي تُسمّى دورة في عُرف أهل اليمن) ، فوجد ثعباناً كبيرًا ، فأمسك به ، ونادى على الحرسي الذي معه ، وقال له : افتح لحفتك (أي الشّال الّذي معه) ووضعَ فيه الثعبان ، وقال له : أبقه معك حتّى يأتي أصحابنا بعد العصر (أي في ما يُسَمّى المُتكى) ، فلمّا اجتمعوا بعد العصر والمجلس مليءٌ بالعُلماءِ والكتّابِ نادى الإمام أحمد على الحرسي ، وقال : هات الوديعة (أي الثعبان) .

فجاء به الحرسي ملفوفًا في الشّال فأطلقه الإمام أحمد ، ففوجئ به

الحاضرون ، فتقافزوا ، وهَربَ من هَربَ ، ووجه الإمام أحمد الثعبان ناحية القاضي حسن تقي [(١)] وكان يخاف جداً من الثعابين ، فأخرج الجنبية وقال : يا مولانا والله أشرع بك قبل الحنش ما يقتلني ! فَضَحَكَ الإمامُ أحمد وأمسك بالحنشِ .

﴿٦٠﴾ نجاسة الميّت

يقول المذهب الهادوي الزيدي بنجاسة بدن الميّت ، ويقول المذهب الشّافعيّ بطهارة بدن الميّت وقول الشافعيّة هو الصوابُ ، لقول النّبيّ ﷺ : « **سبحان الله! إنَّ المؤمن لا ينجس حيًّا ولا ميتًا** » ؛ ولأن الأصل الطّهارة ، ومن ادّعى النّجاسة ، فعليه الدليل ، ولا دليل ، وبمناسبة هذه القضيّة الفقهيّة يحكي القاضي مُحمَّد هذه اللطيفة :

أرسل السيّد عبد الله الوزير العلامة الزيدي مُحمّد بن يحيى مداعس أمين صندوق في مدينة إب ، ومن المعلوم أنَّ أهل إبّ شافعيّة ، وكان الشيخ مُداعس جامداً على المذهب ، فأخذ يتجادل مع بعض من تعارف عليهم من أهل إب ، كبيت الصباحي وبيت باسلام وبيت العنسي وغيرهم ، وهو زيدي يقول ولا يتزحزح عن أنَّ المُسلم إذا مات فهو نجس ، وهم شافعيّة لا يتنازلون عن كونه

---

(١) القاضي حسن بن أحمد بن حسن تقي : أديب كاتب ، له خط جميل صحب الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين ، منذ كان وليّاً للعهد إلى أن صار إمامًا وحتّى توفي سنة ١٣٨٢هـ ، وهو من أبرز كتّاب ديوانه ، فكان يحرر له الرسائل ويكتب له أوراق الاعتماد وغيرها ، وكان ينتقل معه منذ أن عمل لديه في حجة وصنعاء ثم في تعز ، مولده في ضيان في ذي الحجة سنة ١٣٢٠ هـ ، ووفاته في تعز عصر يوم الخميس ١٠ من ربيع الأول سنة ١٤٠٩هـ ودفن في ثلا . راجع « هجر العلم » (٢٨٦/١ - ٢٨٧) .

طاهراً ، فدخل عليهم الشيخ حسن الدعيس من مشائخ إب ، وكان ظريفًا صاحب نكتة ، فقال : لا تتجادلوا ، ولا داعي لهذا كلّه ، دعوا الشّيخ محمد مداعس وأصحابه من سمارة ومطلع يبقوا زي ما هم نجسين ، لا نحاول أن نُطّهرهم ، ويتركونا من سمارة ومنزل طاهرين ، لا يُحاولوا ينجسونا ! .

﴿٦١﴾ ياليتها كانت القاضية..!

كَانَ العلاّمة يحيى [١] بن محمّد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم رئيس القضاة [٢] (أي قاضي القضاة) باليمن في أيّام حكم المتوكل على الله [٣] قاسم بن الحسين (١١٢٨ - ١١٣٩ هـ) .

وكان العلامة يحيى المذكور لهُ مُشاركة في الفقه وغالب اشتغاله بالطبّ [٤] ، فوقعت مُنازعة بين جماعة من أهل الإمام بشأن تقسيم تركة ،

---

(١) أخذ العلم بصنعاء عن جماعة من العلماء ، وشارك في الفقه وغيره ، وكان ساكنًا وقورا ، قليل الخلاف ، غير محب للرياسة ، ولا مقتحمًا للأمور الخطرة في فصل الخصومات ، ولو أراد ذلك لكان له يد قويّة وصولة عظيمة ، لكونه من آل الإمام ولعلو سنه ، مات - رحمه الله - في غرّة شهر رجب سنة ١٢٠١هـ ، راجع ترجمته في « البدر الطالع » (٣٤٢/٢-٣٤٣) .

(٢) ولكنه لم يكن بيده من الأمر شيء مع القاضي الألمعي الذكي يحيى بن صالح السحولي كما في «البدر الطّالع» .

(٣) راجع أحواله وكيف تولّى في « المقتطف من تاريخ اليمن » (٢٤٦-٢٤٨) .

(٤) قال الشوكاني في « البدر الطالع » (٣٤٣/٢) : « .. وكان غالب اشتغاله بالطب ، والمعول عليه في صنعاء في مداواة المرضى ، وفيه بركة ظاهرة ، قل أن يداوي مريضاً فلا يشفى ، ولم يكن ليأخذ على ذلك أجراً ، بل قد يسمح بأدوية لها قيمة ومقدار لكثير من الفقراء ، وله ماجريات في العلاجات يتواصفها النّاس ، فمنها : ما أخبرني به بعض الثقات أنّ رجلاً حصل معه مرض وورمت عضداه حتّى صارتا في العظم والصلابة بحيث إذا غمزتا بالإصبع غمزاً شديداً لا تدخل فيهما ولا يظهر لذلك أثر ، فذهب المخبر لي إلى صاحب الترجمة (أي العلامة يحيى المذكور) ووصف له ذلك ، فقال : هذا المرض سببه أنّه وضع قلنسوته الّتي تباشر رأسه وتتلوث بالعرق ، فلدغتها عقرب ، فصار فيها شيء من السم ، ثم وضع بعد ذلك القلنسوة على رأسه وعرق ، فتنزل ذلك في مسام الشعر واحتقن بالعضدين فهو لا شك ميت ، فكان الأمر كما ذكره من موت ذلك المريض ، وله

فأحالهم على العلاّمة يحيى المذكور ، فلَمْ يستطع أن يفصل بينهم ، وأن يُقنعَ جميع الأطراف ، فدخل على زوجته الشريفة العالمة زينب [١] بنت الإمام المتوكل على الله قاسم بن الحسين ، فرأته مهموماً وعرفت منه القضيّة ، فقالت : الأمر سهل ، أعط فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، ثُمَّ أرسل إليهم وعرض عليْهم هذه القسمة ، فقبلوا واقتنعوا وخرجوا راضين ، ثُمَّ عرف الإمام المتوكل ما وقع[٢] فأخبر به الوزير أحمد بن علي النهمي ، فأنشد :

لَنَا قَاضي مَا مَضَى حُكْمُهُ وَأَحْكَامُ زَوْجَتِهِ مَاضِيَةُ
فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ قَاضِيًا وَيَا لَيْتَهَا كَانَت القَاضِيَةُ

= من ذلك عجائب وغرائب ، مع أنه لم يأخذ علم الطب عن شيوخ مشهورين بل كانت فائدته بالمطالعة والتجريب المتكرر والممارسة ولم يخلف بعده مثله ، بحيث كثر تأسف النّاس عليه ، ومن جملة ما اتفق باطلاعي أنّه حصل مع الوالد - رحمه الله - (أي والد الشوكاني) انتفاخ في البطن وتقلص شديد ، فكتبت إلى صاحب الترجمة أصف له ذلك ، فأجاب أنه يحسن أن يشرب ماء ورد بعد أن يخلط به بزر قطناً ، فعجبت من ذلك وقلت في نفسي : هذا الدواء إنما يصلح لمن كان محروراً ، وانتفاخ البطن لا يكون إلا من البرودة ، وهممت ألا أظهر ذلك للوالد ، فزاد مرضه حتّى خشيت عليه أن يموت فعرفته بما وصفه صاحب الترجمة (أي العلامة المذكور) من الدواء ، فاستدعاه وشربه ، فشفي من ساعته ، وذهب أثر الإنتفاخ ، مع أن عمره حينئذ في نحو السبعين سنة » أ. هـ .

(١) الشريفة الكاملة زينب بنت المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن المهدي بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمّد الحسنية الصنعانيّة ، كانت ذات كمال وجمال في النساء ولها ولع بالخير ومراعاة الناس ، وكان المنصور علي بن المهدي العباس يقصدها وينزل عليها وكانت تحتفل بمن ورد عليها من آل الإمام ، تهذب الصغير وترحم الكبير وتعاشر الصديق ، وتزوجها أولاً المولى يحيى بن محمّد بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم قاضي القضاة ، ولما تزوجها غلبت عليه وملكت أمره وصحبها نحواً من أربعين سنة وولدت له ولداً ذكراً وأمضت أموراً تردد فيها وماتت بصنعاء في آخر محرم سنة ١٢٠٠هـ ، ولمّا ماتت حزن عليها زوجها المذكور حزناً شديداً وتنكد عيشه بعدها ، ولم يلبث بعدها إلا سنة وأشهراً وتوفي في غرة محرم سنة ١٢٠١هـ ، ومن المساجد العامرة بصنعاء القديمة مسجد الشريفة ، خارج صنعاء في باب الروم عن يمين الخارج من باب الروم إلى جهة شعوب وبلاد همدان عمرته هذه الشريفة زينب ، راجع « نشر العرف » (١/٧٠٧-٧٠٨) و«مساجد صنعاء » للحجري .

(٢) يقال بأن الشريفة زينب هي الّتي أرسلت إلى الإمام المتوكل بالقصّة ، ولمّا علم زوجها تألّم من ذلك ألمًا شديداً .

﴿٦٢﴾ نصراني يُصلّي بمسلم!

يحكي القاضي مُحمّد :

تعرف الحاج حمود شمار من بني الحارث - أرحب - على رجلٍ أشقرٍ ، ادّعى أنَّه من بقايا التركِ ، وأنَّه مُسلمٌ موحدٌ ، فكان يُصلّي هو والحاج حمود جماعة ، فتارة يتقدّمُ الحاج حمود ويُصلّي بالتركيّ المزعوم ، وتارة يقول له الحاج حمود : تقدّم فَصَلِ بنا ، فيتقدّم التركيّ ، فيُصلّي إماماً ، ثُمَّ سافر هذا التُركيّ إلى عدن وأصبح نائباً لحاكم عدن الإنجليزي ، وفي يوم وصل إلى عدن بعض اليمنيين من بني الحارث ، فعرفهم التركيّ المزعوم وسألهم عن الحاج حمود شمار ، فعرفوه فقال لهم : سلموا على الحاج حمود ، وقولوا له : ليعد الصّلاة الّتي صلاها خلفي ، فإنني لست تركيّاً ، بل أنا إنجليزي نصراني ، فلمّا وصل الخبر إلى الحاج حمود نزل إلى صنعاء ، ليسأل علماءها عن حكم صلاته خلف النصراني ، وهو لا يعلم .

يقولُ القاضي : فجاء عند العلاَّمة عبد الوهاب الشماحي في مسجد الروضة [1] ، ولكن لا أتذكر ما أجابه به ، ثُمَّ مرّت سنوات ، وكنت أقلب في كتاب « المحلي » لابن حزم ، فذكر مسألة وهي إذا صلَّى المُسلِمُ خلفَ الكافرِ وهو لا يعلم ، فأجاب بأنَّ صلاته صحيحة .



---

(١) وعمر القاضي يومئذ حوالي (١٥ سنة) أي في سنة ١٣٥٥هـ تقريبًا ، وكان القاضي محمَّد يخرج في الخريف إلى الروضة ، فيدرس على العلامة عبد الوهاب الشماحي .

﴿٦٣﴾ فَسَدَ حجُكَ!

حَكَى القَاضِي مُحمّد - حَفظَهُ اللهُ - فَقَالَ :

دخل أحد العلماء عند رجل مُرَاءٍ ، فطلب العالم سجادة صلاة (مصليّة) فنادى المُرائي على خادمه ، وقال : يا فلان ، أحضر السجّادة الجديدة الّتي اشتريناها في حجنا هذا العام ، ولا تحضر السّجّادة البالية الّتي اشتريناها في حجنا في العام الماضي ، فقال العالم : فسد حجك .

● **قلت** : ومما يحضرني في هذا المقام ، ما حكاه ابن الجوزيُّ في « أخبارِ الحمقى والمغفّلين » (١١١) قال : « وكان أعرابيٌّ يُصلِي ، فأخذ قومٌ يمدحونه ويصفونه بالصلاح ، فقطع صلاته ، وقال : مع هذا إِني صائم » !! .

﴿٦٤﴾ أيهما أفضل صنعاء أم تعز؟

تولّى الإمام أحمد بن يحيى حمد الدّين على اليمن في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٦٢م) ، كان يُحب مدينة تعز محبّة عظيمة [١] ، وعندما وصل القاضي مُحَمّد إلى تعز نبّه عليه بعض حاشية الإمام أحمد أنّه إذا سأله الإمام أحمد عن صنعاء وتعز أيهما أفضل ؟ فليقل : تعز ، حتّى لا يغضب الإمام أحمد ؛ لأنَّ الإمام أحمد (روحه تعز) ! ، فلمّا وصل القاضي محمّد عند الإمام أحمد ،

---

(١) تقول كلودي فايان في كتابها « كنت طبيبة في اليمن » (٦٤) : « .. ولعل لعدم انتقال الإمام إلى صنعاء أسباباً أخرى ، فقد خصعت صنعاء للإمام الّذي تولّى الحكم بعد مقتل أبيه الإمام يحيى ، وهو لهذا يضمر لها حقداً وكراهية وحفيظة ، وهناك سبب سياسي وهو أن تعز ثغر من ثغور اليمن المهمّة وأقرب إلى المدينة .. والإمام يعرف كل هذا وهو يقول للزائر الأجنبي وصوته لا يكاد يخلو من الكآبة والحزن : « إنك لم تر اليمن بعد .. اذهب إلى صنعاء وستعرف هناك بلادي » لعله يقدر مسئوليته الثقيلة كبواب كبير .. يعرف متى يستطيع أن يفتح ومتى يجب أن يغلق » .

وسألَهُ هذا السؤال ، فأجاب القاضي محمَّد : تعز ، فارتاح الإمام أحمد ، وقال: أحسنت ، ولَمَّا رجع الإمام أحمد إلى صنعاء ، وبصحبته القاضي محمّد سأله الإمام أحمد : أيّهما أفضل صنعاء أم تعز ؟ فأجاب القاضي محمّد بأنَّ صنعاء أفضل ، فتعجّب الإمام أحمد ، وقال : كيف ؟! .

فقال القاضي محمَّد : صنعاء هي العاصمة والإمام فيها ، ولم يسمعْ أحد أن تعز عاصمة ، فقال الإمام أحمد : فهاك الملك المظفّر ، وملوك بني رسول ، كانت عاصمتهم تعز ! ، فقال القاضي محمّد : هؤلاء لم يتمكنوا من جعل صنعاء عاصمة ؛ لعجزِهم عن دخولها ، وحتَّى في الفترات الَّتي كان يتيسر لهم دخولها ، كانوا يعرفون أنَّه لا يستقر لهم فيها قرار ؛ لأنَّ الزيديّة لم يكونوا يعترفون بهم ، وأمَّا الإمام فأبوه وجده منها وفيها ، فقال الإمام أحمد : فماذا تقول في قول الشّاعر :

صَنْعَـــاءَ لا تَحْـــفَلْ بِهَـــا وَعَنْ مَـــدَاهَا فَـــابْتَـــعِـــدْ
فَـــالبَـــرْدُ فِـــيـــهَـــا قَـــارِسٌ والجِـــسْمُ مِنْهُ يرْتَعِـــدْ

فقال القاضي محمَّد : هذا شاعرٌ فقيرٌ ، استأجر له غرفة بابها مكسر ، فيها شقوق وفتحات تدخل من الهواء والبرد أكثر مما تحجب ، فقال هذا الشعر ، ولكن الإمام معه الدور النَّظيفة والفراش المدفئ والدفايات وكل وسائل الراحة ، فكيف سيُعاني من بردِ صنعاءِ ؟!! .



﴿٦٥﴾ نتيجةُ بيتِ الفقيه

نتيجة بيت الفقيه : كُتَيِّب يصدر كل عام فيه تنجيم ، ونبوءات يقوم عليها أحد المنجمين ، وهو ساكن في مدينة بيت الفقيه إحدى مدن تهامة اليمن ، وقد استنكر العلماء هذا الدجل والتَّنجيم ، وممن استنكرها القاضي العلامة محمَّد بن إسماعيل العمرانيّ – حفظه الله – .

يحكي القاضي محمّد :

أنَّه في عام (١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م) كتب في هذه النتيجة : « في شباط (فبراير) يسقط تاج » ، فقتل الإمام يحيى حميد الدين في الشّهر المذكور ، وزاد ذلك اعتقاد النَّاس في هذه النَّتيجةِ الضَّالةِ .

وفي أحد الأعوام جاء في هذه النتيجة : « في شوال اقلبْ المكيال يا رجال » فتوقع الناس وقوع ثورة في اليمن ، فوقع في هذا العام زيادة الثمر ، وكان هذا معنى اقلبْ المكيالَ !! .



﴿٦٦﴾ الحلقةُ المفقودة [1]

يَحْكِي القاضي العمراني ، فيقول :

كان المُشير عبد الله السلال (أول رئيس جمهورية في اليمن) محبوسًا في حبس حجة بعد ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ (الموافق سنة ١٩٤٨) ، وفي وسط ألمه وأصحابه المحبوسين معه ، جاء أحدُ الحرَّاسِ الجهلاءِ ، وقال لهم : أبشروا ، فإنَّكم ستخرجون من الحبس قريبًا ، فقالوا : لماذا ؟ قالَ الحارس : لأنَّه قد أُلقي القبض على الدستور ، عند مدخل باب اليمن أو باب السبح ، فقال السلال : انظروا إلى عاق والديه (دارون) ذهب يبحث عن الحلقة المفقودة في أمريكا ، وها هي موجودة هنا ... ! .

● **قلت** : ومما يُناسب ذكره هنا ما طالعته في « أخبار الحمقى والمغفلين » لابن الجوزي (١٤٤ - ١٤٥) قال : وعن محمَّد بن المبرد عن الحسن بن رجاء أنَّ الرَّشيد لمَّا غضب على ثمامة دفعه إلى سلام الأبرش ، وأمره أن يضيِّق عليه وأن يدخله بيتًا ويُطينَ عليه ، ويتركُ فيه ثقبًا ، ففعل دون ذلك ، وكان يدس إليه الطعام ، فجلس سلام عشيَّة ، وهو يقرأ في المصحف ، فقرأ : ﴿ **فَوَيْلٌ**

---

(١) هذه الحادثة حكاها أيضًا علي ناصر العنسي في كتاب « ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات » (٤١٥) فقال : « هنالك حادثة جعلتني انتبه إلى دائرة التَّخلف الَّتي يعيش فيها الشَّعب ، كان أحد السجَّانين اسمه ناصر علي جرامة ، كان يأتي إلينا ويَدخل إلَى الغرفة ويأتينا بأخبار سياسية ونحن نوافقه القول بنعم .. نعم ، وفي يوم دخل إلينا ، وقال : في هذا اليوم سيصل إليكم ضيوف . قلنا له : من هم هؤلاء الضيوف ، يا عم ناصر ؟ قال : الترتلاني والدستور . وقال بهذا اللفظ : الترتلاني والدستور يعني الفضيل الورتلاني والدستور ، وأخذ يسرد القضيَّة ، وكيف أمكن مسك الدستور في الحيمة ، ثم أخذ يحدثنا عن نفسه قائلاً : أنا كنت جعسوس (يعني جاسوس) عند ولي العهد في صعدة ، وكان يرسله مع شخص آخر للتجسس إلى السعوديَّة ، وكان يقول : ما إن يأتي النَّهار إلا ونكون في السعوديَّة وعندما أنهى كلامه خرج وكان رجل عاري الصدر مليئه بالشعر ويلبس جرم صوف ، فقلت للإخوان : هذا هو الحلقة الوسطى المفقودة الَّتي نبحث عنها دائمًا ، ولا أدري من الَّذي قال له الحكاية ، فعذبني ونفاني من السجن الأعلى إلى السجن الأسفل .. إلخ » وحكاها بصورة أخرى أحمد الشَّامي في « رياح التغيير في اليمن » (٣٦٢) فراجعه .

يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذَّبِينَ ﴾ [الطور : ١١] (أي بفتح الذال المعجمة المشددة) فقال ثمامة : إنما هو ﴿ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (أي بكسر الذال المعجمة المشددة) وجعل يشرح ويقول : المكذبين (أي بالفتح) هم الرسل ، والمكذبين (أي بالكسر) هم الكفار ، فقال سلام : قد قيل لي أنّك زنديق ، ولم أقبل ، ثمَّ ضيَّقَ عليه أشد الضيق ، قال : ثُمَّ رضي الرشيد عن ثمامة فجالسه ، فقال الرشيد : أخبروني عن أسوأ النَّاس حالاً ، فقال كل واحد شيئًا ، قال ثمامة : وبلغ القول إليَّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، عاقل يجري عليه حكم جاهل ، فتبينت الغضب في وجه الرّشيد ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما أحسبني وقعت بحيث أردت ، قال : لا والله ، فحدَّثته بحديث سلام ، فضحك حتَّى استلقى ، وقال : صدقت ، والله لقد كنت أسوأ النَّاس حالاً .

ونقلها الأستاذ عبود الشَّالجي في كتابه « موسوعة العذاب » (٣/١٨٠-١٨١) وقال : وتُذكرني هذه القصَّة ، بقصة يتناقلها البغداديون عن فقيه حُبس ظُلمًا ، فكان يعظ المسجونين ويحضّهم على التَّمسك بالدّين والأخلاق ، فلا يرى تجاوبًا من أحد منهم إلا من شخص واحد ، كان يقبل على الواعظ ، وينصت إليه باهتمام عظيم ويبكي بكاء شديداً ، فأعجب به الواعظ ، وقال له مرَّة : بارك الله فيك يا ولدي ، فإنَّ وعظي - على ما يظهر لي - عظيم الأثر فيك ، ولابدَّ أنَّك قد انتفعت به ، فقال له : إنِّي - يا سيدي- لم أفهم شيئًا من وعظك ، أمَّا سبب بكائي ؛ فلأنني لمَّا حُبست فارقت تيسًا قد ربَّيته وأحببته حبِّي لولدي ، وكلَّما رأيتك تحرك لحيتك وأنت تعظ ، تذكرت لحية تيسي الذي فارقته ، فبكيت حزنًا على فراقه .

● **قلت** : قال أبو الأسود الدؤلي : إذا أردتَ أن تعذبَ عالمًا ، فاقرنْ به جاهلاً . راجع « المستظرف » (٣٧) .

﴿ ٦٧ ﴾ سيفُ الإسلامِ والكلبُ الإنجليزيُّ

يحكي القاضي محمّد – حفظه الله – ، فيقول :

سافر سيف الإسلام الحسين (وهو أحد أولاد الإمام يحيى حميد الدين) إلى لندن في مهمّة ، وكان في صحبته المرافق الحاج عزيز يعني ، وفي أحد الأيام سار سيف الإسلام الحسين مع مرافقه الحاج عزيز في أحد شوارع لندن ، فهجم عليهما أحد الكلاب ، فما كان من الحاج عزيز إلا أن رفع الجنبية وطعن الكلب بها – كعادته إذا هاجمه كلب من كلاب البوادي الّتي خارج مدينة صنعاء – وفي هذه الأثناء صور الواقعة شرطي ، وفي اليوم الثاني ، وصل إلى الحاج عزيز استدعاء إلى المحكمة ، فأنكر طعنه للكلبِ ، فأخرجوا له الصور فأقر ، فحكم القاضي بأن يدفعَ مصاريف علاج الكلبِ ، وأن يلزم بزيارة الكلب في المستشفى ، فلمّا وصل الحاج عزيز إلى المستشفى لزيارة الكلب وأبصره الكلب ، قفز الكلب من على سريره ، وصاح صياحًا مُزعجًا ، وكأنَّ الكلب تصور أنَّ الحاج عزيزاً سيكرر الطَّعنة ، فأخرج الحاج عزيز ، واكتفوا بذلك !! .

ومما وقع لسيف الإسلام في هذه السفرةِ ، أنّه كَانَ موسوسًا في الطَّهارةِ ، فأخذ معه في شنطتِه حجارة يستجمر بها فلمَّا نزل في فندق راق على حساب الحكومة البريطانيّة ، استعمل الأحجار في الطّهارة وألقاها في الحمَّام ، فانسدّ الحمّام ، وجاءت فرقة عمال لإصلاحه ، فوجدوا الحجارة فتعجبوا جداً ، ولم يعرفوا من أيْنَ جاءت ، ولم يخطر ببالهم أن سمو الأمير هو الّذي جاء بها من اليمنِ !! .



﴿ ٦٨ ﴾ نصف متر من البز لوزير العدل

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - :

أنَّ القضاة كانوا مدعوين عند وزير العدل (وكان اشتراكيّاً ، عُينَ في فترة الوحدة ، عندَّما كان اليمن الميمون شطرين) ، وكان القاضي محمّد من ضمن المدعوين ، وخرج عليهم الوزير الاشتراكي، وهو يرتدي تباناً (أي شورتاً) وبعد ذلك جاء الخادم فسأل القاضي عن طلباتهم من أوراق أو أقلام أو مشروبات أو غيره ؟ ، فقال القاضي محمّد : نُريد نصف متر من البز ، فتعجَّب الخادم وقال : لماذا ؟ فقال القاضي : نعمله وصلة لسروال سعادة الوزير ، فَضَحِكَ السَّامعون .

﴿ ٦٩ ﴾ الشوكانيّ والقبيلي

كان الإمامُ العَلَمُ محمّد بن علي الشوكانيّ - رحمه الله - عندما تولّى القضاء في أيّام الإمام المهدي عبد الله ، قد اشترط على المهدي نفاذ أحكامه وقضائه على كلّ النّاس ، فأشار المهدي عبد الله إلى نفسه ، وقال : لو كان على الجالس على هذا الكرسي ..

وفي أحدِ الأيّامِ (١) ادّعى رجل على بعض عقال أو مشايخ بني حشيش ،

---

(١) ذكر هذه القصة شيخي القاضي العمراني في كتابه « نظام القضاء في الإسلام » (٢٧٢-٢٧٣) وقال في آخرها : « .. ذكرها شيخي القاضي عبدالله الحرافي في كتاب « أنباء اليمن ونبلائه بعد الألف » وسمعتها من أكثر من واحد من عِلماء صنعاء ، الّذين كانوا يقولون إن خير عصر في اليمن انتصف فيه المظلومون من ظالميهم ، ونفذت فيه أوامر قضاة الشريعة ، هو العصر الّذي تولّى فيه مشيخة الإسلام القاضي محمّد الشوكانيّ ، وخصوصاً في المدة الأخيرة من أعوام توليه لهذا المنصب العظيم » .

فأرسل إليه الشوكانيّ ورقة إحضار ؛ ليحكم بينه وبين خصمه ، فرفضَ الشيخ الحضور ولَمْ يكتفْ بالرفضِ ، بل عمل الإحضار في عرض عود من قصب الذرة الَّتي تأكله البقرة ، وربطه ببعض أغصانِ القصبِ في شكل ما يُسميه النَّاس بالعصابة ، وألقم الثور العصابة ليأكل ورقة الإحضار مع هذه العصابة تحدياً لشيخ الإسلام الشوكانيّ ، وتكبراً على غريمه الطَّالب منه الحضور ، فما كان من العسكري الرَّسول إلاَّ أن استشهد الحاضرين على ما فعله هذا الشيخ المتعجرف ، ورجع إلى صنعاء ، ليخبر شيخ الإسلام الشوكاني بما كان من هذا الشّيخ أمام الشهود الحاضرين لهذا التّحدي السَّافر لأمر قاضي القضاة – رحمه الله – ، وما كاد الخبر يصل إلى الشوكانيّ حتَّى أرسل بدواته مع رسول خاص إلى الإمام المهدي عبد الله الذي كان يومئذ في قرية ذهبان ضيفاً على الشّريف الحسن بن ناصر الجوفي ، وما كاد المهدي عبد الله يتلقّى هذا النبأ حتَّى ترك بين مُضيفه فوراً ، وخرج مُسرعًا هو ومن لديه من الجنود متوجهًا شطر بني حشيش ، وبلغ فوراً إلى صنعاء بإرسال ثلة من الجنود مع المدفع في أقرب وقت ممكن وعلى جناحِ السرعةِ ، وما مضت ساعة حتَّى كان الجميع أمام دار هذا الشيخ الشقيّ ، فأمر بضرب داره بالمدفع وبإخراج الثّور الَّذي كان قد أكل الإحضار في وسط العصابة ، وذبحه وأخرج الإحضار من بين الفرث كما أمر بإلقاء القبض على هذا الشَّيخ الأحمق ، وربطه بجامعة من حديد من عنقه إلى يده ثُمَّ إلى رجليه وأرسله إلى حبس القلعة مصحوباً بما يُحافظ عليه حتَّى يصل عند الشّوكانيّ ذليلاً خاضِعاً للأمرِ الشرعيّ .



﴿٧٠﴾ أردت عمراً وأراد الله خارجة [١]
أو « أنت تريد وأنا أريد ، والله يفعل ما يُريد »

حكى القاضي محمّد – حفظه الله – :

كان السّيّد عبد الرحمن بن حسين الأمير [٢] عاملاً (أي مُديراً) على بني الحارث في الروضة ، وأراد أن يتزوج ، فخطب فتاة من بني حوات ، وأخوالها من بني زياد ، وكانت البنت غير راضية ، ولكن أباها رأى هذا الزواج والارتباط سيشرفه ، يرفع من قدره ، فأصرَّ على إتمام الزّواج ، وفي يوم العرس دعى العامل النَّاس واجتمعوا من كل حدب وصوب ، وفوجئ الأب بهروب ابنته إلى أخوالها بني الحارث ، وأنها تريد أن تقتل نفسها ، فأخذ المهر الذي دفعه العامل في نفس صرته ، وطلب الخلوة بالعامل ، وقال له : الآن البنت هربت وليس في يدي شيء ، تُريد أن تحبسني فاحبسني ، أو افعل ما تريد وهذه فلوسك كما هي . فقال له العامل : لا أحبسك ولا شيء اذهب عفا الله عنك ثُمَّ استدعى العامل قريباته من النساء ، وحكى لهن ما حدث ، وبيّن لهنَّ حرج الموقف وأن العروس (وتسمّى : الحريوة ، بلغة أهل صنعاء) قد هربت ، فانظروا لنا امرأة أخرى ، فقالت إحدى النساء : هذه فلانة من بيت العلفي جيدة ، وتناسبك ، فما رأيك ؟ فقال العامل : لا بأس ، كلّموا أمها .

---

(١) هذا المثل أصله أن الخوارج عندما اتّفقوا على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، فذهب الخارجي المكلّف بقتل عمرو بن العاص ، فاختبأ له ليضربه بالسيف عند خروجه إلى الصلاة ، وقدر الله أن مرض عمرو في هذا اليوم فأناب عنه رئيس شرطته خارجة ، فجاء الخارجي فضربه بالسيف وهو يظنه عمرو ، وبعدما أمسكوا بالخارجي وعلم أن المقتول من ضربته هو خارجة لا عمرو ، فقال : « أردت عمراً ، وأراد الله خارجة » فذهبت مثلاً .

(٢) هو السيد عبد الرحمن بن حسين بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن محمّد بن إسماعيل الأمير ، هكذا أملاني القاضي محمّد اسمه ، ولم أجد له ترجمة .

وصادف أنَّ هذه الفتاة وأمَّها جاءتا لتُساعدا النساء في العرس في الطَّبخِ وغيره .. وكانت هذه البنت [(١)] في المطبخ (ويُسمّى : الديمة ، بلغة أهل صنعاء) وكانت بلباس المطبخ ، فجاءت النساء إلى أمها ، وكلمنها فلم تُمانعْ ، وقالت : كلموا إخوتها ، فقلن : أين هم ؟ قالت : في صنعاءَ .

فأرسل العامل إليهم فوافقوا ، وعقد للبنت على العامل في نفس الوقت ، وأعطى لإخوتها نفس الفلوس الَّتي ردّت إليه من أبي العروس (الحريوة) الهاربة ، تمَّ كلّ ذلك والنَّاس في المجلس (المتكى) لا يشعرون ، وتمَّ العرس والزفاف ، وعاد النَّاس إلى بيوتهم ، والرّجال لا يدرون بما حدث ، والنّساء يدرين ، فكانت المرأة من المدعوات تقول لزوجها : بمن تزوج العامل ؟ فيقول الزوج : تزوج بفتاة بني الحارث .

فتقول المرأة : لا ، لقد تزوَّج ببنت العلفيّ [(٢)] ، فيتعجّب الزَّوج ، فتحكي له ما حدث من تغيير في العروس (الحريوة) ! .



---

(١) قال القاضي محمد : أنا أعرف هذا العامل وهذه الَّتي تزوجها وقد أنجب العامل منها وعرفت أولادهم ، فقلت لهم : لعلكم كنتم حاضرين هذا العرس ؟ قال : لا ، لقد كنت صغيراً ، في حوالي الخامسة عشرة . قلت : وعلى هذا فهذه القصّة وقعت حوالي سنة ١٣٥٥هـ .

(٢) وينطقه أهل صنعاء بلهجتهم (العنفي) بالنون بدلاً من اللام ، وأصل بيت العلفي يرجع إلى بني أميّة .

﴿٧١﴾ فإن تُرِد الزّيادة، هات بطنًا

لم تعترفْ إيران بالجمهوريّة اليمنيّة إلا مُؤخراً في آخر سنوات حكم القاضي الإرياني[1] للجمهورية اليمنيّة، وحتّى تُحسّن العلاقات مع اليمن دعت مجموعة من القُضاة والعلماء اليمانيين دعوة رسميّة لزيارة إيران، وكان من هؤلاء القاضي عبد الله الشّماحيّ[2]، والقاضي علي بن يحيى الإرياني[3]، والقاضي محمّد بن إسماعيل العمراني، وجعلوا لهم برنامجًا للزيارة، فلمّا عرضوه عليهم، قال القاضي عبد الله الشماحي مُستشهداً:

تَلَبَّس أَوْ تَقَمَّص أو تَجَبَّى ... فَلَنْ تَزْدَادَ عِنْدي قَطُّ حُبّاً

تَمَلَّكَ بَعْضُ حُبِّكَ كُلَّ قَلْبِي ... فَإِنْ تُرِدْ الزِّيَادَةَ هَاتِ قَلْبَا

---

(١) القاضي عبد الرحمن بن يحيى الإرياني اليحصبي، ولد بإربان من بلاد يريم في سنة ١٣٢٨هـ تقريبًا، وأخذ عن والده العلامة يحيى بن محمّد الإرياني وغيره ورحل إلى صنعاء وأخذ بها وبرع في علم العربية، وكان ممن حبسهم الإمام أحمد بعد قتل والده الإمام يحيى واستمر حبسه نحو سبع سنوات، وقد تولّى وزارة العدل بعد الثورة ١٩٦٢م، وكان من القائمين بالانقلاب ضد السلال في شعبان ١٣٨٧هـ - ٥ نوفمبر ١٩٦٧م، وعند تشكيل المجلس الجمهوري تعين صاحب الترجمة رئيساً للمجلس الجمهوري في الفترة (نوفمبر ١٩٦٧-١٩٧٤م) راجع ترجمته في « نزهة النظر » (١/٣٥٤-٣٥٥).

(٢) القاضي عبد الله بن عبد الوهاب بن محمد المجاهد الشماحي: قاضٍ عالم فقيه أديب شاعر مؤرخ خطيب من بيت علم وقضاء، ولد سنة ١٣٢٥هـ اشتغل بالقضاء والسياسة، وساهم في حركة المعارضة، فكان خطيب ثورة الدستور سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، وبفشلها دخل سجن حجة حتّى عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، وكان متعدد المواهب والثقافة وشغل بعد الثورة عدة مناصب قضائيّة وسياسية منها: عضويّة مجلس الشورى، والمجلس الوطني، له الكثير من الشعر والمقالات، واشتهر له كتابه « تاريخ اليمن: الإنسان والحضارة »، ولم يزل بحيويته ونشاطه حتى عشية وفاته في ١٠ شهر ربيع ١٤٠٦هـ - ٢٢ من ديسمبر ١٩٨٥م، حين توفي فجأة وقد قارب الثمانين. راجع « نزهة النظر » (٤١٠)، و« الموسوعة اليمنيّة » (٢/٦٢٠).

(٣) القاضي العلامة الأديب جمال الدين علي بن يحيى الإرياني، كانت ولادته في محرم سنة ١٣٢١هـ في إريان، قرأ على والده وغيره من العلماء الكبار وتصدر للتدريس في إريان، فقصده الطلاب له شعر رائق جمعه أخوه عبد الرحمن في ديوان كبير، وله قصيدة ضمنها أقسام الحديث على غرار قصيدة « غرامي صحيح »، توفي عام ١٣٥٨هـ عن سبعة وثلاثين عاماً. راجع ترجمته وشيئًا من لطيف شعره في « نزهة النظر » (٢/٤٦١-٤٦٦)، و« الموسوعة اليمنية » (٢/٦٧٩).

وفي أحد الأيَّام دعى الإيرانيون القضاة اليمنيين لتناول طعام الغداء في أحسن المطاعم خارج العاصمة طهران ، وهذا المطعم كانت جدرانه وسقوفه كلّها من المرايات والزجاج حتَّى يظن الدَّاخل كثرة الناس وازدحامهم ، وما هي إلا صور الدَّاخلين أنفسهم انعكست على جميع المرايا المُحيطة بالمكان (١) ، ثُمَّ قدَّموا لهم أفخر الطّعام ، فكان القاضي العمراني – حفظه الله – لا يُقبل على الأكل ، فلمَّا لاحظ الإيرانيون هذا ، سألوه ودعوه إلى مزيد من الطّعام ، وسألوه إن كان يشتهي طعامًا آخر ؟ فبيّن لهم القاضي محمَّد أن هذه طبيعته في الطّعام ، وأنَّه لا يأكل إلا قليلاً (٢) ، فلم يرتضوا بهذا الجواب ، وأخذوا في الإلحاح عليه والتَّأكيد بأن يأكل ، فأُحرج القاضي ، وأراد أنْ يخرج من هذا الإحراج ، فقال لهم :

تَمَلّكَ بَعْضُ أَكْلِكَ كُلَّ بَطْنِي ... فَإِنْ تُرِدِ الزِّيَادَةَ هَاتِ بَطْنَا

فلمَّا ترجَمَهَا المُترجم للجالسين على المائدة الَّتي عليها القاضي محمّد ، فأُخبروا فضَحِكَ الجميعُ ، وعكست الجدران الزجاجيّة هذا الضّحك ، فأصبح الحال كأنَّ المَطعم كلّه بزبائنه وجدرانه وسقوفه كأنَّه يضحك ، فمال القاضي محمّد على القاضي الشماحي، وقال : كلُّ هؤلاء يضحكون على حسابي..! .



(١) وهذا ما وقع للقاضي الشماحي ، فإنَّه لَمَّا دخل المطعم تصوره مُزدحمًا جداً ، فمال على القاضي العمراني ، وقال له : هذا المطعم مليء بالناس ، فردَّ عليه القاضي العمراني : لا تضحك النَّاس علينا..! هذه صورنا ، لاحظ عمائمنا في المرايا .

(٢) من طبيعة القاضي محمد – حفظه الله – أنَّه لا يعجبه إلا الأكل اليمني الصنعاني ، فلا يعجبه ما لذَّ وطاب من الأكلات المصريّة والشاميّة والإيرانيّة ، وغيرها .

﴿٧٢﴾ أميرُ الشعراءِ وسيفُ الإسلامِ

كان سيف الإسلام [١] محمّد بن الإمام يحيى حميد الدّين شابًا نابغًا ، درس علوم الشّريعة ، وألمَّ بثقافة عصره ، وكان يتوقّد فطنة وذكاء مع كرم أخلاق وتواضع وصفاء سريرة ، وشرف نفس وعلو همَّة ، وكان محبوباً من النَّاس كلِّهم سواء كانوا من الأسرة الحاكمة أو من الرّعيّة المحكومة ، وحدث في ١٦ من ذي الخحّة سنة ١٣٥٠ هـ أن كان سيف الإسلام محمّد في الحديدة ، وفي بحر الحديدة (أي البحر الأحمر) حاول السيف محمّد إنقاذ أحد أتباعه من الغرق ، فغرق هو - رحمه الله - وحزنت الدُّنيا كلها ، وعلى رأسهم والده الإمام يحيى ورثاه الشعراء من اليمن ومن خارج اليمن ..

وممن رثاه من مصر أمير الشعراء أحمد شوقي بك بقصيدة نشرتها الصحف المصريّة ، وهي :

مَضَى الدَّهْرُ بابن إمَام اليَمَنِ ... وَأَوْدَى بزين شَبَاب الزَّمَنِ
وباتَتْ بِصَنْعَاء تَبْكي السُّيوفُ ... عَلَيْهِ وتَبْكي القَنَا في عَدَنْ
وأَعْوَلَ نَجْدٌ وضجَّ الحِجَازُ ... ومَالَ الحُسَيْنُ فَعَزَّى الحَسَن

---

(١) ولد - رحمه الله - ليلة النصف من شهر رمضان سنة ١٣١٦هـ وحفظ القرآن والمختصرات وأخذ في علم النحو والفقه عن العلامة أحمد بن قاسم الشمط والقاضي عبد الوهاب بن محمد المجاهد والسيد حسين بن محمد أبو طالب والسيد حسين بن محمد أبو طالب والسيد محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين ، والقاضي إسحاق بن عبد الله المجاهد وشيخ الإسلام القاضي علي بن علي اليماني ، واستجاز منه ومن والده الإمام يحيى ومن السيد العلامة زيد بن علي الديلمي ومن المولى الحسين بن علي العمري فأجازوه كما طلب الإجازة من علماء الأقطار النائية كالأستاذ محمد حبيب الله الشنقيطي والسيد أحمد الغماري وغيرهما ، وتوفي شابًا غريقًا - شهيداً إن شاء الله - سنة ١٣٥٠هـ ، وعمره (٣٤) سنة . راجع ترجمته في « نزهة النظر » (٢/٥٩٨-٦٠٣) .

ومنها :

وَمِصْرُ الَّتِي تَجْمَعُ المُسْلِمِينَ ... كَمَا اجْتَمَعُوا لاسْتِلامِ الرُّكْنِ
تُعَزِّي اليَمَانِيِّنَ في سَيْفِهِمُ ... وَتَأْخُذُ حِصَّتَهَا فِي الحزن
وَتَعْقِدُ فِي مَأْتَمِ ابْنِ الإِمَامِ ... وَتَبْكِيهِ بالعَبَرَاتِ الهُتَنِ
وَتَنْثُرُ رَيْحَانَتِي زَنْبَقٍ ... مِنَ الشِّعْرِ فِي رَبَوَاتِ اليَمَنِ
مَتَى صِرْتَ يا بَحْرُ غَمْدَ السيوفِ ... وَكُنَّا عَهِدْنَاكَ غَمْدَ السُّفُنِ

إلى آخر القصيدة (١) .

فلمَّا وصلت القصيدة إلى الإمام يحيى حميد الدين شكر لشوقي مُشاركته وأرسل برقيّة إلى والي الحديدة بأن يرسلوا إلى أحمد شوقي بك هديّة من البنّ اليمني الفاخر ، فوصلت إلى شوقي ، وهو على فراش الموت في محرم ١٣٥١هـ ، فلم تُفتح حتّى تُوفي أحمد شوقي ، وعمل له العزاء ، وكان يُقدَّم للناس البنّ على قاعدة أهل مصر (٢) ، وكان هذا من البنّ الَّذي أرسله الإمام ، فإذا امتنع أحد من النَّاس من شرب البنّ ، قالوا له : هذا بن تأريخي ، وحكوا له قصته الغريبة ! .



(١) راجع معظم القصيدة في المصدر السابق « نزهة النظر » (٦٠٢/٢-٦٠٣) ويلاحظ ضعفها ؛ لأنها من آخر ما كتب شوقي ، وهو على فراش الموت وقد ضعفت حرارة شعره .
(٢) وهي من البدع المشهورة في مصر .

﴿٧٣﴾ أشأم من جبّة أحمد السياغي

يحكي القاضي محمد :

كَانَ العلامة القاضي يحيى أحمد السياغي [١] من الأحرار ، وعندما قامت حركة ١٩٥٥م بقيادة المقدّم أحمد الثلايا ، كان أحد عناصرها الرئيسيين ، ومارس دوراً تحريضيّاً في أوساط العلماء على مبايعة إمام الحركة السيف عبد الله بن الإمام يحيى [٢] ، وإرغام الإمام أحمد على التنازل لأخيه ، وكان ضمن وفد ثيادة الحركة إلى الإمام للحصول على تنازل خطّي عن العرش، وقد حرر أحمد التّنازل بخطه ، واستطاع الإمام أحمد أن يفلت من المُحاصرين له ويستعيد زمام الأمور ، وفشلت حركة المقدم الثلايا ، فقبض على القاضي يحيى السياغي والقاضي عبد الرحمن الإرياني ، وأمر الإمام بإرسالهما إلى دار صالة مع التّحفظ عليهما ، فظنّوا أنّه لن يقتلهما ؛ لأنّه لم يُرسلهما إلى الحبس بل أرسلهما إلى هذه الدّار – وهي دار في تعز يستقبل فيها الإمام ضيوفه – وقال الإمام أحمد لمن حوله : سنُضحي غداً بكبشين أقرنين أملحين ، ومراده السياغي والإرياني ، وأرسل الإرياني مُراجعة للإمام أحمد ، وأنّه ليس له يد في الانقلاب ، وصدّقه الإمام أحمد فعفا عنه ، وفي اليوم الثاني (وهو

---

(١) راجع المزيد من ترجمته في « الموسوعة اليمنيّة » (١٠١٧/٢) وإذا أردت أن ترى « جبة السياغي » فراجع « الطريق إلى الحرية » (٢٠٧) .

(٢) أمير سياسي ، تخرج من المدرسة العلمية ، وكان مُلمّا بثقافة عصره ، تولى لأبيه وزارة المعارف ، ثم عينه أميراً على الحديدة ، وعندما قامت ثورة الدستور ١٣٦٧هـ -١٩٤٨م ، وقتل أبوه الإمام يحيى كان في القاهرة ، وعندما فشلت عينه أخوه أحمد وزيراً للخارجية فقام بجولة في بعض البلاد العربية واستمر في منصبه حتّى أعلن نفسه إماماً في انقلاب المقدم الثلايا ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م ، وبفشل الانقلاب أمر أخوه الإمام أحمد بإعدامه مع أخيه العباس بن يحيى وآخرين من القادة السياسيين . راجع « الموسوعة اليمنية » (٦٢٧/٢) .

الموافق ٢١ من شعبان ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) أمر الإمام أحمد بضرب عنق القاضي السياغي في ميدان الكرة (ميدان الشهداء بتعز) فأخرج السياغي ، وعمره يتجاوز الخمسين عاماً ، وتقدّم السيّاف - وهو من بيت الوشاح - لقتل السياغي ، وكان السياغي يرتدي جبة (أو دجلة ، بلغة أهل صنعاء) فأمره السيّاف الوشاح بخلعها ، ثُمَّ ضرب عنقه ، وأخذ السيّاف الوشاح جبّة السياغي لنفسه ، ثُمَّ مرت فترة ، واتهم الوشاح بقتل عسكري ، فحُوكم الوشاح ، فحُكم عليه بالقتل ، وكان الوشاح هو السيّاف ، فلمَّا أرادوا قتله ، طلبوا من يقتله ، فلم يجدوا إلا محبوسًا من قبيلة الزرانيق ، فطلب منه أن يضرب عنق الوشاح ، فتقدم لقتله ، وصادف أنَّ الوشاح كان يرتدي جبة السياغي في ذلك اليوم ، فأمر الزرنقي الوشاح بخلعها ، فخلعها ، ثُمَّ ضرب عنقه ، وأخذ الزرنقي جبة السياغي .

ثُمَّ بعد فترة ، قامت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م ، وجاء الزرنقي إلى المُشير عبد الله السلال في مكتبه يُهنئ بالثورة ويُبارك للسلال ، فعرفه السلال ، فقال للجند : خذوه لفلان حتَّى ينظر له وظيفة ، وأشار عليهم بقتله ، فأطلق عليه الرصاص رجل يُسمَّى الهدّام ، وصادف أن الزرنقي كان مرتدياً جبة السياغي ، فأخذها الهدّام ، ثُمَّ مرت فترة ، وقامت فتنة ، قُتل فيها الهدّام ، وهو يرتدي جبّة السياغي ، ثُمَّ لَمْ يُعرفْ بعد ذلك أين ذهبت تلك الجبّة [1] ، ولمَّا كان الأمر بهذه الصورة : أنَّ كلّ من لبس جبة السياغي قُتل ،

---

(١) من الأمثال : « قصاص الغيب وهم لا يعلمون » ، يُضرب في القاتل قد ينجو من القصاص ، ولكنه لا يموت إلا قتلاً ، ومن طريف ما يذكر بهذه المناسبة أنَّ جنديًا نظامياً من جنود الإمام يحيى حميد الدين قتل رجلاً ، وحكم عليه بالقصاص ، وحينما سيق إلى الميدان العام لتنفيذ الحكم فيه تدخل الأمير علي ابن الإمام يحيى حميد الدين لإيقاف القصاص على أن يرضي أولياء الدم بدية قتيلهم ،

قيل فيها : « أشأم من جبة السياغي » [١] !! .

● **قلت** : ومما يُناسب ذلك - وكان مما يحكيه القاضي محمّد - وأورده صاحب « المستطرف » (١٩/١) ، فقال : « وحكي أنَّ رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشويّة ، فوقف سائل ببابه ، فخرج إليه وانتهره، فذهب السّائل ، فاتفق بعد ذلك أنَّ الرجل افتقر ، وزالت نعمته وطلّق زوجته ، وتزوجت بعده برجل آخر ، فجلس يأكل معها في بعض الأيام ، وبين أيديهما دجاجة مشويّة، وإذا بسائلٍ يطرق الباب ، فقال الرّجل لزوجته : ادفعي إليه هذه الدّجاجة ، فخرجت بها إليه ، فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ، ورجعت وهي باكية ، فسألها زوجها عن بكائها ، فأخبرته أنَّ السَّائل كان زوجها ، وذكرت له قصّتها مع ذلك السَّائل الّذي انتهره زوجها الأول ، فقال لها زوجها : أنا والله ذلك السَّائل » !! .



= فقبلوا الدية ، وأنقذ الجندي من الموت ، وأخذه علي ابن الإمام يحيى عنده ، وكلفه بالإشراف على حديقته ، وذات يوم تعطلت المضخة ، فنزل الجندي إلى البئر ؛ لإصلاح العطب الّذيَ لحق بالمضخة ، فسقطت عليه قطعة حديد ففصلت رأسه عن جسده كما لو كان قطع بالسيف ، وفي المثل أيضًا : « قضا لما مضى » أي أن ما حدث له إنما هو عقوبة من الله لما أسلف من جرائم . راجع في ذلك « الأمثال اليمانية » للقاضي إسماعيل الأكوع (٨١١/٢- ٨١٢) .

(١) إذا أردت المزيد عن « ثورة الثلايا » ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥ م وفشلها وضحاياها ، فراجع « أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية » لأحمد السقاف (١٧-٦١) ، وترجمة أحمد بن يحيى الثلايا ، (١٣٣٦هـ - ١٣٧٤ هـ) في « الموسوعة اليمنية » (٦٤/١ - ٦٥) .

﴿٧٤﴾ أكذب على الله ؟!

يحكي القاضي محمّد – حفظه الله – :

كان الزّمان عصر يوم عرفة ، وكان النّاس في مسجد غزل الباش [١] يصيحون بعدَّ الصّلاة : « الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ... الحمد لله على ما هدانا وأولانا من بهيمة الأنعام » [٢] ، وفوجئ النّاس بسادن المسجد أحمد بريم يقول بصوت مُرتفع : « الحمد لله على ما هدانا وأولانا من لبن بيت القشام » [٣] ، فاستغرب النّاس هذا الكلام ، وقالوا له : ما لك ؟ فقال : أكذب على الله ؟! كُلٌّ منكم عنده كبش سيذبحه ، فهو يقول بصدق : « ...من بهيمة الأنعام » ، أمّا أنا ففقير ، فأُصبح في يوم العيد وفي يدي إناءً أذهب به إلى بيت القشّام لأشتري قليلاً من اللبن ، فهل أكذب على الله وأحمده على بهيمة الأنعام وليس عندي منها شيء ؟! فضَحكَ النّاسُ من ذكائه ، وجمعوا من كل واحد منهم مبلغًا ، وأعطوا الشيخ أَحمد بريم ؛ ليشتري له كبشًا ، فما جاء المغرب إلاّ وقد اشترى كبشًا عظيمًا ، فلمّا جاء النّاس ليكبّروا بعد صلاة المغرب رفع الشيخ أحمد صوته ومدّه في كلمة « ... من بهيمة الأنعام » ، فضحك النّاس ونظروا إليه ، فقال : نعم ، هذا صوته يملأ البيت .

---

(١) مسجد غزل الباش من المساجد العامرة في صنعاء القديمة شرقي مسجد الفليحي على طريق مسجد الزمر ، عمّره الأمير محمد قزل باشا من الأتراك سنة ٩٨٧هـ ، وقد جدد عمارته وزاد فيه الأمير المجزبي في القرن الحادي عشر . راجع « مساجد صنعاء » للحجري (٨٧) .

(٢) هذا التكبير هو المعمول به في بلاد الهادوية من عصر عرفة إلى آخر أيام التشريق ، قال في «الأزهار» : « وتكبير التشريق سنة مؤكدة عقيبَ كل فرض من فجر عرفة إلى آخر أيام التشريق » . راجع « رحيق الأزهار » للشامي (٢٨) .

(٣) القشام هو الذي يزرع القشمي وهو الفجل والكراث والثوم . راجع «الموسوعة اليمنية» (٢/٨٩٨–٨٩٩) ، و«البنية القبلية في اليمن» لفضل أبو غانم (١٨٤) .

﴿ ٧٥ ﴾ صنائع المعروف تقي مصارع السوء[1]

كان الحاج محمد البليلي من كبار تجّار صنعاء في أيّام استيلاء الأتراك على صنعاء ، بل كان كبير التجّار ومن المستشارين للدولة العثمانيّة ، وكان الإمام يحيى حميد الدّين ما زال في القفلة ، ولم يستول على صنعاء ، وكان البليلي يُرسل بالزّكاة إلى الإمام يحيى حميد الدّين سراً بدون علم الأتراك ، ولو علموا بذلك لاعتبروه خائنًا لهم ، وفي أحد الأيام كان الشّيخ محمّد البليلي جالسًا مع أصحابه ومُحبيه وفي جيوبه ورقتان ، ورقة عبارة عن سند من الإمام يحيى حميد الدين بتسليم الزكاة وورقة فيها حسابه المالي مع التّرك ؛ لأن البليلي كان يورد للأتراك ما يحتاجونه من المواد الغذائيّة ، وقد كتب ما له من الفلوس عند التّرك في هذه الورقة ، وأراد أن يُرسل بها رسولاً إلى الوالي التركي في صنعاء ، وفعلاً أخرج الورقة من جيبه – ظانًا أنّها ورقة الحساب بينه وبين التّرك – وأرسلها مع أحد أتباعه إلى الوالي ، وبقي البليلي واقفًا في المجلس ، فطلب أصحابه منه أن يجلس ، فقال : لا ؛ لأنَّ في جيبي ورقة خطيرة لو علم بها التّرك لأهلكوني ، سأضعها في الخزانة أولاً ، ليطمئنّ قلبي ، وأخرج الورقة من جيبه ، فصُعِقَ حينما وجد أنّه قد أرسل « سند الزّكاة » بدلاً من « ورقة الحساب المالي » ، وصارح أصحابه بما حدث ، فاسترجعوا ، وكلهم توقعوا أن يقع شر بالبليلي ، فما كان من البليلي إلا أن أخرج « ٥٠٠ ريال فرانصة » ، وطلب من أولاده أن يخرجوا فيتصدّقوا بها كلها على العجائزِ والأراملِ

---

(١) روى الطبراني بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر** » راجعه مع أحاديث أخرى في فضل الصدقة وردها السوء عن العبد في «المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح» للحافظ الدمياطي – رحمه الله – .

والمستورين عسى أن يدفع الله بها عنه ما يتوقع من شر الوالي التركي ، ولم تمر دقائق إلاّ وقد جاء رسول من الوالي التركي يطلب حضور البليلي عنده حالاً ، فخرج البليلي ، وهو سيودّع أهله وأصحابه ويسترجع ويؤكد عليهم في إخراج الصّدقة ، وركب فرسه وذهب ليُقابل الوالي وليس في ذهنه ما يرد أو يعتذر به عند الوالي ، ودخل البليلي على الوالي التركي ، والوالي يشتاط غضبًا وحقداً عليه ، فما إن دخل الحاج محمّد البليلي صاح الوالي التركي : هكذا اتّضحت حقيقت يا بليلي تتظاهر بأنّك معنا ، وتراسل ابن حميد الدين سراً ، الآن ظهرت خيانتك وغشك وخداعك ، ولعبُك على الحبالِ كلها .

ووقع في قلب الحاج محمّد البليلي أن يقول : سبحان الله ! أتظن أيّها الوالي أنني سكران حتّى أُرسل إليك السند هكذا .. لقد أرسلته لأُعلمك كيف أخسر من أجل الدولة العثمانيّة ؟ فقال الوالي : كيف ؟ فقال البليلي : أنما ما هادنت ابن حميد الدين وأرسلت إليه هذه الفلوس إلا من أجلكم . فقال الوالي : عجيب .. وضّح لي ما تُريد . فقال البليلي : أنا إذا لم أُرسل هذه الفلوس سيُرسل ابن حميد الدين من يُلقي كيس البارود إلى وسط بيتي ، فإذا انفجر أَخربَ البيت ، وليس خوفي على البيت ، فهناك غيره وأستطيع أن أُهاجر إلى ابن حميد الدين ، فأنا ابن صنعا وهو ابن صنعا .

ولكن أنا همّي عليكم إذا فُجّر البيت ، ستنشر الصحف في اسطنبول أنَّ الترك لم يستطيعوا السّيطرة على الوضع في اليمن ، ولا حتّى في العاصمة صنعاء .. أتقول لي هذا الكلام وأنا عاديت النّاس من أجلكم ، عاديت ابن حميد الدين وأهل صنعاء محبّة ووفاء لكم ، أهكذا تتعاملون مع رجالكم .. كل ما في الأمر أني لم أجد معي فلوسًا ، فأرسلت إليكم هذا الصكّ الّذي

دَفعتُه من أجلكم ، من أجل أن تُعطوني ما دفعت .

فدُهش الوالي ولم يدرْ ما يقولُ ، ثُمَّ أخذ يعتذر ويتأسّف ، فتشجّع البليلي، وقال : لا يكفي هذا ، أعطني الخمسمائة ريال الفرانصي ، فأخرجها الوالي من الخزينة وأعطاها للبليلي ، فعاد البليلي إلى بيته وهو يحمد الله ويهلله ويكبره ، ووجد أهله وأصحابه في غاية القلق والانزعاج ، فطمأنهم وحكى لهم ما وقع بينه وبين الوالي التركي ، وقال : دفع الله عنّي بالصّدقة ، وعاد إلينا ما أخرجناه وربحنا الأجر والثّواب ! .

● **قلت : ومما يُناسب ذلك ثلاث حكايات :**

الأولى :

ذكـرها القـاضي أحـمد قاطن في « دمية القـصر » في ترجمة العلامة أحـمد بن عيسى الكـوكباني الشّامي ، المتوفى في القرن الثّاني عشر ، فقال : « ... وأخبرني - أي أحـمد بن عيسى المذكور - أنَّ زوجته مرضت مرضًا شديداً ، فأخرج في مكيال شيئًا من الطّعام ، ونزل إلى الباب ، فأعطاه فقيراً ، ثُمَّ عاد إلى زوجته ، فإذا هي قد أفاقت وذكرت أنّها رأت رجلين في الهواء في يد أحدهما حربة يُريد أن يطعنها بها ، فحال بينها وبين الحربة مكيال ، ثُمَّ لم تر بعد ذلك شيئًا ، وأفاقت وعرفت من عندها ، هذا معنى ما أخبرني به رحمه الله وهو بمحل من الديانة والأمانة ، والصدقة تُطفئ غضب الرب فضلاً عن كونها منسأة في الأجل كصلة الرحم » أ. هـ .

نقلاً عن « نشر العرف » لزبارة (٢٠١/١) في ترجمة العلامة أحمد بن عيسى المذكور رقم (٦٧) .

الثَّانية :

ذكرها العلامة زبارة في « نشر العرف » (٤٨٩/١) في ترجمة الفقيه العلامة الحسن بن صالح العفاري وقم (١٤٤) قال تحت عنوان « آية غريبة » :

« ومن قرابة صاحب التّرجمة الفقيه أحمد بن صلاح العفاري صاحب الغريبة الَّتي ذكرها صاحب « نسمة السحر » ، ثُمَّ صاحب « نفحات العنبر » في ترجمة القاضي الحافظ محمّد بن الحسن بن أحمد الحيمي الشّامي المتوفى سنة (١١١٥هـ) خمس عشرة ومائة وألف ، وهي أنَّ القاضي المذكور أخبر صاحب « نسمة السحر » فقال : إنَّ رجلاً اسمه أحمد بن صلاح العفاري الفقيه من سكّان قلعة شهارة ، أعرفه أنا وغيري بالصّلاح والزّهدِ مرض وأُغمي عليه وأيس منه أهله ووجهوه إلى القبلةِ وقعدوا يقرأون القرآن حوله ، واتفق أنَّ مسكينًا جاء إلى بابه ، فأعطته زوجته حبًا في طبق ، ثُمَّ بعد مُضي السَّائل ، أفاق الفقيه وطلب مأكولاً وكلّمهم ، وقال : بينما أنا في شدّة عظيمة لا أغفل إذ دخل عليَّ من هذا الباب شخص كالجزار مُشمر عن ساقيه وذراعيه ، وبيده سكين ، فأخرج من نطاقه مسنّاً وجعل يسن السكين ، ثُمَّ تقدّم إليَّ ليذبحني ، وقعد فوق صدري وأنا شاخص إليه ، وله هيبة ومنظر موحش ، فبينما هو في تقوية الذبح ، إذ انفلق السقف ونزل منه شخصان أبيضان في غاية الوسامة وطيب الرائحة ، وبيد أحدهما طبق فيه حب ، فكفاه عن قتلي وساراه بشيء ، وأشارا إلى الطّبق ، وفهمت منهما أنّ الله زاد في عُمري ببركة الصَّدقة ، فردّ السكين ، وقالا له : اذهب إلى فلان جار لي ، ثُمَّ صعدا إلى السَّقف الَّذي نزلا منه ، وخرج ذلك الشّخص ، فسمعت الصراخ في دار جاري » وهذه القصة من غريبِ المنقولاتِ . انتهى .

الثَّالثة :

كان ابن الفرات أبو الحسن علي بن محمَّد الوزير المعروف في عهد العبَّاسيين يتتبع أبا جعفر بن بسطام بالأذيّة ويضطهده بالمكاره ، ويذل رجولته أمام النَّاس ، وكانت أم أبي جعفر قد عودته منذ أن كان طفلاً أن تضع تحت وسادته الَّتي ينام عليها رغيفًا من الخبز ، فإذا كان من الغد تصدّقت به على الفقراء ، فلمَّا كان بعد مدة من أذيّة ابن الفرات له ، دخل ابن الفرات على أبي جعفر مفزوعًا ، وقال له : لك مع أمك خبر في رغيف ؟ فأجابه : لا . فقال : لابدَّ أن ستصدقني ، فذكر أبو جعفر الحديث على سبيل التطايب بذلك من أفعال النساءِ ، فقال ابنُ الفرات : لا تفعلْ (أي لا تتكلم بهذا ساخراً) فإنّي بتُّ البارحة ، وأنا أُدبر عليك تدبيراً لو تمَّ لاستأصلتك ، فنمت ، فرأيت في منامي كأن بيدي سيفًا ، وقد قصدتك لأقتلك ، فاعترضتني أمك بيدها رغيف تدافع به عنك وتدفعني بعيداً ، فما وصلت إليك . بعد ذلك تصافيا ، وقال له ابن الفرات : والله لا رأيت مني بعدها سوءاً أبداً .

راجع مجلّة « العربي » العدد (٤٣٦) .



﴿٧٦﴾ لو أنت يهودي يا شوكاني..!

يحكي القاضي محمّد - حفظه الله - فيقول :

كَانَ الشوكاني - رَحِمَهُ الله - ١٢٥٠ هـ إمامًا مُتحرراً في الفقه يتبع الدَّليل ، وكان سلفي العقيدة ، وكان يدرس طلبة العلم في الجامع الكبير وغيره من مساجد صنعاء العامرة ، وكان هناك فقيه زيدي معتزلي جامد يجلس في ناحية من المسجد ، ويُعاكس الشوكاني ويُشوش عليه .

وفي أحد الأيّامِ جاءَ الشوكانيُّ - رحمه الله - للدرس ، وبعد أن انتهى من التَّدريس تعجّب من غياب الفقيه المذكور ، فقيل له : إنَّه مريض في بيته ، فقال الشوكاني : لابد من زيارته ، فقام الشوكاني - رحمه الله - والطلبة معه لزيارة هذا الفقيه في بيته وكان فقير جداً .

فلمَّا وصل الشوكاني وطلبته إلى حجرة هذا الفقيه تعجَّب جداً ؛ لأنَّه لم يتوقع أن يزوره الشّوكاني بسبب ما بينهما من خلاف وبسبب مُشاكية هذا الفقيه ، وقبل أن يخرج الشوكاني وضع في يد الفقيه فلوساً ، وقال : هذه لك أنفقها في مصلحتك ، فتأثّر الفقيه تأثراً كبيراً حتَّى دمعت عيناه ، وقال : اسمع يا شوكاني ، والله لو أنت يهودي لأدخلك الله الجنَّة .. ! .



﴿٧٧﴾ الحمد لله أن قد رضوا بي..!
أو بالصنعانية : « كودهم رضيوا بي »

يحكي القاضي محمّد – حفظه الله – فيقول [١] :

يُحكى أنَّ رجلاً أراد أن يتزوج بامرأة ، فأرسل صديقًا له ليخطبها لمن أرسله، ولكنَّه ذهب فخطبها لنفسه ، ولمّا عاد إليه سأله عمًّا فعل ؟ فقال : لقد خطبتها لنفسي . فقال : وكيف ذلك وأنا قد أرسلتك لتخطبها لي ، فتخطبها لنفسك ؟

فقال : كودهم رضيوا بي (والكود : في اللهجة اليمنيّة الحصول على الشيء بمشقّة وعسر والمعنى : أي بصعوبة ومشقّة أو بالكاد استطعت أن أقنعهم أن يزوجوني ، فكيف سأستطيع أن أقنعهم أن يزوجوك ؟!) [٢] .

﴿٧٨﴾ قد سمه فيه ...!

يضرب القاضي العمرانيّ هذا المثل لمن حصل على شيء ، وهذا الشّيء فيه مضرّته وأذيّته وقصّة هذا المثل : أنَّ رجلاً – من بير العزب – كان له حظيرة عنب ، وكان عنبها رديئًا شديد المرارة والحموضة ، فدخل سارق إلى حظيرة العنب هذه وسرق منها عنباً ، فتنبّه له صاحب العنب ، ولكنَّه فرَّ من بين يديه ،

---

(١) راجع « الأمثال اليمانية » للأكوع (٨٨٧/٢) رقم (٣٦٥١) .
(٢) في «الأمثال اليمانية» : «لا تمكن عزب يخطب لك، يخطب لنفسه قبلك» راجع «اللهجة اليمانية» لزيد عنان (١٧) وفي الأمثال اليمانية للأكوع (٩٣٥/٢) : « لا تمكن مولعي يلصي لك ولا عزب يخطب لك » ومعنى تمكن : تكلف ، والمولعي هنا : المعتاد على تدخين المداعة (أي النرجلية أو الشيشة) ويلصي : يشعل .

فجـرى خلفه يُطارده ، ويُناشـد المارة أن يُساعدوه في القبـض على السَّارق ، فسأله ضيفه عن السبب – وكان بعلم رداءة العنب ، لكونه قد أكل منه ، إذ كان ضيفًا في تلك الليلة على صاحب العنب – فقال : لقد أكل وسرق من عنبي ، فأجاب الضيف بقوله : قد سمّه فيه (أي أنَّ ما أكله كاف لمعاقبته على السرقة) [(١)] .. ! .

﴿ ٧٩ ﴾ الدين قبل الوراثة

يحكي القاضي محمّد – حفظه الله – فيقول [(٢)] :

خرج مُفتي ذمار القاضي أحمد بن أحمد العنسي إلى البادية لقسمة تركة رجل بين ورثته ، وتبيّن للقاضي – وهو يُقسّم التّركة – أنَّ على المتوفّى دينًا ، فأخذ يُخرج الدَّين من أصل التَّركة ، قبل فرز الأنصبة وتعيينها لكل منهم ، فاعترض عليه الورثة ، ورفضوا حجّته ، فبيّن لهم قول الشّرع وحكمه في ذلك ، وقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ [النساء : ١١] فلم ينصاعوا ، فأخذ القاضي العنسي يُعد نفسه للتّخلي عن هذه المُهمَّة والعودة إلى ذمار ، وفجأة تذكّر قولاً مشهوراً لعلي بن زايد ، فقال لهم : يقول علي بن زايد : « الدينُ قبل الوراثة » فما كاد الورثة يسمعون هذا القول حتَّى استجابوا للقاضي ، وقالوا : اقسم يا قاضي .

● **قلت :** فاعجب لأمر هؤلاء واحمد الله على المعافاة إذ لا يستجيبون لقول العلي العظيم ، وإذا سمعوا الموروث الشَّعبي ، قالوا : سمعنا وأطعنا ..!!! .

---

(١) راجع « الأمثال اليمانية » للأكوع (٧٩٨/٢) رقم (٣٢٢٦) .
(٢) راجع « الأمثال اليمانية » للأكوع (ص هـ) .

﴿٨٠﴾ يوم أنت ويوم هي

يحكي القاضي محمَّد – حفظه الله – [١] :

أراد أحد الأشخاص أن يتزوج فتاة لتُساعدَ أمّه ، وأراد أن تكون مُثقّفة مُتعلمة وخطب امرأة على الصفة التي أراد وتزوجها وزُفت إليه ، وفي صبيحة يوم العرس جلست تُطالع في الصحف والمجلات ، والأم تعمل في البيت ، وتُعزّي نفسها بأن تقول : مازالت في أيّام العرس ، ومن المؤكد أنَّها ستساعدني بعد هذه الأيّام ، ومرَّت أيّام وبعدها أيّام ، والفتاة تجلس تُطالع الصحف والعجوز تكنس وتطبخ وتخدم .. فاشتكت إلى ولدها زوج الفتاة المُثقّفة ، فاتّفقا على حيلة ظنّا أنَّها ستجعلها تستحي وتقوم لمُساعدة الأم ، وهي أن تقوم العجوز بالكنس ، فيدخل ولدها – وقد جاء من العمل – فيقول : يا أمي ، أنت كبيرة يجب أن تستريحي ، دعيني أكنس أنا ، فتُجيب الأم : يا إبني أنت رجل والكنس والطّبخ والخدمة من عمل المرأة ، وارتفعت أصواتهما في هذا الشّأن ، والفتاة جالسة تُطالع في الصحف ، فالتفتت إليهما ، وقالت : دعوا الصّياح والجدل ، الأمر سهل ، قسّما العمل ، يوم أنتَ ويوم هي ! .



---

(١) راجع « اللهجة اليمانية » لزيد عنان (١٣١) وراجع تعليقه على هذا المثل من ص(١٣١) إلى (١٣٥) في الطبعة القديمة لسنة (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ، وقد حذف هذا التعليق من الطبعات الجديدة .

﴿٨١﴾ رضي الله عن سيدنا « جدر » !

حكى القاضي محمَّد ، فقال :

سافر رجل قبيلي من قرية جدر للحجّ أيّام الشّريف ، فالتقى مع رجل من أهل مكّة ، فسأله المكيُّ : ما مذهبك ؟ فلم يفهم وظنَّ أنه يسأله عن بلده ، فقال : جدري ، فقال المكي : ما سمعنا بمذهب يُقال له الجدري ، سمعنا بالشّافعي بالمالكي بالحنفي بالحنبلي ، ولكن لم نسمع بالجدري .

فظنَّ الرجل الجدري أنَّ المكيّ يهزأ به ويسخر منه ، فسحب عصا كانت بجانبه ، وأخذ يضرب المكيّ ، فأخذ المكي يقول : « رضي الله عن سيدنا جدر» « رضي الله عن سيدنا جدر » ، حتَّى يُفلت من ضرب الجدري متوهمًا أن جدر اسم إمام مذهب .

● **قلت** : مما يُشبه هذا ما رواه ابن الجوزي في كتابه « القصاص والمذكرين » بسنده إلى الشّعبي قال : « بينما عبد الملك جالس وعنده وجوه النَّاس من أهل الشّام قال لهم : من أعلم أهل العراق ؟ قالوا : ما نعلم أحداً أعلم من عامر الشعبيّ ، فأمر بالكتابِ إلي فخرجتُ إليه حتَّى نزلت تدمر ، فوافقت يوم جمعة ، فدخلت أُصلي في المسجد ، فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية قد أطاف (أي أحاط) به قوم ، فحدّثهم قال : حدَّثني فلان عن فلان يبلغ به النَّبي ﷺ أنَّ الله تعالى خلق صورين في كل صور نفختان نفخة الصّعق ونفخة القيامة . فلم أضبطْ نفسي أن خففت صلاتي ثُمَّ انصرفت ، فقلت : يا شيخ ، اتّقْ اللهَ ، ولا تُحدّثن بالخطأ ، إنَّ الله تعالى لمْ يخلق إلا صوراً ، وإنّما هي نفختان نفخة الصّعق ، ونفخة القيامة . فقال لي : يا فاجر ، إنَّما يُحدّثني فلانٌ عن فلانٍ ، وتردّ علي ... ! ثُمَّ رفع نعله وضربني بها ، وتتابع القوم عليَّ

ضرباً معه ، فوالله ما أقلعوا عنّي حتّى حلفت لهم أنَّ الله تعالى خلق ثلاثين صوراً ، له في كلّ صور نفخة ، فأقلعوا عني ، فرحلت حتّى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك ، فسلّمت عليه ، فقال لي : يا شعبي ، بالله حدثني بأعجب شيء رأيته في سفرك ، فحدّثته حديثي المُتقدّم ، فضحك حتّى ضرب برجليه ! .

نقلاً من كتاب « تحذير الخواص من أحاديث القصّاص » للسيوطي (٦٩-٧٠) .

﴿٨٢﴾ المُعْتَبَر رضاها [(١)]

حكى القاضي محمّد - حفظه الله - ، فقال :

شكى رجلٌ إلى الحسين بن يحيى حميد الدين - حينما كان مُقيماً في مدينة ثلا - من رجل آخر رفض أن يُزوجه ابنته ، فقال الحسين للشاكي : اذهبْ وأحضرْ ما معك من مالٍ أعددته للزواج ، وسوف نزوجك بها ، فذهب وباع جربة (مقدار من الأرض بالإصطلاح اليمني) وأخذ قيمتها وحملها إلى الحسين ، فدعا والد الفتاة ، ولمّا حضر وطلب منه أن يُزوّج الرّجل ابنته ، قال : إنَّ ابنتي غيرُ موافقةٍ ولا راضيةٍ بهذا الرَّجل أن يكون زوجاً لها ، فأرسل الحسين من يسأل الفتاة ، فجاء الرَّد منها بالتأكيد لرأي والدها ، فقال الحسين للشاكي: المُعتبر رضاها (قال هذه الجملة بتفخيم الضاد) ، فأجاب عليه الرجل وهو غاضب : كنتم عتقرحوا الضاد قبل ما نبيع الجربة .

---

(١) راجع « الأمثال اليمانية » للأكوع (٨٨٧/٢) رقم (٣٦٤٩) رقم (٤٩٤٦) .

وقوله : عتقرحوا : العين في اللهجة اليمنيّة للتسويف ، أي بمعنى السين أو سوف ، تقرحوا : أي تفجروا ، والمراد هنا نطق الضاد بالتفخيم .

والمعنى : أي كان ينبغي لكم أن تقولوا لي « المغتبر رضاها » وتُفخموا الضاد كما شئتم قبل أن أتورط وأبيع قطعة الأرض الّتي أملكها .

وهذا المثل يُقال لمن يأتي بالفائدة أو النَّصيحة بعد فوات الأوان ، وعبارة الرجل « كنتم عتقرحوا الضاد قبل ما نبيع الجربة » أصبحت مثلاً .

﴿٨٣﴾ ذهبت بولد فعادت بولدين

قال القاضي محمَّد - حفظه الله - :

من الحكايات المُتداولة بين أهل صنعاء أنَّ رجلاً فقيراً ، قد بلغ غاية الفاقة والحاجة ، ولدت له زوجته ولدين ، فقال : ما أصنع بولدين ، وليس عندي ما أُنفق به على واحد ! .

وقفزت إلى رأسه فكرة ، فقام لينفذها توّاً ، فأمر ابنته - وكانت شابة فتيّة - أن تحمل أحد الطفلين إلى باب المسجد - ولعلّه الجامع الكبير بصنعاء - عسى أن يلتقطه أحد النَّاس المحرومين من الأولاد فيأخذه فيربيه ، فذهبت الفتاة - وهي خائفة - لتُنفذ ما أمرها به أبوها ، فذهبت إلى المسجد المذكور ووضعت الولد أمام المسجد ، فأبصرها أحدُ المُصلين وهو خارج المسجد - وصادف أن كانت قد وضعت امرأة قبلها طفلاً أمام المسجد - فقال الرّجل: ها أنت إذن الَّتي تفعلين هذه الفعلة - أي الزنى - وتأتين بهؤلاء الأولاد وتلقينهم أمام المسجد ، ارفعي هذين الطفلين - وأعطاها الطفل الثّاني الّذي

وُضِع قبل مجيئها - وإلا فضحتك أمام النَّاس ، فأجابت : والله ما أتيت إلا بطفل واحد ، هو هذا - وأشارت إلى أخيها - فقال : اسكتي يا مُجرمة ، وتحلفين كذبًا أيضًا ، وحمّلها الطفل الثّاني ، فحملتهما إلى أبيها وهي لا تستطيع الكلام من وقع المفاجأة .

﴿ ٨٤ ﴾ سلم مال التَّاجر وإلا أذنت

يحكي القاضي العمراني - حفظه الله - فيقول :

ورد في كتب التَّاريخ والأدب [١] أنَّه كان في عهد الخليفة العبَّاسي المُعتضد شيخ من التّجار قال : كان لي على بعض الأمراء مال كثير فماطلني ومنعني حقي ، وجعل كلّما جئتُ أُطالبه حجبني عنه ويأمر غلمانه يؤذونني ، فاشتكيت عليه إلى الوزير ، فلم يفد ذلك شيئًا ، وإلى أولياء الأمر من الدّولة فلم يقطعوا معه شيئًا ، وما زاده ذلك إلاّ منعًا وجحودًا ، فأيست من المال الّذي عليه ، ودخلني همٌّ من جهته ، فبينما أنا كذلك ، وأنا حائر إلى من أشتكي ، إذ قال لي رجل : ألا تأتي فلانًا الخيّاط - إمام مسجد هناك - فقلت : وما عسى أن يصنع خيّاط مع هذا الظّالم ، وأعيان الدّولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لي: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه ، فاذهبْ إليه لعلّك أن تجد عنده فرجًا .. قال : فقصدته غير مُحتفل في أمره ، فذكرتُ له حاجتي ومالي ، وما لقيت من هذا الظّالم ، فقام معي ، فحين عاينه الأمير ، قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الّذي عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن

---

(١) راجع القصة في « البداية والنهاية » لابن كثير (١١/٩٥- ٩٧) المجلد السادس .

يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنّه قال له : ادفعْ إلى هذا الرّجل حقّه وإلا أذنت ، فتغيَّر لون الأمير ودفع إليَّ حقي ! ، قال التّاجر : فعجبت من ذلك الخيّاط مع رثاثة حاله (أي ضعف حاله وفقره) كيف انصاع ذلك الأمير له ؟! ثُمَّ إنّي عرضت عليه شيئًا من المال فلم يقبل مني شيئًا ، وقال : لو أردتُ هذا لكان لي من الأموال ما لا يُحصى ، فسألته عن خبره وذكرت له تعجّبي منه وألححت عليه ، فقال : إنَّ سبب هذا أنَّه كان عندنا في جوارنا أمير تركيّ من أعالي الدّولة ، وهو شاب حسن ، فمرّ به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام ، وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة ، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يُريدها على نفسها ليُدخلها منزله ، وهي تأبى عليه ، وتصيح بأعلى صوتها : يا مسلمين ، أنا امرأة ذات زوج ، وهذا رجل يُريدني على نفسي ويُدخلني منزله ، وقد حلف زوجي بالطّلاق أن لا أبيت في غير منزله ، ومتى بتُّ ههنا طُلّقت منه ، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيّام ولا تغسله المدامع ، قال لي الخيّاط : فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشجّ رأسي ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً ، فرجعتُ أنا فغسلت الدّم عني وعصبت رأسي ، وصليْتُ بالنَّاس العشاء ثُمَّ قلتُ للجماعة : إنَّ هذا قد فعل ما قد علمتم ! فقوموا معي إليه لننكر عليه ، ونُخَلّص المرأة منه ، فقام النَّاس معي ، فهجمنا عليه في داره ، فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون النَّاس ، وقصدني هو من بينهم ، فضربني ضرباً شديداً مُبرحاً حتَّى أدماني ، وأخرَجَنَا من منزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطّريق من شدّة الوجع وكثرة الدماء ، فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم ، وتحيّرت ماذا أصنع حتّى

أُنقذ المرأة من يده في الليل ؛ لترجعَ فتبيتَ في منزلها حتَّى لا يقع على زوجها الطَّلاق ؟ فأُلهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل ؛ لكي يظن أنَّ الصبح قد طلع فيخرجها من منزله ، فتذهب إلى منزل زوجها ، فصعدت المنارة (أي الصَّوْمعة عند اليمنيين) وجعلت أنظر إلى باب داره ، وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان ، هل أرى المرأة خرجت ، ثُمَّ أذنت فلم تخرج ، ثُمَّ صممت على أنَّه إن لم تخرجْ أقمت الصَّلاة حتَّى يتحقق الصَّباح ، فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا ؟ إذ امتلأت الطَّريق فرسانًا ورجالة ، وهم يقولون : أين الَّذي أذَّن هذه السَّاعة ؟ فقلت : ها أنا ذا ، وأنا أُريد أن يُعينوني عليه ، فقالوا : انزلْ . فنزلت ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئًا حتَّى أدخلوني عليه ، فلمَّا رأيته جالسًا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعًا شديدًا ، فقال : ادن ، فدنوت ، فقال لي : ليسكُن روعك، وليهدأ قلبك ، ومازال يُلاطفني حتَّى اطمأننت وذهبُ خوفي ، فقال : أنت الَّذي أذنت هذه السَّاعة ؟ قُلتُ : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : ما حملك على أن أذنت هذه السَّاعة ، وقد بقيَ من الليل أكثر مما مضى منه ، فتغُرَّ بذلك الصَّائم والمُسافر والمُصلِّي وغيرهم ؟! فقلت يؤمنني أمير المؤمنين حتَّى أقصَّ عليه خبري ، فقال : أنت آمن ، فذكرت له القصَّة ، قال : فغضب غضبًا شديدًا ، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا ، فأُحضرا سريعًا ، فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ، ومعهن ثقة من جهته أيضًا، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها ، فإنها مُكرهة معذورة، ثُمَّ أقبل على ذلك الشاب الأمير ، فقال له : كم لك من الرزق ؟ وكم عندك من المال ؟ وكم عندك من الجواري والزوجات ؟ فذكر له شيئًا

كثيراً ، فقال له : ويحك ، أما كفاك ما أنعم به عليك حتَّى انتهكت حُرمة الله وتعدَّيْت حدوده وتجرأت على السلطان ؟ وما كفاك ذلك أيضًا حتَّى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ، فضربته وأهنته وأدميته ؟ فلم يكن له جواب فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنُقه غلٌ ثُمَّ أمر به فأدخل في جوالق ثُمَّ أمر به فضُرِبَ بالدبابيس ضربًا شديدًا حتَّى خفت ، ثُمَّ أمر به فأُلقي في دجلة ، فكان ذلك آخر العهد به ، ثُمَّ أمر بدراً صاحب الشُّرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال الَّتي كان يتناولها من بيت المال ، ثُمَّ قال لي : كُلَّما رأيتُ مُنكراً صغيراً كان أو كبيراً ، ولو على هذا ـ وأشار إلى صاحب الشُّرطة ـ فأعلمني ، فإن اتفق اجتماعك بي وإلاَّ فعلى ما بيني وبينك الأذان ، فأذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا ، قال الخيَّاط : فلهذا لا آمر أحداً من هؤلاء الدَّولة بشيء إلا امتثلوه ، ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من المعتضد ، وما احتجت أن أؤذّن في مثل تلك السَّاعة إلى الآن أ. هـ.

● **قلت** : وقد حكى الأتليدي في « إعلام النَّاس بما وقع للبرامكة مع بني العبَّاس » (٣٥٤) قصة شبيهة وقعت في مصر في عهد أحمد بن طولون ، فقال : « .. كان ـ أي ابن طولون ـ مُشتملاً على خصال حميدة منها : أنَّ فقيراً كان بجواره وله امرأة وبنت ، وكانا يغزلان الصوف لتجهيز البنت ، وإن البنت لم تُفارق البيت وما نظرت إلى السوق قط ولا خرجت ، فسألت أُمَّها وأباها أن تخرج معهما إلى السوق ، فواعداها بذلك ، فلمَّا قصدا بيع الغزل خرجت معهما إلى السوق ، فمروا بباب الأمير المُسمَّى بالفيل ، وتمادى الأب والأم وتركاها ، ولم يشعُرا بوقوفهما ، فبقيت البنت حائرة لا تدري أين تذهب، وكانت ذات جمال عظيم ، فخرج الأمير المُسمَّى بالفيل ، فلمَّا رآها افْتُتِنَ بها

فأمسكها ودخل بها ، ثُمَّ أمر الجواري أن يغسلنها وينظفنها ويُلبسنها أحسن الملبوس ، ويُطيبنها بأنواع الطّيب ويُجلينها له ، ففعلن ذلك ، فدخل عليها وأزال بكارتها ، هذا وأبواها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الأماكن ، فلم يقعا لها على خبر ، فلم يزالا يبكيان ، فلمَّا جنَّ الليل ، وإذا بشخص يطرق الباب ، فخرج أبوها وفتح الباب ، فقال الرجل لأبيها : إنَّ الأمير المُسمّى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها ، فلمَّا سمع ذلك كاد يُجن ، وكان لأحمد بن طولون مُؤذن ، وكان قد عاهده على أنَّه إذا حدثت فاحشة من الفواحش يُؤذّن في غير الوقت ؛ ليحضره ويستفهم منه الواقعة ، وكان المؤذن بينه وبين أبي البنت صداقة ، فجاء إليه وأخبره بخبره ، فصعد وأذّن ، فسمعه أحمد بن طولون ، فأرسل خلف ، فأخبره بالقضيّة ، فاستدعى أبوي البنت وخبّأهما في خزانة ، وكان وقت مجيء الفيل للخدمة ، فلمَّا دخل على عادته قال له : نهنيك بالعروس الجديدة ، فقال : ومن أين لي عروس جديدة ؟ قال أُتنكر مني، وهذا أبو الجارية وأمها ؟ فلمَّا رآهنَّ نكَّس رأسه خجلاً من الأمراء الحاضرين ، فقال له أحمد بن طولون : ارفع رأسك ، ثُمَّ قال لأبيها : تزوج ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره ألف دينار مُقدَّمة ، وخمسمائة دينار مُؤجّلة ؟ فقال : نعم ، فأمر بإحضار الشّهود وعقد العقد بينهما ، ووضعوا خطوطهم ، ثُمَّ بعد انصراف الشّهود أمر السَّيّاف بضرب عنق الفيل ، فرماه بين يديه وقطع رأسه ، وقال أحمد بن طولون لأبي الجارية : ابنتك ورثت زوجها ، وقد مكنتها مما بقي من تركته ، فامضوا مع السَّلامة ، فانصرفوا شاكرين لإنعامه داعين له على أفعاله .. » أ. هـ .

● **قلت** : والظَّاهر أنَّهما قصتان مُختلفتان ، وإن قُلنا أنَّهما قصّة واحدة

ولابدَّ من التَّرجيح ، فسنُرجِّح ما ذكر ابن كثير - رحمه الله - ؛ لأنَّه ساق سند القصّة ، فقال في « البداية والنهاية » (١١/٩٥) : « ذكر القاضي أبو الحسن محمَّد بن عبد الواحد الهاشمي عن شيخ من التجَّار قال : كان لي على بعض أولي الأمر مال كثير .... إلى آخر القصّة » في حين أنَّ الأتليدي صاحب الرواية الثَّانية لم يورد أي إسناد ، هذا بالإضافة إلى الفرق في المكانة والثّقة بين ابن كثير وكتابه والأتليدي وكتابه ، فالأخير مليئ بالخرافات والترهات .. فتأمل ! .

● **فائدة :** لمَّا أورد القصّة - على رواية ابن كثير - زيد عنان في كتابه «اللهجة اليمانيّة» (٢٠) قال : « .. أنَّ جزاء الشاب كان ظُلمًا ؛ لأنَّه لا يستحق إلاَّ جلد (١٠٠) جلدة ؛ لأنَّه غير مُحصن ، وتعزيره لاغتصاب المرأة بالقوة ، لكن هذا العقاب جعل النَّاس يأمنون على أموالهم وأعراضهم » وقال في ص(١٠٠) : « ... نعم إنَّ العقاب الَّذي أنزله بالشَّاب كان ظُلمًا على كلِّ حال » .

● **قلت :** بل هذا الحكم ظاهره الصّواب ؛ لأنَّ هذا الرجل مُحصن فيستحق الرَّجم ، أو قتله على سبيل التَّعزير لإفساده في الأرض بخطف المرأة أو الفتاة وافتضاض بكارتها ، والله أعلم .



﴿٨٥﴾ نصيحة للقضاة

حكى القاضي مُحمَّد – حفظه الله – فقال [١] :

كان العلامة محمّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني [٢] من أكابر علماء اليمن في القرن الثاني عشر ، وقد قصده طلاب العلم من شتَّى بقاع اليمن ، وأصبح تلامذته عُلماء ، وملأوا اليمن علمًا وفضلاً ، ومن هؤلاء العلامة ناصر بن الحسين المحبشي [٣] ، فقد درس على الأمير في شهارة عدة سنوات في كتب الحديث والسنَّة النَّبويّة وبعض مؤلفات الأمير ، ثُمَّ عرض عليه القضاء فقبله ، فأرسل شيخه العلامة الأمير إليه قصيدة لامه فيها على قبول القضاء وحذّره من آفاته ومن الحجاب والكتاب والمظالم ، فكانت قصيدة جامعة تناقلها النَّاس في دواوينهم وسارت بها الركبان ، فكانت من أروع النَّصائح للقضاة .

قال السيّد الإمام محمَّد بن إسماعيل الأمير : قرأ علينا الشّيخ العلامة ناصر

---

(١) راجع « نشر العرف » (٢٥٥/٣ – ٢٥٩) و (١٣٧/٢ – ١٣٨) و«ملحق البدر الطالع» لزبارة (٢١٩ – ٢٢١) و«مصلح اليمن » (١٤٥ – ١٤٧).

(٢) تقدمت ترجمته – رحمه الله – .

(٣) الشيخ العلامة القاضي التقي الفهامة الورع الزاهد ناصر بن الحسين المحبشي الشهاري المولد والنشأة الصنعاني الوفاة ، مولده تقريبًا (١١١٠ هـ) بشهارة ، ونشأ بها ، فأخذ عن علمائها ، ولما وصل إليها للهجرة في سنة (١١٤٠هـ) العلامة محمد بن إسماعيل الأمير أخذ عنه صاحب الترجمة في كتب الحديث والسنة ومؤلفات الأمير في مدة سبع سنوات وأجازه الأمير إجازة عامة ، وكان صاحب الترجمة فقيهاً إماماً في فنون الحديث والفروع والأصول ، متواضعاً لله تعالى ، زاهداً عفيفاً قنوعًا ، وفي سنة (١١٦٩هـ) طلبه الإمام المهدي عباس إلى صنعاء ، وولاه القضاء ، فأرسل إليه الأمير بالقصيدة المذكورة ، وتوفي رحمه الله في يوم الجمعة ٢١ شوال سنة ١١٩١هـ .
وقال زبارة : « .. الجد الجامع لبني المحبشي الذين بشهارة والمحابشة وبلاد إب وجبلة من اليمن الأسفل هو نهشل المحبشي ، وأن نسبهم ينتهي إلى عمر بن الخطاب ﷺ » راجع « نشر العرف » (٢٥٥/٣– ٢٥٩) ، و« مصلح اليمن » (١٤٥) .

بن الحسين المحبشي - رحمه الله- في شهارة سبع سنين في عدّة فنون وأدرك مع تقوى وورع وحسن حال ، ثُمَّ دخل صنعاء لعلّه في رجب سنة ١١٦٩هـ وتولّى بها القضاء ، فكرهت له ذلك لما علمناه من أحوال قضاة عصرنا (١) وكان حاله قبل ذلك حال المُعرضين عن الولايات والاتصال بالملوك ، فكتبت إليه وقد بلغ الستين :

ذَبَحْتَ نَفْسَكَ لَكِنْ لا بِسكين ... كَمَا رَوَيْنَاهُ عَنْ طَهَ وَيَس (٢)
ذَبَحْتَ نفسكَ (٣) والسّتونَ قَدْ وَرَدَتْ ... عَلَيْكَ مَاذَا تُرَجِّي بَعْدَ سِتِينِ
ذَبَحْتَ نفسَكَ يَا لَهْفِي عَلَيْكَ وَقَدْ ... كُنَّا نُعِدُّكَ لِلتَقْوى وللدين
أيّ الثَّلاثة (٤) تَغْدو في غَدَاة غَد ... إِذْ يَجْمَعُ اللهُ أَهْلَ الدين والدون
فَواحِدٌ في جنَان الخُلْد مَسْكَنُهُ ... واثْنان في النَّارِ دَارُ الخزْيّ والهُون
يأْتِي القِيَامَةَ قَدْ غُلَّت يَدَاهُ (٥) فَكُن ... يَوْمَ التَّغَابُنِ فِيهَا غَيْرَ مَغْبُون

---

(١) وصف بعضهم قضاة عصره بقوله :

قضاة زمانِنا أضْحَوا لصوصًا ... عُمومًا في البَرِيَّة لا خُصوصًا
يرون الغنم أموال اليتامى ... كأنهم تلوا فيها نصوصًا
وخفنا منهم لو صافحونا ... لسلّوا من خواتمنا الفصوصا

راجع « نشر العرف » (٢٥٦/٣) .

(٢) القول بأنَّ « طه » و«يس» من أسماء النَّبي ﷺ قول لا دليل عليه . راجع «فتح القدير» للشوكاني (٣٥٨/٣) و (٣٤٨/٤- ٣٤٩) .

(٣) إشارة إى حديث : « **من جُعل قاضياً فقد ذبح نفسه بغير سكين** » أخرجه الخمسة إلا النسائي من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) حديث « **القضاة ثلاثة : اثنان في النار ، وقاض في الجنة ، رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار** » أخرجه أهل السنن الأربعة والحاكم مرفوعاً من حديث بريدة .

(٥) حديث « **ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتّى يُطلقه الحق أو يوبقه** » أخرجه أحمد وغيره ، وحديث : « **ما من حاكم يحكم بين الناس إلا يحشر يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتّى يوقفه على جهنم ثم يرفع رأسه إلى الله تعالى ، فإن قال الله تعالى : ألقه، ألقاه في مهوى أربعين خريفاً** » أخرجه أحمد والبيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

فَإِنْ يَكُنْ عَادلاً فُكَّتْ وَإِنْ يَكُنْ لِلأُخْـ ـرَى فَـفِي النَّار من أَقْـرَان قَـارُون
فَـإِنْ تَقُلْ أَكْـرهُونا كَـانَ ذَا كَـذبًا فنحن نعـرف أَحْـوَالَ السَّـلاطين
وَإِنْ تَقُلْ حَـاجَـةٌ مَـسَّتْ فَـربَتَـمـا فَـأَين صَـبْـرك من حِينٍ إِلَى حِين؟
وَاللهُ وَصَّى به [(١)] في الذِّكْر في سُور كَمْ في الحـوامـيم والطَّواسين [(٢)]
قَدْ شَدَّ خير الورى في بطْنه حجرًا ولَـو أَرَاد أَتَاه كُـلُّ مَـــخْــزُون
مَـا مَـات واللهِ جـوعًـا عَـالم أَبَدا سَل التَّـــواريخ عَنْهُ في الدَّواوين
لَيْس القـضَـاءُ مَكْسَبًا للرِّزْق نَعْرفُه كَـمَـا عَـرفْنَاه في أَهْلِ الدَّكَـاكين
إِلاَّ لمن للرشَـا كَـفَّـاه قَـدْ بسطت بَسَطَ اللصُـوص شبـاكًا للثَّعَابين
سَلِ الهُـدَى والغنى مـمَّنْ خَـزائنه سُبْـحَـانه بين حَـرْف الكَاف والنون
وحيْثُ قَدْ صرتَ مَذْبوحًا فَخُذْ نبذًا للنصْحِ مَـا بين تخْـشينٍ وتلْيين
إِيَّاكَ إِيَّاك كِـتَـابًا تَخَـالُهم إِنْسًا وهم مِثْل إِخْـوَان الشَّـيَاطين
وَاحْذَرْ حِجَابًا [(٣)] وحجَابًا إِلى خَدَمٍ فَـفَـهَـمُّهم أَكْلُ أَمْـوَالُ المَسَـاكين
وَجَانب الرَّشْوَةَ [(٤)] الملعونَ قَابِضُهَا نَصًّا فَـسُحْقًا لأَصْحَاب الملاعين
وَفِي الرشَـا خَـفِـيَّـاتٌ ويَعْلمُـهَـا مَنْ كَـانَ ذَا هِمَـةٍ في الحفْظ للدِّين
واحـذر قَـرِينًا تَقُلْ بئْس القَـرينُ غَـدًا كَـمْ حَـاكِـمٌ بِقَـرينِ السُّـوءِ مَـقْـرون
ولا تَقُلْ ذَا أَمِينُ الشَّـرْعِ [(٥)] أَرْسَلَه فَكَمْ وَجَـدْنَا أَمِـينًا غَـيْـرَ مَـأْمُـون

---

(١) أي بالصبر .

(٢) أي في السور التي تبدأ بـ « حم » أو « طس » .

(٣) قوله : « احذر حجابًا ... إلخ » أخرج أحمد والترمذي من حديث عمرو بن مرة مرفوعًا : « **ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته** » .

(٤) قوله : « **وجانب الرشوة** .. إلخ » أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « **لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم** » .

(٥) قوله : «ولا تقل ذا أمين الشرع .. إلخ » أخرج أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا : « **ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة ولم يكونوا عملوا على شيء** » .

وَاحْذَرْ وَكِيلاً(١) يُرِيكَ الحَقَّ بَاطِلَهُ ... يَزُفُّهُ بينَ تَنمِيقٍ وَتَحْسِينِ
ولا تُنَفِّذْ أَحْكَامًا وَمُسْتَنَدُ الأَحْـ ... ـكَامِ رَجْمٌ بِتَبْخِيتٍ وَتَخْمِينِ
وَلا تَجْعَلَنَّ بيوتَ اللهِ مَحْكَمَةً ... وَلا تَحلق مِنْ خَلْفَ الأَسَاطِينِ
لتنظرنَّ بَيْنَ أَقْوامٍ صُراخُهُم ... صُراخُ ثَكْلَى وَلَكنْ غَيرَ مَحْزُونِ
لا يَسْتَطِيعُ المُصَلِّي مِنْ صِراخِهِم ... يأْتي بِفَرْضٍ وَلَا يَأْتِي بِمَسْنُونِ
وَثمَّةُ أَشْيَاءِ مَا بيَّنْتُهَا لَكَ فِي ... نَظْمِي وَتَعْرِفُهَا مِنْ غَيْرِ تَبْيِينِ
إِنْ عِشْتَ سَوفَ تَرى مِنْهَا عَجَائِبَهَا ... إِنْ كَانَ قَلْبُكَ حَيًّا غَيْرَ مَفْتُونِ
وَمَنْ يَمُتْ قَلْبُهُ لا يَهْتَدِي أَبَدًا ... لَوْ جِئْتَهُ بِصَحِيحَاتِ البَرَاهِينِ
هَذِي النَّصَائِحُ إِنْ كَانَ القَبُولُ لَهَا ... مَهْرًا ظَفَرْتُ غَدًا بِالخُرْدِ العِينِ
مَا لَمْ ظَفَرْتُ أَنَا بِالفَوزِ مُنْفَرِدًا ... بِأَجْرِ نُصْحِي يَقِينًا غَيْرَ مَظْنُونِ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... وَآلِهِ السَّادَةِ الغُرِّ المَيَامِينِ

ولمَّا وصلت هذه القصيدة إلى العلامة المحبشي بكى وقال : أمر كُتب على ناصر ، وقد عاهدت الله أن لا أحيف ولا أميل ، وكانت هذه النَّصيحة نصب عينيه حتَّى توفاه الله تعالى .. ! .

وقد ذيّل وقرظ هذه القصيدة الفريدة السيّد العلامة عبد الله بن لطف الباري (٢) بقصيدة قال فيها :

---

(١) قوله : « واحذر وكيلاً .. إلخ » أخرج أبو داود من حديث ابن عمر مرفوعًا : « **من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتّى ينزع** » وفي لفظ : « **من أعان على خصومه الظلم فقد باء بغضب الله** » .

(٢) السيد عبد الله بن لطف الباري الكبسي ثم الصنعاني ، ولد بصنعاء سنة ١١١٣هـ ، وهو أحد علماء صنعاء المبرزين في علم القراءات والآلات والحديث والتفسير ، وكان يقرئ جميع هذه العلوم ، وله تلامذة صاروا علماء نبلاء وممن قرأ عليه الإمام المهدي عباس قبل مصير إمامة اليمن إليه ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، وكان مقبول الكلمة عند

لَقَدْ نَصَحْتَ فَحَقَّقْتَ النَّصيحَ فَلا زَالتْ أَيَاديكَ تَأْتينَا عَلَى حينٍ
لَقَدْ رَأَيْنَا كِلا الأَمْرَيْن إنَّهما رَأْسُ الشُّرور بلا شَكٍّ ولا مينِ
رَبُّ الرِّياسَةِ أَنْ يَعْلو بكَلِمَتِه ولا يُعارِضُ في قَوْلٍ بتَخْشِينِ
وَيُرَغِّبُ النَّاسَ في سَيْرٍ إلَيْه فَلا يَرَى مُطَاعًا سِوَاهُ في الدَّواوينِ
فَمَنْ يُؤْثِر هَذا الشَّأْنَ كَانَ على حَالَ هَوًى في الهَوَى جَهْراً مَعَ البينِ
يَحْتَاجُ يَأْلَفُ إخْوَانًا لِيَقْضِ بِهِم قِيَامَ جَاهٍ مَدَى الأَيَّامِ في الحِينِ
وَيَغْتَدي لاحِظًا مَا لا يُنَفِّرُهم في كُلِّ خَوضٍ يَراهُمْ بَيْنَ عَيْنَيْنِ
وَفَتْحُ بَابِ فُضُولاتِ المعَاشِ فَلا يَتِمُّ إلا بِرَايَاتٍ وَتَحْسِينِ
هَذَانِ بَابِن لا يَنْجُو الفَتَى بَعْدُ إلا بِطَرْحِهِمَا خَلْفَ الأَسَاطِينِ
وانظُرْ إلى حَالِ مَنْ أُبْلِيَ بِحُبِّهِمَا تَجِدْهُ عَبْداً قَرِينًا للسَّلاطِينِ
وَقَدْ أَتَتْ حُجَّةٌ فيهَا البَيَانُ لِمَا قَدْ قُلْتَ فَاسْمَعْ صَحيحاً من بَرَاهِينِ
في لَفْظِهَا الحَصْرُ (مَا ذئبان) في أَثَرٍ صَحَّتْ أَسَانيدُهُ حَقّاً بِتَبْيِينِ
وَسُورَةُ القَصَصِ المَتْلُو (آيتُها) مَا يَنْفِي النَّومَ عَنْ جَفْنٍ مِنَ العَيْنِ
وَيَلْزَمُ العَبْدُ إخْلاصًا لِخَالِقِه مِنْ دَاءِ نَفْسٍ وَأَهْوَاءِ الشَّيَاطِينِ
وَفِيهِ حَصْرٌ لتلْكَ الدَّارِ يَجْعَلُهَا عُقَيْبَ ذَمٍّ وَتَبْكِيتٍ لِقَارُونَ
فَيَا مُريداً لدَارِ الخُلْدِ يَسْكُنُهَا فَسِرْ رُويداً وكُنْ عَبْداً لِتَحْزِينِ
أَوْ لا فَسَوفَ تَرَى نَكْسًا لِقَلْبِكَ إنْ سَاعَدْتَ نَفْسَكَ فَاخْدَعْهَا بِتَلْيِينِ

= الإمام المهدي لا ترد له شفاعة كائنة ما كانت ، وكان يعمل بالأدلة ويُرشد النَّاس إليها ، وينفرهم عن التقليد ، وكان مضيافًا مفضالاً كثير العبادة متواضعاً حسن التلاوة جيد الخط ، شديد البغض للمتصوفين ، له عظمة في الصدور وجلالة في النفوس توفي رحمه الله سنة ١١٧٣هـ ، وهي سنة ولادة الشوكاني رحم الله الجميع . راجع ترجمته في « البدر الطالع » (٣٩٢/١- ٣٩٤) ، و«نشر العرف » (١٣٥/٢ - ١٣٨) .

واذكُـرْ وقُـوفكَ في يَومِ المعَـاد غَـداً ... ومَـا تَرَى من عَظِيمِ الأَمْـرِ والهـون
واسـأَلْ من الرَّبِّ هَدْيًا من هدايَتِـه ... مَـديمَة لصَـلاحِ الحَـالِ والدِّين
ثُمَّ الصَّـلاةَ عَلَى طَهَ الأَمين كَـمَـا ... أَحْيَـا الشَّـرِيعـةَ والآلِ الميَـامِينِ(١)

● **قلت** : ومما يُناسب ذلك ما ذكره الشوكانيّ في « البدر الطَّالع » (١٦١/٢) في ترجمة السيّد محمّد الحسين الحوثي ثُمَّ الصنعاني (٢) قال : « .. ومن أحسن ما يُحكى عنه – أي الشوكاني – لمَّا ابتليت بالقضاء ، كتب الشعراء إليَّ تهانٍ ، وهو كتب إليَّ بتعزية في أبيات حسنة ، وذكر فيها عجائب، فوقع لذلك عندي موقع عظيم ... » .



---

(١) راجع القصيدة في « نشر العرف » (١٣٧/٢ – ١٣٨) .
(٢) هو السيد العلامة بدر المعارف ، ولد تقريبًا سنة ١١٥٠هـ ، أخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء منهم السيد محمد بن إسماعيل الأمير والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن ، وغيرها ، وصار أحد علماء صنعاء المفيدين ودرس في فنون ، وكان مائلاً إلى العمل بالأدلة مطرحًا للتقليد حسن الأخلاق ، متواضعًا متعففًا ، ممتع المحاضرة ، وله مباحث علميّة جيدة ، توفي سنة ١٢١١هـ تقريبًا . راجع « البدر الطالع » (١٦١/٢) .

الملحق

مجموع

﴿ تراجم بيت العمراني ﴾

مجموع تراجم بيت العمراني

زيادة في بيان أحوال القاضي العمراني وترجمته وأحوال أُسرته وبيئته ، رأينا أنْ نجمع تراجم آبائه وأجداده الموجودة في كتب التّراجم والرجال والتّاريخ المطبوعة تسهيلاً على القارئ ؛ لأن القارئ العزيز سيجد ذلك مفرّقًا في كتبٍ عدَّة قد لا تتوفّر له ، فهاك « تراجم بيت العمراني » مجموعة في موضع واحد فلله الحمد .

وهاك مُجمل هذه التَّراجم ثُمَّ تفصيلها :

﴿١﴾ ترجمة القاضي الحافظ محمّد بن علي العمراني (١٢٦٤ هـ) ، في الكتب الآتية :

(أ) في « البدر الطَّالع » للشوكانيّ .

(ب) في « التقصار » للشجني .

(جـ) في « حدائق الزَّهر » لعاكش الضمدي .

(د) في « نيل الوطر » لزبارة .

(هـ) في « الأعلام » للزركلي .

(و) في « أعلام المؤلفين الزيدية » لعبد السَّلام الوجيه .

﴿٢﴾ ترجمة القاضي أحمد بن علي العمراني (تأتي في ضمن ترجمة ابن أخيه العلامة عبد الرحمن بن محمَّد العمراني) .

﴿٣﴾ ترجمة القاضي حسين بن محمَّد بن علي العمراني (١٣٢٣هـ) :

في « أئمة اليمن » لزبارة .

﴿٤﴾ ترجمة القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمَّد بن علي العمراني (١٢٧٣هـ) :

(أ) في « نيل الوطر » لزبارة .

(ب) في « أعلام المؤلفين الزيديّة » لعبد السّلام الوجيه .

﴿٥﴾ ترجمة القاضي العلامة محمّد بن محمَّد بن علي العمراني (١٣٠٢هـ) :

(أ) في « أئمة اليمن » لزبارة .

(ب) في « نزهة النَّظر » لزبارة .

(جـ) في « تحفة الإخوان » للجرافي .

﴿٦﴾ ترجمة القاضي إسماعيل بن محمَّد بن محمَّد بن علي العمراني (١٣٤٤هـ) .

﴿٧﴾ ترجمة القاضي الأديب عبد الرحمن بن إسماعيل بن محمَّد بن محمَّد بن علي العمراني (١٤١٦هـ) ، تأتي في ضمن ترجمة أبيه القاضي إسماعيل العمراني .

﴿٨﴾ ترجمة شيخنا وعالمنا العلامة القاضي محمَّد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - وأدام في النّعمةِ والخيرِ أيّامه :

(أ) في « نزهة النَّظر » لزبارة .

(ب) في « أعلام المؤلفين الزيديّة » عبد السلام الوجيه .

(جـ) في « القاضي العمراني سيرة وتاريخ ومواقف وآراء » لمحمّد غنيم في بداية هذا الكتاب ، وهي أوفى سيرة وترجمة للقاضي العمراني - حفظه الله - فلله الحمد .

شجرة بيت العمراني المبارك

علي بن حسين بن شايع العمراني

أول من رحل من بيت العمراني من عمران إلى صنعاء في عصر الإمام المنصور حسين (١١٣٩-١١٦١هـ) وهو أول من درس العلم من هذه الأسرة.

أحمد بن علي العمراني

هو أصغر من أخيه محمد وأقل شهرة منه، ووصفه ابن أخيه عبد الرحمن بن محمد العمراني، فقال: «كان عمي عالمًا أثريًا سريع البادرة، قوي الإدراك حاضر الجواب حسن المحاضرة استفاد من أبي كثيرًا وقرأت عليه وانتفعت به توفي سنة ١٢٧١ هـ، راجع «نيل الوطر» (٣٩/٢) و«تراجم بيت العمراني» في هذا الكتاب.

الحافظ محمد بن علي العمراني

تلميذ الشوكاني الكبير وعميد حلقته صحب الشوكاني أكثر من ثلاثين سنة وقتل شهيدًا إن شاء الله سنة ١٢٦٤هـ في زبيد ترجمه كثيرون راجع «تراجم بيت العمراني» في هذا الكتاب.

العلامة القاضي حسين بن محمد بن علي العمراني

هو أصغر من أخويه وأقل منهما شهرة توفي سنة ١٢٢٣هـ وترجم له زبارة ترجمة قصيرة في «أئمة اليمن» راجع هذه الترجمة في «تراجم بيت العمراني» في هذا الكتاب.

العلامة القاضي محمد بن محمد بن علي العمراني

كناه والده بأبي الدرداء ولد سنة ١٢٢٠هـ وتوفي سنة ١٣٠٢هـ وقد عاصر بضعة عشر إمامًا وهو علامة كبير ترجم له كثيرون راجع «تراجم بيت العمراني» في هذا الكتاب.

العلامة القاضي عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني

كناه والده بأبي هريرة وهو أصغر من أخيه محمد ولد سنة ١٢٣٤هـ وتوفي سنة ١٢٧٣هـ هو عالم كبير ترجم له كثيرون راجع «تراجم بيت العمراني» في هذا الكتاب.

القاضي عبد الله بن حسين العمراني

تولى القضاء في بني الحارث ومات قبل والده رحمهما الله.

القاضي إسماعيل العمراني

والد شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني توفي سنة ١٣٤٤هـ ترجم له القاضي العمراني بطلب مني، راجع ترجمته في «تراجم بيت العمراني».

القاضي عبد الرحمن بن إسماعيل العمراني

أديب فاضل وقاض عالم توفي سنة ١٤١٦هـ ترجم له شيخنا في أثناء ترجمته لوالده القاضي إسماعيل.

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني

صاحب هذا الكتاب وترجمته مبسوطة موسعة هنا. حفظه الله وأطال في الخير بقاءه.

﴿١﴾ ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي العمراني

(أ) في « البدر الطالع » للشوكاني

محمد بن علي بن حسين العمراني ثم الصنعاني [١] :

ولد في سنة ١١٩٤ هـ أربع وتسعين ومائة وألف [٢] واشتغل بطلب علوم الاجتهاد على جماعة من علماء العصر كالسيد العلامة الحسن بن يحيى الكبسي والقاضي العلامة عبد الله بن محمد مشحم والسيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد وغير هؤلاء من المدرسين وبرع في العلوم الاجتهادية وصار في عداد من يعمل بالدليل ولا يُعرج على القال والقيل ، وبلغ في المعارف إلى مكان جليل ، وقد أخذ عني من جملة الطلبة ، وهو قوي الذهن سريع الفهم جيد الإدراك ثاقب النظر يقل وجود نظيره في هذا العصر مع تواضع وإعراض عن الدنيا وعدم اشتغال بما يشتغل به من هو دونه بمراحل من تحسين الهيئة ولبس ما يُشابه المُتظهر بالعلم - كثَّر الله فوائده ونفع بعلومه - وهو يزداد من المعارف العلمية في كل وقت ، وقد سمع على غالب الأمهات الست ، وفي العضد وحواشيه ، والمطول وحواشيه ، والكشاف وحواشيه وغير هذه الكتب ، وسمع مني أكثر مصنفاتي وكثُر اشتغاله بعلم الحديث ورجاله حتى صار الآن من أعظم رجال هذا الشأن وله مصنف في « سنن ابن ماجه » جعله أولاً كالتخريج ثم جاوز ذلك إلى شرح الكتاب ، وهو الآن في عمله ، وبالجملة فهو قليل النظير في مجموعه وكثرة فنونه وإتقانه [٣] .

---

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي العمراني في كتاب « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » تأليف القاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني جـ٢ ص (٢١٠) .

(٢) كذا في « البدر الطالع » بدون تحديد الشهر .

(٣) واستشهد المترجم له على سد الباطنية من قبائل يام في بيته بمدينة زبيد في جمادى الأولى سنة ١٢٦٤هـ . « من حاشية البدر الطالع » .

(ب) فى كتاب « التقصار » للعلامة الشجنى [(١)]

ترجمة الفقيه العلامة المجتهد والنبيه الفهامة المنفرد حافظ الآثار ومسند الأخبار .

محمد بن على بن حسين العمرانى [(٢)] الصنعانى :

وُلد في سنة أربع وتسعين ومئة وألف ، وقرأ على علماء عصره ، فمن مشائخه وكبارهم السيد العلامة حسن بن يحيى الكبسي والقاضي عبد الله بن محمد مشحم والسيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد والفقيه العلامة يحيى بن محسن الحبوري ، وقرأ في الفقه على الفقيه العلامة الفاضل سعيد ابن إسماعيل الرشيدي - رحمه الله - والفقيه العلامة محمد بن حسين الويناني ، وبرع في كل المعارف وخرج فيها سابقًا لا سيما في علوم الحديث ورجاله ، فإنه فُتح عليه في ذلك وصار المُشار إليه في معرفة الرجال وأسمائهم وكُناهم ، واختلاف طبقاتهم ومراتبهم وثقاتهم وضعفائهم ، وعمن أخذوا ومن أخذ عنهم ، وكذلك في خفيات علل الحديث ودقائقه ، فقلَّ أن يُشاركه غيره في ذلك ، وبلغ في علوم الآلات مبلغ الكمال ، وعرف منها ما يعرف فحول العلماء من ذوي التَّحقيق والتَّدقيق مع فهم كامل وذهن سائل وحافظة أعانته على كمال إدراكه فيما اشتغل بطلبه وتحصيله حتَّى حصلت له علوم الاجتهاد، وصار في جميع معارفه معدوداً من الأفراد مع صلابة في دينه ومتانة في إيمانه ويقينه .

---

(١) التقصار للشجني حققه محمد بن علي الأكوع ، مكتبة دار الجليل صنعاء ، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ص(٤١٥ - ٤١٦) .

(٢) ترجمة الإمام الشوكاني في « البدر الطالع » (جـ٢-٢١٠) وأشاد به وله مؤلف في التاريخ اسمه «خبر اتحاف النبيه بخير افتتاح المنصور وبنيه » في المكتبة الغربية بالجامع المقدس .

وله « تخريج سنن ابن ماجه » ثم جعله من بعد شرحًا عليه ، وقد شرع في كتاب جامع في الرجال حافل بجميع رجال الكتب الَّتي لم يتكلمْ على أكثر رجالها مثل « حلية أبي نعيم » وغيرها من الكتب الَّتي لم يُجمعْ رجالها مع اشتغاله بالدرس والتدريس في سائر الفنون وتولَّى بعض أعمال الشريعة عن شيخ الإسلام يأمره بتوليها مع عفاف وقنوع ، وعدم طمع وهلوع ، حسن المُخارجة ، مطرح تكاليف أمثاله في ملبوسه وأخلاقه وخُلُقِه .

أخذ عن شيخ الإسلام في التفسير والأصول والمعاني والبيان وفي كتب الحديث في الست الأمهات وغيرها ، وفي النحو وفي جلِّ مصنفاته مثل تفسيره « فتح القدير » و « شرح المنتقى » وغيرها بل أخذ عنه أكثر مصنفاته وحصلها ونسخ أكثرها مع عناية ودراية ، لا يلتفت إلى القال والقيل ، ولا يعول على غير الدليل ، ولا يتقيد بأقوال الرجال ، بل ينظر إلى ما قيل لا إلى من قال ، منذ بلغ مبلغ الرجال ذوي الإنصاف والكمال زاد الله في رجاله ، وحلّى جيد الزمان بأمثاله [(١)] .



(١) قال في هامش الأصل : توفي شهيداً – رحمه الله – في زبيد سنة أربع وستين ومائتين وألف .

(جـ) فى « حدائق الزهر » لعاكش الضمدى [١]
وهى أطول وأكبر ترجمة لهذا الحافظ الكبير
محمّد بن على العمرانى ثم الصنعانى [٢]
١١٩٤ هـ - ١٢٦٤ هـ

شيخنا العلامة خاتمة أهل التحقيق ، والفائق لأقرانه في أصناف التدقيق ، نشأ بصنعاء المحروسة ، مولده كما أخبرني سنة أربع وتسعين ومائة وألف ، واشتغل بعد بلوغه سن الطلب بالقراءة على مشايخ وقته ، كالسيد العلامة حسن بن يحيى الكبسي [٣] وغيره ، ولازم شيخنا البدر الشوكاني ، وبه انتفع ، وله به العناية التّامة ، والملاحظة الكليّة ، وبذلك ظهر صيته ، وانتشر ذكره ، وارتفع بين الناس قدره ، له اليد الطولى في جميع الفنون من نحو وصرف ومنطق وأصول وبيان ، وله إلمام بعلم المعقول ، واطلاع على مأخذ كلامهم ، وتوضيح مشكلاتهم على وجه مقبول .

وأما علم الحديث ، فهو إمام محرابه ، والذي لا يلز [٤] به قرين من أهل زمنه وأترابه ، فهو يستحضر رجال الكتب الستة بحيث لا يخفى عليه من أحوالهم خافية ، تعديلاً وتجريحًا ، مع همة سامية للاطلاع على العلل المتناهية

---

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي العمراني في كتاب « حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر » تأليف العلامة الحسن بن أحمد بن عاكش الضمدي (ص١٠٣ - ١١٦) .

(٢) له ترجمة في « البدر الطالع » (٢/٢١٠) ، و« نيل الوطر » (٢/٢٨) ، و« عقود الدرر » مخطوط (١٥٩ب) و « الأعلام » (٧/١٩١) ، و« التاج المكلل » (٤٤٢) .

(٣) حسن بن يحيى بن أحمد بن علي الكبسي ، من أعيان علماء صنعاء وتولى القضاء بخولان ، توفي ١٢٣٨ هـ ، انظر « البدر الطالع » (١/٢١١) ، « نيل الوطر » (١/٣٥٨) .

(٤) لز الشيء بالشيء ، يلزه لزًا وألزه : ألزمه إياه ، وجعلت فلانًا لزازا لفلان أي لا يدعه يُخالف ولا يعاند ، ويقال للبعيرين إذا قرنا في قرن واحد : قد لزا ، اللسان (لزز) ومعنى العبارة : ليس له ند أو نظير .

غاية الأمر أنه ناظر القدماء في هذا الفن ، وبلغ رتبة في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن ، وبه انتفعت في هذه الصناعة ، ودخلت مع القوم في تلك البضاعة .

أطلعني على مؤلف له سمّاه « التعريف بما ليس في التهذيب من قوي وضعيف » ، فرأيت ما بهرني من الاستدراك ، وهو يأتي في مجلدين ، و«التهذيب» هو مؤلف الحافظ المزي من رجال الكتب الستة ، الَّذي لم يُؤَلَّف مثله في سالف الأعصار ، وقد اختصره الحافظ الذهبي في مؤلف سمّاه «الكاشف» ، و « التقريب » أنفع ؛ لأنه ضبطه بالحروف ، وإلا «فالكاشف» يضبط بالقلم ، فربما يقع الاشتباه .

نعم وله حاشية على ابن ماجه مُفيدة جداً ، سمّاها «عجالة ذوي الحاجة» وقد جاء في تلك التعليقة بأسلوب مخترع ، يورد السند بمتنه ، ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبارات ، وبعد ذلك يتكلم على معنى الحديث ، وله مؤلفات غير ذلك .

اتفقت به في رحلتي إلى صنعاء عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف ، ولازمته مدة ، وقرأت عليه « شرح الغاية » في أصول الفقه ، المُسمَّى « بهداية العقول » ، للمولى الإمام الحسين بن القاسم - رحمه الله تعالى - ومن فاتحته إلى خاتمته ، وأخذتُ عنه في « صحيح مسلم » ، و«ابن ماجه» و«مستدرك» الحاكم وغير ذلك من كتب الحديث .

وكنت أحضر للقراءة في حلقة شيخنا البدر الشوكاني ، وهو الحاكم على أولئك العلماء بإيراد الفوائد ، وبالإملاء لكتب السماع ، مع أن في ذلك المحفل نحارير العلماء ، ومصاقعة الأدباء ، ولم أره يُلاحظ أحداً من أهل حلقته ملاحظته ، وما تدور مُراجعة إلا ويُسند بيان إشكالها وإيضاح إبهامها عليه .

وفي آخر المدة وقع منه وحشة من شيخنا البدر الشوكاني ، كما جرت العادة بين الأقران ، ومن اطَّلع على « سيرة النبلاء » [١] للحافظ الذَّهبي ، ورأى ما وقع بين الأقران من المنافسة ، لاسيما مثل الواقع بين الحافظ محمد بن يحيى الذهلي ، وتلميذه الإمام البخاري ، هان عليه الأمر ، وعلم أن العصمة مُتعذّرة ، وقد كان يصدر منه كلمات ناشئة عن التّجرم ، وهي غير مقبولة منه في شيخنا ، بل الله ثراه ، فقد تقرر أن كلام الأقران بعضهم في بعض غير مقبول ، وقد تكلم الذهبي في صدر « ميزان الاعتدال » في هذه المادة بما يروي الغليل ، ويُشفي العليل ، حتَّى قال : « لا يعلم زمان إلا وقد صدر من الأقران (الطعن فيه على بعضهم بعضًا) [٢] ، ولم يسلمْ من ذلك غير الأنبياء صلوات الله عليهم » ويكون الجواب على كلامه في شيخنا البدر ما قاله السبكي في ترجمة الإمام الشافعي ؛ لأن الماء إذا بلغ قلتين لا يحمل الخبث » .

وإنما أوردت مثل هذا وكان اللائق طيّه ؛ لأني رأيتُ بعض العصريين قد اغتر بكلام المُترجم له في شيخنا البدر ، وجعل يُندد به في المجالس ، والكُلّ هُمْ أشياخنا ، وواجب علينا لهم حق التَّعظيم ، ولكن إجراء ميزان العدل بينهم بما فيه براءة لسوابقهم في الإسلام ، وعنايتهم بحفظ شريعة سيد الأنام ، مع أن شيخنا البدر طاهر اللسان في حقّه ، ويرى له من التعظيم فوق ما يرى لغيره ممن عرفنا ، وقد اطَّلعت على ترجمة للمُتَرجَم له لشيخنا في « البدر الطالع » ، فأعطاه حقه ، وأثنى عليه بما منحه الله تعالى من العلوم ، والمتعين كف اللسان عن أعراضِ أهل العلم ، ولا يتخذ مقالة بعضهم في بغض سلمًا إلى القدح ،

---

(١) صحة اسم الكتاب « سير أعلام النبلاء » .
(٢) هكذا وردت هذه العبارة ، وصياغتها عامية ، فضلاً عما فيها من خطأ نحوي ، متمثل في نصب (بعضًا) دون مسوغ .

فإنَّ هذا مُضرٌّ بالدين ، فإن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في منتقصيهم معلومة ، قالوا : ومن تسارع إلى العلماء بالسبِّ ابتُلي بموت القلب (قيل : وهو الكفر) ، وباب التأويل للمؤمن مفتوح ، فضلاً من كان من أهل العلم ، و« **الأعمال بالنيَّات** » (١) .

نعم ، وبعد حصول الوحشة بينه وبين شيخه المذكور ، تناقص الحال ، وانتهى ذلك إلى خروجه من صنعاء ؛ لأسباب صدرت عليه من القائم بصنعاء تلك المدة ، وهو عبد الله بن أحمد الملقب المهدي ، كلها من حظوظ النَّفس ، وكان استقراره بعد انفصاله في بلدة زبيد ، ووصوله كان في عام خمسين ومائتين وألف .

واتفق وصوله في أيام شيخنا الحافظ السيد عبد الرحمن بن سليمان ، فلاحظه بالإجلال ، وقابله بما هو أهل له في البكر والآصال ، وتسبب في توليه لوقف زبيد وتولاه ، وما أعقب ذلك إلا موت شيخنا عبد الرحمن وتفاقمت عليه الأمور لبسط ألسنة الحساد ، ولم يطبْ له بعد ذلك المقام بزبيد وهاجر إلى مكة المشرفة ، وأقام بها ثلاث سنين على حال يَسُرُّ الودود ويسوء الحسود ، مُكباً على نشر العلم في تلك البقاع الكريمة .

وبعد هذه المدة ترجح للشريف مليك القطر اليماني الحسين بن علي بن حيدر استدعاؤه من مكة المشرفة ، وأمرني بجعل مرقوم (٢) إليه ، بتحسين الوصول إلى حضرته ، فوصل من طريق البر ، وخيره الشريف المذكور بعد

---

(١) هذا جزء من حديث : « **إنما الأعمال بالنيات** .. » أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي (١/٩) رقم (١) .

(٢) الرقم والترقيم : تعجيم الكتاب ، ورقم الكتاب يرقمه رقمًا : أعجمه وبينه ، وكتاب مرقوم : أي قد بينت حروفه بعلاماته في التنقيط وقوله عز وجل : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين : ٢٠] ، كتاب مكتوب ، والمرقم : القلم والرقم : الكتابة والختم ، اللسان (رقم)

الاتفاق به بين الإقامة في أبي عريش ، أو في أي مدن اليمن ، فاختار المدينة العريشية ، وبنى له بيتًا بجوارنا ، وأجرى عليه الكفاية التَّامة ، ولحظه بعين الإجلال الخاصة والعامة ، ولبث نحو سنتين على الحال المُرضي ، ثُمَّ ترجح له الارتحال إلى مدينة زبيد ، وكان إذ ذاك بها الشريف المذكور ، فأسدى إليه الإنعام ، وقابله بالإجلال والإكرام .

وقد كان أيّام إقامته بزبيد المرة الأولى ، ارتحلت إليه عام واحد وخمسين بعد المائتين والألف ، وقرأت عليه « شرح مختصر المنتهى » للقاضي عضد الدين الإيجي بكماله ، وشرح « ألفية العراقي » في مصطلح الحديث بتمامه ، و« الإغـراب في علم الإعـراب » [١] ، و« نزهة الناظر في أدب المناظر » ، وكلاهما للسيد الحسن الجلال ، وقرأت عليه في « المواقف العضدية » و«شرحها» للشريف الجرجاني ، وأخذت عليه كثيراً من التفسير والحديث جزاه الله عني خيراً .

وقد أجازني بإجازتين : واحدة أيّام رحلتي إلى صنعاء عام ثلاثة وأربعين بعد المائتين والألف ، والأخرى أيام أخذي عليه في زبيد ، ولم أذكر شيئًا من إسناده لكتب الحديث ؛ لأني شاركته في الأخذ عن شيخنا البدر الشوكاني .

قد حدثنا بالأمهات قراءة لبعضها ، وإجازة لتاليها ، عن شيخه السيد حسن يحيى الكبسي ، ثنا القاسم بن محمد الكبسي ، حدثنا السيد محمد بن إسماعيل الأمير ، ثنا أحمد بن محمد النخلي بأسانيده المعروفة ، وقد أطال في إجازته الأخيرة غاية الإطالة ، وهي مدوّنة موجودة مـع إجـازة هؤلاء الأشيـاخ

---

(١) يذكر الحبشي أن اسم الكتاب هكذا « الإغراب بتيسير الإعراب » انظر « مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن » (٣٨٦) .

(الَّذي هذا المؤلف في نظم فضائلهم)[١] ، وقد جمعتها في مجلَّد مستقل وله كتاب فيه تراجم علماء الوقت طالعته ، ووقفت فيه علت ترجمة لي مُطوَّلة أورد فيها ما اتفق بيني وبينه من المكاتبات ، والمقروءات ، ومن جملة ما ذكره القصيدة الَّتي كتبتها له أيام الإقامة بزبيد لطلب القراءة عليه وهي[٢] :

مِنْ لحظ عَيْنيهَا أَرَاشَتْ أَسْهُمًا ... وَرَمَتْ فَأَقْصَدَتِ المُحِبَّ المُغْرَمَا

وتبخترتْ لما رأتْهُ مُضرجًا ... بدمائه والدَّمْع سَفَّحَ عندما

لَمْ يضنها الكَلمُ الَّذي بحشائه ... منها وولَّتْ وهو يفحص في الدَّمَا

عَطْفًا عَلَى المتبول يا ابنة مالك ... أَوَ مَا كَفَاكَ بأنْ جرحت مُكَلَّمَا ؟

صبًا براه الشَّوقُ فَهُو لِمَا به ... قَدْ صَار من فرط الغرام مُتيَّما

لا واخذ الله الجُفُونَ بما جنت ... من مُستهام وأوْخزته لِهُذَمَا

والثَّغْرُ مِنْ رَيًّا فَلا انتثرتْ لآ ... لئه وَلا شَيْبَ الجَعِيد[٣] الأفحما

فلرُبَ ليلٍ قَدْ قطعت بوصْلها ... في ربْعها مُتنزِّهًا مُتنعِّما

وجنيتُ من وَرْد الخُدود أغضَّهُ ... وَرَشَفْتُ مَا بينَ الثَّنايَا واللمَا

وهصرتُ قدًا كالقضيب رشاقةً ... وضممتُ خصرًا كالجَديل مُنظَّما

وحنَتْ عَلَيَّ وألحفتني ساعدًا ... بَيْنَ الرِّياض ووسَّدتني مِعْصَما

والعتبُ فيما بيننا مُترسل ... فانفضَّ مِنْ سِرِّ الغرامِ مختما

أيَّامٌ لا واشٍ يُكدِّرُ صفونا ... حَسَدًا ولا الرُّقَبَاءُ تدري حيثما

لله أيَّامٍ مَضَيْنَ برامةٍ ... مَا كَانَ أطيبها عَلَيَّ وأنعما

---

(١) وردت هذه العبارة هكذا ، وفيها اضطراب في الصياغة ، وخطأ في استخدام الاسم الموصول (الذي) فقد استخدمه في موضع (الذين) لأنه وصف للأشياخ .

(٢) القصيدة من الكامل .

(٣) الشعر الأسود .

لَهْفي عَلَى ذَاكَ الزَّمانِ لَوْ أنَّهُ   أَجْرَى الحبورَ مَعَ النَّعيمِ وتَمَّما
ومَهامِهٍ قَفْرٍ فُرِيتْ أَديمُها   بأَيَانقٍ (١) هُوجٍ تَبَارَى الأَنْجُمَا
شِبْهُ القِسيِّ تَخَالُهَا فإذَا انبرتْ   للعَدْوِ تحسَبُهَا لعمري أَسْهُمَا
يَأْبِينَ مِنْ مَسِّ السِّياطِ جلُودَهَا   فَيحثُّهَا الحَادِي إِذَا مَا هَيْنَمَا
كَرمتْ فَلا الإِنضاءُ يُورثُها عَيا   كَلا ولا الصَّخَراتُ تَهْشِمُ مَنْسِمَا
كَلَّفْتُهَا للانْتِجَاعِ تَجَشُّمَا   وَلِمثْلِهَا أَوْلَى بِأَنْ تَتَجَشَّمَا
أَوْرَدتُها العَذْبَ الفُراتَ وحَسْبُهَا   بَيْنَ الأَيانِقِ أَنْ تزورَ العَيْلَمَا
الحَافظُ الحبْرُ الهُمَامُ أَخَا العُلا   عزَّ الهُدَى غَيْثُ السَّمَاحِ إِذَا هَمَا
عَلَمُ العُلومِ وبَحْرُهَا وإِمَامُهَا   مَنْ فَاتَ آخرَهَا وفَاقَ الأَقْدَمَا
نُقَّادُ عِلْمِ الأَوَّلينَ فَكَمْ لَهُ   مِنْ مَبْحَثٍ يَذَرُ المبرِّدَ أَبْكَمَا
بدِرَايَةٍ مَا حَازَهَا مِنْ قَبْلِهِ   الرَّازِي ولا الشَّيْخُ التَّقِي وهُمَا هُمَا
فَإذَا اسْتَفَاضَ مُنَاظِراً فِي مَحْفَلٍ   حَجَّ المُنَاظِرَ بالدَّليلِ وأَلْزَمَا
أَوْ خَاضَ فِي عِلْمِ الكَلامِ فَإِنَّهُ   يُبْدِي مَسَائِلَ تُحْرِجُ المُتَكَلِّمَا
بُرْهَانُهُ فِي العِلْمِ لِمَا ؟ فَقُلْ   لِلْمَنْطِقِيِّ حَذَارِ مِنْ أَنْ تُفْحَمَا
شَهِدَتْ لَهُ كُلُّ العُلومِ بِأَنَّهُ   قَدْ صَارَ فِي كُلِّ العُلومِ مُقَدَّمَا
سَاوَى ابنُ حَنْبَلٍ فِي جَلالَةِ نَقْدِهِ   فَلِذَا غَدَا كَالبَدْرِ فِي أُفُقِ السَّمَا
وَإِذَا أَدَارَ مِنَ القَرِيضِ سُلافَةً   فَيَزُفُّ كَأْسًا بالبَلاغَةِ مُفْعَمَا
ويُريكَ مِنْ عِلْمِ البَدِيعِ غَرَائِبًا   عِنْدَ التَّقَابُلِ نَاثِراً ومُنَظِّمَا
ولقَدْ وَفَدتْ إِليْهِ لَيْسَ لِمَقْصِدٍ   غَيْرَ العُلُومِ فَإِنَّهُ يَشْفِي الظَّمَا

---

(١) جمع الجمع للناقة ؛ لأن جمع ناقة : ناق ونوق ، وأنؤق ، وأونق ، وأينق ، ويناق ، وناقات ، وأنوق، وجمع الجمع : أيانق ، ويناقات .

فَانْظُرْ فَدَيْتُكَ نَحْوَ قِنِّكَ[1] مُخْلِصًا وقِتَالُهُ في الأَخْذِ عَنْكَ تَكَرُّمَا
وإِلَيْكَهَا شَيْخُ الحَدِيثِ خَرِيدَةً عَذْرَاءَ تَبْدِي في ثَنَاكَ تَبَسُّمَا
لَمْ يَرْضَهَا كُفْؤًا سِوَاكَ فَلَقْهَا بِشْرًا وَحَقٌّ لِمِثْلِهَا أَنْ تُكْرَمَا
وَاعْذُرْ وَسَامِحْ في تَأَخُّرِ وَصْلِهَا لَكُمْ وَأَنْتَ بِذَاكَ أَوْلَى مَنْ سَمَا
مَا إِنْ تَرَكْتُ مَدِيحَكُم عَنْ رَغْبَةٍ لَكِنَّنِي فِيهِ أَتَيْتُ الأَحْزَمَا
أَتُقَابِلُ البَدْرَ السَّمَّاكَ بِضَوْئِهِ زَعْمًا أَوِ الحَصَى تُضَاهِي
وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَلُوحُ ظُهُورُهُ الأَنْجُمَا[2] لِلْمُسْتَفِيدِ إِذَا اغْتَدَى مُتَوَسِّمَا
وَعَلَى النَّبِيِّ المُصْطَفَى مِنْ هَاشِمٍ صَلَّى الإِلَهُ مَدَى الزَّمَانِ مُسَلِّمَا
وَالآلِ مَا قَالَ المَشُوقُ تَلَهُّفًا مِنْ لَحْظِ عَيْنَيْهَا أَرَاشَتْ أَسْهُمَا

وصورة ما كتبه على مؤلفي « روض الأذهان » مقرظًا ما لفظه : « حمد من لم تزل براهين اقتداره على ما أراد تجدد ، ودلائل علمه وحكمته في ميادين اختيارهم على الآباد لا تضبط بعد ، ونتائج إرادته على استمرار الأوقات تبدد ، وعلى تلون الحالات تتولد ، والصلاة والسلام على مديد الأمد ، على صاحب الشرع المؤيد ، المحفوف من المعجزات بملفوف الآيات البينات ، فطاولت الأبحر في المد المعروف بتذليل سبل الخيرات ، وتذليل الشرائع النيّرات فعرش شعار شرعه مشيد ، ختم به الأنبياء ، ونصر دينه ، وقهر قرينه ، فهو على الأعداء منصور ، وفي الأبداء مؤيد ، وعلى تابعيهم بإحسان في اقتفاء طريقه بنصر الدين وتقويمه ، وبعد .

(١) القن : العبد الذي ملك هو وأبواه ، ويستوي في المثنى والجمع والمؤنث ، وقال اللحياني : العبد القن الذي ولد عِندك ، والقن مأخوذ من القنية وهي الملك ، اللسان (قنن) .
(٢) شطر البيت غير مستقيم وفيه اضطراب .

فقد نبغ في عصرنا هذا ، ونبل على كثرة المفترات بالمعالي بما صد وآذى، بل شتت شمل المنتسب إليها فجعلهم أقذاذاً ، ومزق أديم الكمال على اختلاف أجناسه بما صير أبعاضه جذاذاً [١] ، وذلك الولد العلامة ، والإمام المعتمد الفهامة ، حامل راية الفخر ، ولواء الإمامة الجامع من أشتات الفضائل العلمية ما بلغه مرامه ، واحتوى بأنواعها بثابت جنانه على ما لم يُزلزل أقدامه ، ولم يفتر إقدامه ، أخي وسيدي الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي ، لا زال في نعيم سرمدي ، فهو بطين من علوم الشريعة ، ناقع غليل ظمآن العلم إن غرَّه سراب الجهل بقيعة ، مشتمل على علوم الأدب ، كافل بقويم أود لسان من ارتاد علوم العرب .

ناثر فما عبد الحميد [٢] وما قُدامة [٣] ، ناظم فما زُهير [٤] وما قدر كعب بن أمامة [٥] ، وما حسن تشبيه ابن المعتز [٦] للهلال بالقلامة ، برهان ما اشتهر في الألسن ، والحجة القاطعة فيما أثره مُتقن عن متقن ، فقد اشتهر أن وادي ضمد ، ولم يخل فيما تقدّم ، ولا يزال إن شاء الله تعالى إلى الأبد ، من عالم بحره متلاطم الأمواج ، وحاشا عذبه أن يعتريه شائبة الأجاج ، ومن

---

(١) الجذاذ : ما كسر من الشيء ، والجذ : القطع المستأصل ، وفي التنزيل : ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود : ١٠٨] اللسان (جذذ) .

(٢) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري ، المعروف بالكاتب ، من أئمة الكتاب والأدباء ، (ت/١٣٢هـ) ، « الأعلام » (٦٠/٤) .

(٣) قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ، يُضرَبُ به المثل في البلاغة ، ت/٣٣٧) ، « الأعلام » (٣١/٦) .

(٤) زهير بن أبي سلمى ، حكيم الشعراء في الجاهلية (ت/١٣ ق . م) « الأعلام » (٨٧/٣).

(٥) كعب بن أمامة بن عمرو بن ثعلبة ، كريم جاهلي يضرب به المثل في حسن الجوار والجود «الأعلام » (٨٥/٦) .

(٦) عبد الله بن محمد بن المعتز ، شاعر من البيت العباسي تولّى الخلافة يومًا وليلة (ت/٢٩٦هـ) «الأعلام» (٢٦١/٤).

شاعر نهره مورد الأولياء ، ومطره على العدا ثجاج [١] ، فكانت هذه النابعة ، والنعمة الجليلة السابغة ، هي برهان الفضيلتين ، والقائم بحمد الله بأعباء الرئاستين ، هذا إلى ما تضلع فيه من علم المعقول ، وأقام به شهادة حقيقة ما جاء به الرسول ، مع حصافة عقل ورصانة ودين ، وصيانة لسان عن التعرض لأعراض الصادقين ، فهم الذين نقلوا إلينا الإسلام ، وسبقونا بالإيمان واليقين فمن لم يراع حرمة السلف فهو المحروم ، ومن تعدى طوره بعقوقهم من الخلف فهو الموسوم بالشوم ، وكيف يتجاسر على السلوك في مهيع من سد طريقه ؟ أو يدخل من باب من وعره فيه يوصل إلى الحديقة ؟ .

وإن من جملة ما فاض من بحاره العذبة ، وغاظ ماءه الحسدة فشرقوا ، وكان علامة الحرمان ، وسببه شرحه هذا الَّذي على « المدخل » موضوع ، بل هذه المأدبة فرقها غير مقطوع ، ومسترفدها غير ممنوع . فقد قام كلما عقد ، ولم يبخل ببذل ما كنز من جواهر العلم للمنتقد وصيرها معتمد متوخي الاستفادة ، ونصبها مرمى من طلب العلم وارتاده ، وقد قرظ عليها السيد العلامة المُفتي محمد بن عبد الرحمن ، لا زال متُفيئاً ظلال الإحسان والإفتاء ، بما كشف عن محاسن المؤلف ، وبلوغه المنتهى فيما ركب ووصف ، وشهد بأنه عين أعيان من علت له الرتبة ، وما أحقها من شهادة ، فمن شهد له خزيمة فهو حسبه .

وقد تجرأت بكتب هذه الخالية عن المعاني والبيان ، وجريت فيما لم أكن من أهله ، ولا أمشي منه في ميدان ، لكن تسترت .. وصفح المؤلف ، ودخلت

---

(١) الثج : الصب الكثير ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾ [النبأ : ١٤] وفي الحديث تمام الحج العج والثج ، اللسان (ثج) .

في الغمار ، واحتججت بقول : « ولا تغد للهيجاء إلا بجاهل » ، يعني من عالم الغمار ، جعلنا الله جميعًا ممن قال في ظل رحمته وبات ، وأفاض على فقرنا سحائب بركته في الحياة والممات » انتهى .

وهو في غاية البلاغة ، ولا جرم المنشيء لذلك في أعبى درجات البلاغة ، وهو مُجيد في النظم والنثر لكن إجادته في النثر أحسن ، ومما كتبه في صدر رسالة جواب عتاب (1) :

قَـدْ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَـارَاتِهَـا	بِأَنَّنِي وَدَهْرِي خِـدْنُ الوفَـا
فَـلا أَصُـونُ السِّـرَّ عَنْهَـا وَلا	أَنْزَحُ عَنْ وِرْدِي عَـيْنَ الصَّـفَا
إِنِّي لَهَـا فِي الغَـيْبِ فَـوْقَ الَّذِي	شَـهِـدَ مِنِّي لَيْسَ عِنْدِي جَـفَـا
وَلَيْسَ لِي وَجْـهَـانِ فِي صَـاحِبٍ	أَوْ صَـاحِبٌ مَـا فِي جَـفَـاهُ خَـفَـا

وما بيني وبينه من مكاتبات يخرج في مجلد .

وكان أول ما عرفته بصنعاء ، وهو ينفر عن العمل بالرأي ، ويحث على الاشتغال بالحديث ، ويميل إلى العمل بظاهر الحديث ، ولا يتقيد بمذهب ، وكل أوقاته مستغرقة بالقراءة والإقراء في كتب الحديث ، وبعد استقراره بزبيد ، اشتغل بالفروع الفقهية على اختلاف المذاهب ، وصار يُملي المختصرات الفقهية على من هو دونه في العلم بمراحل ، وحث الناس على الاشتغال بكتب الفروع ، وسفه من منع من ذلك ، وانتقد عليه هذا الصنع المشتغل بعلم الحديث من علماء الوقت ، حتَّى سمعت بعضهم أن هذا أمر « الحور بعد

(1) الأبيات من السَّريع .

الكور »[١] ، وفي الحقيقة أن ذل؛ منه مُسايرة لأحوال الزمان ، ومداراة لأهل الوقت خشية من قدح فلان وفلان ، وإلا فعمله الخاص بنفسه على مقتضى الدليل ، والعلم عند الملك الجليل .

وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى عام أربع وستين بعد المائتين والألف وسبب موته أنه مع دخول أجناد الشريف الحسن بن محمد بن علي بن أحمد الحسني [٢] مدينة زبيد لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي من أسر إمام صنعاء ، والقصة مشهورة قد أمليتها في التاريخ الذي سميته « الديباج الخسرواني بذكر أعيان المخلاف السليماني » ، فدخل عليه بعض الجنود في عقر بيته بين أهله ، وأجرى على عنقه خنجراً لم يبق منه غير الحلقوم فلبث يومين وتوفي إلى رحمة الله تعالى ، ففاز في بيته بالشهادة [٣] ، وهذا عنوان السعادة .

---

(١) الحور : الرجوع ، الكور : النقصان بعد الزيادة ؛ لأنه رجوع من حال إلى حال ، وفي الحديث : « **نعوذ بالله من الحور بعد الكور** » معناه : من النقصان بعد الزيادة ، وقيل : معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وأصله من نقض العمامة بعد لفها ، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها. اللسان (حور) ، والحديث ورد في مسلم (١٠٥/٤) .

(٢) من أشراف أبو عريش ، وفي عهد عمه الشريف الحسين بن علي تولَّى له على الحديدة ، وزبيد والمخا واللحية ، وبعد وصول الأتراك وخروج عمه إلى الآستانة نصب نفسه أميراً على المخلاف ، وجرى بينه وبين الأتراك مناوشات ومواقف ، وكذلك بينه وبين عمه الحسن بن الحسين من أجل إمارة المخلاف ، وبعد استيلاء أمير عسير محمد بن عائض على المخلاف فر الحسن إلى وادي مور وتوفي هناك عام ١٢٨٣ هـ . انظر « عقود الدرر » مخطوط (١٨٣) ، و« نيل الوطر » (٣٥٥/١) و« الديباج » أحداث سنة ١٢٦٧ هـ وما بعدها .

(٣) أورد المؤلف القصة في الديباج الخسرواني في حوادث عام ١٢٦٤ هـ ، والجنود الذين دخلوا زبيد بقيادة الشريف الحسن بن محمد كانوا من قبائل يام ، التي استنجد بها أشراف أبي عريش للهجوم على زبيد ، وفك أسر الشريف الحسين بن علي بن حيدر من سجن الإمام محمد بن يحيى ، عقب الصراع الَّذي نجم بين الاثنين . لمزيد من التفصيل حول تلك الحوادث : د إسماعيل البشري ، المخلاف السليماني في عهد الشريف الحسين بن علي بن حيدر ، تحت الطَّبع ، وكذلك : الحسن بن أحمد عاكش ، الديباج الخسرواني ، تحقيق د إسماعيل البشري ، حوادث عام ١٢٦٤ هـ .

ومما قلته مرثيًا وكتبت بذلك إلى ولده الأخ العلامة عبد الرحمن بن محمد وإخوانه إلى مدينة صنعاء (١) :

بفيكَ الثَّرَى يَا نَاعِيَ العِلْمِ والحِلْمِ ... وَحَافظ شَرْعَ الله للْعَرَب والعَجَم
أَذَبْتَ فُؤَادِي إذْ نَعَيتَ أَخَا العُلا ... لذَلكَ أَضْحَى وهو في غَايَة الهَمِّ
أَرَعْتُ لَهُ حَتَّى رَعَى النَّجمَ سَاهِراً ... فَمَدْمَعُهُ مَازَالَ منْ حُزْنِه يَهْمِي
عَرَفْنَا مَعَاني النَّائبَات بِمَوتِه ... وَقَدْ كُنْتُ لا أَدْرِي زمَانًا سوى الاسم
أَخَافُ عَلَيه كُنتُ منْ كُلِّ عَارِضٍ ... وَلَكن سَطَتْ أَيْدي المنون على رَغْمِ
شَهِيدٌ تولّى بالدِّمَاءِ مُجَلَّلاً ... وَنَافح مِسْكُ الله منْ أَثَرِ الكَلْمِ
فَشُلَّتْ يَدُ الجَاني عَلَى زَهْرِ رَوْضَةٍ ... منَ العِلْمِ يَجْنِي طَيِّبَ الرطْب والكَرم
به ثَلمت والله في الدِّينِ ثلمة ... تَدَاعَتْ جِبَالُ الحَقِّ منْ ذَلكَ الثَّلَم
لَقَدْ نَعَشَ الدِّينَ الحنيفي بِنَشْرِه ... لمطْوي علْمٍ لَيس يمنعُ بالكَتْم
وَقَدْ زُيِّنَتْ بالبَدْرِ أَرْضٌ فَفَاخَرَتْ ... لتلْكَ السَّمَا إِذْ كَانَ زُيِّنَ بِالنَّجْم
وَقَدْ أَشْرَقَتْ فِي كُلِّ قُطْرٍ عُلُومُهُ ... وَكُلٌّ تحَلَّى مِنْ صَبَا ذَلكَ الشَّهم
وَأَسْمَعَ دَاعي فَضْلهِ النَّاس كُلّها ... وَأَصْغَى إِلَيْهِ مَنْ به علَّةُ البُكْم
وغَنَّى الوَرَى في كُلِّ صُقْعٍ بِمَدْحِه ... فَصَفَّقَ أَهْلُ الفَضْلِ منْ طيب النَّغَم
تهَدَّمَ رُكْنُ العِلْمِ يا وَيح طالب ... لعِلْمٍ وَقَدْ أَرْسَى عَلَى مربع الهَدْم
بَكَى وشَجَاهُ الرَّسم إِذْ كَانَ حَائِرا ... فَأَنْحَى عَلَى صَدْرٍ منَ الحُزْنِ باللوم
فَجَاوبه وَرْقٌ بِمَكْنُون وَجْده ... فَأَمْلَى عَلَيْه وَارِدَ الغَمِّ والهَمِّ
عَلَى طَلَلٍ قَدْ كَانَ بالعِلْمِ آهِلاً ... فَعَفَى سَوافي الدَّهرِ نَاضِرَةَ الرَّسم

---

(١) القصيدة من الطويل .

لَقَدْ عَقَمَتْ كُلُّ النِّسَاءِ عَنْ نَظِيرِهِ ... وأَنَّى لَهُ مِثْل وَقَدْ سَمن بالعقمِ ؟

فَمَنْ لِفنونِ العِلْمِ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِ ... فَهُنَّ لعمر اللهِ قَدْ صِرْنَ في يُتمِ

هو الحَافظُ النَّقَّادُ مِنْ غَيرِ رِيبةٍ ... فَمَنْ ذَا يُدانيه إذا خَاضَ في عِلْمِ ؟

غَدَا تُرجُمَانَ النُّورِ يَكْشفُ بُرْقُعًا ... لأَوجهِ تأويلِ الكِتَابِ عَلَى حكمِ

وَقَدْ زَخَرتْ مِنْهُ عَلينا مَعَارِف ... بِهَا قَدْ عَلِمْنَا المَدَّ في ذَلكَ اليَمِّ

وأَودعَ مَضْمُونَ اللآلي لِمَسْمَعِي ... وَلَكنْ دَمْعُ العَيْنِ نَثْرُ ذَاالنَّظْمِ

وَمَا السُّنَّةُ الغَرَّاءِ تَعْذلُ إنْ بَكَتْ ... فَإنَّ لَهَا مِنْ عُمرِهِ أوفرُ القِسمِ

غَدًا كَافلا للأُمَّهَاتِ بِخِبْرَةٍ ... وَقَدْ أمنتْ مِنْ حُبِّه مِنْ أَذَى الفَطْمِ

لَقَدْ صَارَ مِيزانُ اعتدالٍ بِنَقْدِهِ ... رِجَالُ أحَاديثِ النَّبيِّ بِلا وَهمِ

فَمَنْ بَعْدَهُ في ذَلكَ العِلمِ مَنجع ... فَقَدْ كَانَ كَشَّافًا لِذي الفَهمِ والفَدمِ

وَإنَّ عُلومَ الفِقْهِ حَقًّا تَنقَّصتْ ... وأَنَّى يُرجى الجبرُ مِنْ بَعْدِ ذَا القَصْمِ؟

وَلِلنحوِ والتَّصْرِيفِ غَيْظٌ مُضَاعَفٌ ... عَلَى فَقْدِهِ لَكِنْ تَسلَّتْ عَلَى كَظْمِ

وَعِلْمُ أُصُولِ الفِقْهِ أَضْحَى مُجَنْدَلاً ... وأَنْفُ أُصُولِ الدِّينِ غُودِرَ بالكَتْمِ

وَمَا مَنْطِقُ اليُونَانِ إلا تَعَطَّلَتْ ... مَنَازِلُهُ حَتَّى بَكَى حَجَرُ الرَّدمِ

وَعِلْمٌ لِمَعْقُولٍ تَنُوسي دَقَائِق ... حَوَاهُ وأَضْحَى وَهُو في غَايَةِ العَدَمِ

فَقُلْ لأَهلِ العِلْمِ نُوحُوا لِفَقْدِهِ ... فَقَدْ تَرَكَ التَّدْرِيسَ في ذَلكَ العِلمِ

يُجق جُنوب لا جُيُوب لِفَقْدِهِ ... تُشَقُّ فَهَذَا غَايَةَ الحَادِثِ الضَّخْمِ(١)

فَمَنْ غَيرَه يُلجا إلَيْهِ ذَوو الذكَا ... إذا دهمتهم وَارِدَ العَضَلِ الدَّهمِ

وَلَكنَّهَا الدُّنيا مَآلُ الَّذِي بِهَا ... إلى المَوتِ لا تُبْقِي عَلَى النَّهِمِ والقَرِمِ

---

(١) الصياغة مضطربة في هذا البيت .

وَإِنْ صَــفَــيَتْ حَلْوَاؤهَا لِمُغَــفَّلٍ فَــغَــايَةُ ذَاكَ الحلو يُمْــزَجُ بالسُّمِّ

وكُنْ ناظرًا فِي فِــعْلِهَــا فِي زَمَــانِنَا فَذَلِكَ يُنْسي عَنْ جَدِيس وعَنْ طَسَمِ

فَــإِنْ ضَمَّ فِــيــهَــا المَرْءُ شَــمْلَ أَمْــرِه بنَيْلِ المُنَى فَــالخَــيْــرُ في ذاك الضمِ

وفَرْضَ أُولِي التَّقْوَى التَّأَسِّي بِمَن مَضَى وكُلٌّ وإِنْ طَالَ الحَــيَــاةَ إلى صــرمِ

ومن كــان أبقى في الدُّنا مــثل نسله وَجيه الهُدَى رفى لَنَا مخْرَقَ الخَطْمِ

ونســأل ربَّ العَــرْش يُعْظِمُ أَجْــرَه وجَبْره في ذا المُصاب الَّذي يُعْمي

كَــذَاكَ بنوه من هُمْ قُــدْوَةُ الوَرَى ومن فضْلُهُم قَدْ أَعْجَزَ الكَيْفَ بالكَمِّ(١)

وَإِنْ خَــصَّــهُــمْ هَذَا المُصَــابُ فَــإِنَّهُ لكُلِّ الوَرَى قَدْ عَمَّ فِي العَرَبِ والعجمِ

وَلَكِنَّمَــا بالمُصْطَفَى يقع اقــتــدا عَلَيْــه صَلاةُ اللهِ مَــا وَابل يهــمي

كَــذَا آله والصَّــحْبُ والحــمْــدُ دائمًــا لِرَبِّي فِي بَدْءِ الكَلامِ وَفِي الخــتْــمِ



(١) الصياغة مضطربة في هذا البيت .

(د) فى « نيل الوطر للعلامة المؤرخ محمد محمد زبارة
القاضى محمد بن على العمرانى الصنعانى [(١)]

القاضي الحافظ الضابط الناقد المحدث الكبير محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمراني الصنعاني مولده مولده سنة ١١٩٤ هـ ، ونشأ بصنعاء فأخذ عن القاضي محمد بن علي الشوكاني في النحو والمعاني والبيان والتفسير والأصول وفي الأمهات الست وفي « نيل الأوطار » ، و« فتح القدير » وأكثر مصنفات الشوكاني ، وأخذ عن السيد الحسن بن يحيى الكبسي والسيد إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد والقاضي عبد الله بن محمد مشحم والقاضي يحيى بن محسن الحبوري وقرأ في الفقه على الفقيه سعيد بن إسماعيل الرشيدي والقاضي محمد بن حسين الويناني وغيرهم .

وقد ترجمه الشجني في « التقصار » فقال :

حافظ الآثار ومسند الأخبار العلامة المجتهد الفهامة المتفرد قرأ على علماء عصره وبرع في كل المعارف لاسيما علوم الحديث ورجاله فإنه فتح عليه في ذلك وصار المشار إليه في معرفة الرجال وأسمائهم وكناهم واختلاف طبقاتهم ومراتبهم وعمن أخذوا ومن أخذ عنهم وكذلك في خفيات علل الحديث ودقائقه فقل أن يشاركه غيره في ذلك ، وبلغ في علوم الآلات مبلغ الكملاء وعرف منها ما يعرفه فحول العلماء من ذوي التحقيق والتدقيق مع فهم كامل وذهن سائل وحافظة أعانته على جميع معارفه معدوداً من الأفراد مع صلابة في

---

(١) ترجمة الحافظ محمد بن علي العمراني الصنعاني في كتاب « نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر » للسيد العلامة المحقق المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة جـ ٢ ص (٢٨٩-٢٩٣) دار العودة ، بيروت .

دينه ومتانة في إيمانه ويقينه واشتغاله بالدرس والتدريس في سائر الفنون وتولَّى بعض أعمال الشريعة بعفاف وقنوع وعدم طمع وهلوع وكان مطرحًا تكاليف أمثاله في ملبوسه وأخلاقه وخلقه لا يلتفت إلى القال والقيل ، ولا يعول على غير الدليل بل ينظر إلى ما قيل لا إلى من قال منذ بلغ مبلغ الرجال ذوي الإنصاف والكمال ... إلخ .

وترجمه شيخه الشوكاني [(١)] فقال :

برع في جميع العلوم الاجتهادية وصار في عداد من يعمل بالدليل وبلغ في المعارف إلى مكان جليل وهو قوي الذهن سريع الفهم جيد الإدراك ثاقب النظر يقل وجود نظيره مع تواضع وإعراض عن الدنيا وعدم اشتغال بما يشتغل به من هو دونه من تحسين الهيئة ولبس ما يُشابه المتظاهرين بالعلم وهو يزداد من المعارف العلمية في كل وقت وكثر اشتغاله بعلم الحديث وبرجاله وبالجملة فهو قليل النظير في مجموعه وكثرة فنونه واتقانه .. إلخ .

وترجمه تلميذه عاكش الضمدي فقال :

خاتمة أهل التحقيق والفائق لأقرانه في أصناف التدقيق له اليد الطولى في جميع الفنون من نحو وصرف ومنطق وأصول وبيان مع إلمام بعلم المعقول ، وأما علم الحديث فهو إمام محرابه والَّذي لا يلحقه فيه قرين من أهل زمنه وأترابه فهو يستحضر رجال الكتب الستة بحيث لا يخفى عليه من أحوالهم خافية غاية الأمر أنه ناظر القدماء في هذا الفن وبلغ رتبة في الحفظ يقصر عنها أهل الزمن اتفقت به في رحلتي إلى صنعاء سنة ١٢٤٣ هـ وقرأت عليه « شرح الغاية » في أصول الفقه من فاتحته إلى خاتمته ، وأخذت عليه في « صحيح مسلم »

---

(١) في « البدر الطالع » (٢/٢١٠) .

و« سنن ابن ماجه » و « مستدرك الحاكم » وغير ذلك ، وكان هو الحاكم في حلقة شيخنا البدر الشوكاني وما تدور مراجعة إلا ويسند بيان إشكالها وإيضاح إبهامها إلى صاحب الترجمة ، وفي آخر المدة وقعت بينهما وحشة كما جرت به العادة بين الأقران وجرت على المترجم له محنة وأودع دار الأدب في صنعاء بسبب تمالؤ الحساد عليه وكاد يعرض على السيف ، وبعد ذلك أُفرج عنه وأزعج عن وطنه وانتهى خروجه إلى زبيد في سنة ١٢٥٠هـ ثمّ هاجر إلى مكة المكرمة ، وأقام بها ثلاث سنين مكبًا على نشر العلم ثم استدعاه الشريف الحسين بن علي بن حيدر إلى حضرته وبنى له بيتًا في مدينة أبي عريش ، وأجرى عليه الكفاية التّامة ، ولبث نحو سنتين ثم ترجح له الانتقال إلى مدينة زبيد ، فأسدى عليه الشريف الحسن الإنعام وقابله بالإجلال والإكرام وبعد استقراره بزبيد اشتغل بالفروع والفقه .. إلخ .

ومن مؤلفات صاحب الترجمة حاشية على سنن ابن ماجه سماها « عجالة ذي الحاجة » وهي حاشية مُفيدة جاء فيها بأسلوب مخترع يورد السند بمتنه ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن والاعتبار ويتكلم على معنى الحديث ، وقد كان جعلها أولاً كالتخريج ثم جاوز ذلك إلى شرح السنن ومن مؤلفاته « التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف » في مجلدين ، وهو مُؤَلَّف جامع حافل يجمع رجال الكتب التي لم يتكلم على أكثر رجالها مثل « حلية أبي نعيم » وغيرها وله مؤلف في التاريخ ترجم فيه علماء عصره ومن شعره قوله :

إذَا متُّ فَادْعوا لي بغُفْرَان زلَّتي ... وَسحُّوا علَى قَبْري سجَالَ التَّرحُّمِ

فَإنِّي لكُمْ مَازِلْتُ أَدْعو مُبَالِغًا ... بِوقْتِ ضِيَاءٍ أَوْ بأَسْودِ مُظْلمِ

وله في حصر من ينسب إليهم التدليس :

إنَّ الَّذين إلَى التَّـدْلِيس قَـدْ نُسِبـوا كَـمَـا حَكَاهُ الإِمَامُ الحَـافِظُ الذَهَبيّ
أَبو الزُّبيرا وحجَّاج٢ مع الحسَنِ البَصْري قَـتَـادَة٤ سُـفْـيَـان٥ العَلي النَّسَب
ويُونُس٦ وحـمـيـد٧ والوَلِيـد٨ مع يَحْيى٩ بقيّة١٠ إسْمَاعيل١١ مَطْلَبي١٢
وزِدْ مُغيرَة ١٣ والنَّهْمي ١٤ وابن أبي نَجِيح١٥ ابن جُـريج شَـامِخَ الرُّتَب
كَـذَا هشـيم١٧ إمـام العلم ابن أبي عُروبة ١٨ الخَيْرَ قَافي هَدْي خير نبي
أبو اليـمَان١٩ سُلَيـمَانَ٢٠ الفَرِيدُ بِمَا أوتِيه مِنْ فَضْلِ جَمْعِ العِلْمِ والأَدَب (١)

وزاد على ذلك تلميذه القاضي محمد بن مهدي الضمدي فقال :

كَـذَاكَ مَكْحُـولٌ فَـاحْـذَرْ تَحِل به وَزِدْ أَبِـي مَـجْلَـز إنْ زِدْتَـه تُـصِـبْ

ولما كان دخول الباطنية من قبائل يام مع الشريف الحسن بن محمد بن علي بن حيدر إلى مدينة زبيد لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي بن حيدر دخل بعض أهل يام على المترجم له إلى بيته وضربه في عنقه بخنجر ، فلبث يومين ومات شهيداً سعيداً في داره بزبيد في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٤ هـ عن سبعين سنة رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين آمين ورثاه تلميذه عاكش الضمدي بقصيدة أولها :

نَعَتْكَ الثَّرَى يَا نَاعِيَ العِلْمِ والحِلْمِ وحَافِظَ شَرْعَ الله في العَرَبِ والعجَمِ

---

(١) أبو الزبير المكي محمد بن مسلم بن تادرس ، ٢ حجَّاج بن أرطأة ٤ قتادة بن دعامة ٥ سفيان الثوري ٦ يونس بن زيد البصري ٧ حميد الطويل ٨ الوليد بن مسلم ٩ يحيى بن أبي كثير ١٠ بقية بن الوليد ١١ إسماعيل بن الوليد ١٢ مطلبي محمد بن يحيى ١٣ مغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي ١٤ النهمي محمد بن إبراهيم ١٥ عبد الملك بن عبد العزيز ١٧ هشيم بن بشير السلمي ١٨ سعيد بن أبي عروبة ١٩ أبو اليمان الحكم بن نافع ٢٠ سليمان الأعمش .

ومنها :

لَقَدْ عَقَمَتْ كُلُّ النِّسَاء عَنْ نَظِيرِه وأَنَّى لَهُ مثل وَقَدْ سَمن بالعقم ؟
فَمَنْ لفنون العلْمِ منْ بَعْد فَقْدِه فهُنَّ لعمر الله قَدْ صِرْنَ في يتم
هو الحافظُ النَّقَّاد من غير ريبة فَمَنْ ذَا يُدانيه إذا خَاضَ في علْم ؟
وَقَدْ زَخَرتْ منهُ علينا معارف بهَا قَدْ علَمْنَا المَدَّ في ذَلكَ اليَمّ
ومَا السُّنَّة الغَرَّاءِ تَعْذلُ إنْ بَكَتْ فَإِنَّ لَهَا منْ عمرهِ أَوفرُ القسم

(هـ) في « الأعلام » (١) للزركلي

محمد العِمراني (٢)

(١١٩٤- ١٢٦٤ هـ - ١٧٨٠ - ١٨٤٨ م)

محمد بن علي بن حسين العمراني الصنعاني : عالم بالحديث ، مؤرخ لعلماء عصره ، ولد وتعلم بصنعاء ، وعظمت مكانته ، فتمالأ عليه الحساد ، فاعتقل ، وكان (كذا ، والصواب : كاد) يعرض على السيف ، ثُمَّ نُفي إلى زبيد سنة ١٢٥٠هـ وهاجر إلى مكة فأقام ثلاث سنوات ، واستدعاه الشريف حسين بن علي بن حيدر صاحب أبي عريش (باليمن) وبالغ في إكرامه ، فمكث نحو سنتين ورحل إلى زبيد ، فلما دخلتها الباطنية هاجم بعضهم داره فقتلوه .

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي ، المجلد السادس (ص٢٩٨) طبع دار العلم للملايين (بيروت–لبنان) الطبعة السادسة (تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٨٤م) .
(٢) كذا ضبطه في « الأعلام » بكسر العين ، وهو خطأ محض .

له « تاريخ – خ » بخطه ، في مكتبة الجامع بصنعاء (١٦٩ ورقة) ترجم فيه علماء عصره و«عجالة ذوي الحاجة» حاشية على سنن ابن ماجه و«التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف » مجلدان في رجال الحديث [١] .

(و) في « أعلام المؤلفين الزيدية » للوجيه [٢]

محمد العمراني

(١١٩٤ هـ - ١٢٦٤ هـ)

محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمراني ، الصنعاني : عالم محدث ، حافظ ، ناقد ، مولده ونشأته بصنعاء ، وأخذ عن علمائها ، وعن الشوكاني في عدة علوم وأكثر مصنفاته حتى برع في المعارف وفاق مُعاصريه في علوم الحديث وعلله ورجاله ، ومال إلى تيار الشوكاني .

قال عاكش الضمدي : بعد أن قرأ عليه « شرح الغاية » في أصول الفقه سنة ١٢٤٣هـ ، وكان هو الحاكم في حلقة شيخنا البدر الشوكاني وما تدور مراجعة إلا ويسند بيان إشكالها وإيضاح إبرامها إلى صاحب الترجمة ، وفي آخر المدة وقعت بينهما وحشة كما جرت العادة بين الأقران ، وجرت على المترجم

---

(١) في حاشية « الأعلام » : « نيل الوطر (٢٨٩/٢) ، والبدر الطالع (٢١٠/٢) وفي مجلة العرب محرم ١٣٩٤ هـ ص (٥٦٨) أن الصحيح في ضبطه فتح العين ، نسبة إلى مدينة عمران في شمالي صنعاء ، وليس من بني العمراني – بالكسر – الذين منهم يحيى بن أبي الخير المترجم في الأعلام فيما بعد ، قلت : ولم يذكر الكاتب مستنده في فتح عين العمراني » أ. هـ بلفظه من الحاشية المذكورة .

(٢) أعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عبد السلام الوجيه (٩٤٨ – ٩٥٠) ، رقم (١٠٢٦) ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م) .

له محنة ، وأودع دار الأدب في صنعاء بسبب تمالؤ الحسَّاد عليه ، وكاد يُعرض على السيف ، وبعد ذلك أُفرج عنه ، وأُزعج عن وطنه .

قلت : وهكذا ما أن يُخالف الشوكاني قاضي القضاة ، والمستشار المؤتمن للمهدي عبد الله الإمام الجائر حتَّى تُعرض للمُخالف محنة فيودع دار الأدب ، ويكاد يُعرض على السيف أو يلقى مصير السماوي ، لكن المترجم محظوظ إذا يُفرج عنه ويزعج عن وطنه ، ويكتفي بخروجه إلى زبيد ، ولكنه لم يأمن ، فهاجر إلى مكَّة ، وأقام بها ثلاث سنوات ، ثم استدعاه الشريف الحسين بن علي بن حيدر إلى أبي عريش ، وبنى له بيتًا ، وعاش سنتين ، ثم عاد إلى زبيد وفي سنة ١٢٦٤هـ ، دخلت قبائل يام مع الشريف الحسن بن محمد بن حيدر لاستخلاص عمه الشريف الحسين بن علي بن حيدر ودخل بعض أهالي يام على المُترجم له في بيته وضربه أحدهم في عنقه بخنجر لبث بعده يومين ، ومات بداره في زبيد في شهر جمادى الأولى ، وقد سرد في كتابه «اتحاف النبيه» بعض الَّذي جرى بينه وبين شيخه الشوكاني ، فأدَّى إلى مأساته ووصف تعسف الشوكاني وبعض سيرته ومواقفه التي أنكرها .

● **ومن مؤلفاته :**

١ - أبيات في حصر المدلسين ، نشرها زبارة في « نيل الوطر » .

٢ - « تاريخ العمراني تاريخ وتراجم » ، قال الحبشي : - خ - بقلم المؤلف سنة ١٢٥٥هـ ، جامع الغربية ، ٣٧ « تاريخ » ولعله الآتي .

٣ - « خبر اتحاف النبيه بتاريخ القاسم بن محمد المنصور وبنيه وما نشأ عند بلوغ تناهيه » - خ - رقم (٧٧ ، ٨٨) « تاريخ » أخرى بمكتبة المؤرخ زبارة ، ونسخة بمكتبة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حفيد

المترجم في (٣٣٧) صفحة ، عليها خط الإمام يحيى وابنه محمد ، وملاحظات حفيده المؤلف مصورة بمكتبة السيد محمد بن يحيى المطهر، وهي في التاريخ التزم فيه السجع ، وهاجم الشوكاني ، وبيّن مثالبه ، ولعل هذا سبب في عدم نشر الكتاب إلى اليوم .

٤ - « التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف » ، قال الحسيني : يجمع رجال الكتب الَّتي لم يتكلم على أكثر رجالها مثل « حلية الأولياء » وغيره ، وهو في مجلدين .

٥ - « عجالة ذوي الحاجة في شرح سنن ابن ماجه » يقول زبارة : حاشية مُفيدة ، جاء فيها بأسلوب مخترع ، فهو يورد السند بمتنه ، ويتكلم على رجال السند بما قيل فيهم ، ويجمع الطرق الشاهدة لذلك المتن .

٦ - « عجالة النظر في مسألة القضاء والقدر » - خ - قال الحبشي : جامع الغربية ٧ مجاميع ، أخرى بمكتبة الحبشي في (٢٨) ورقة ، بخط المؤلف .

٧ - « فقه الحديث » (فهرس الفهارس ٢٠٨/٢ - ٢٠٩) .

• **المصادر** : مصادر الحبشي (٧٢ ، ١٤٢ ، ٤٥٥) ، والبدر الطالع (٢١٠/٢) ، ونيل الوطر (٢٨٩/٢) التقصار في جيد زمن علامة الأمصار سيرة الشوكاني - خ - ، فهرس الغربية (٦٦٢) ، نفحات ولفحات للشامي ، مؤلفات الزيدية (٢٣٣/١ ، ٢٩٤ ، ٢٥٥/٢) ، معجم المؤلفين (٣١٩/١٠) الأعلام (١٩١/٧) ، فهرس الفهارس (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) ، والموسوعة اليمنية (٨٢٩/٢) اتحاف النبيه - خ - للمترجم .

﴿٢﴾ ترجمة القاضي العلامة حسين بن محمد العمراني في «أئمة اليمن»

للعلامة المؤرخ زبارة حسين العمراني الصنعاني [١]

وفيها (أي سنة ١٣٢٣هـ) تقريباً مات بصنعاء القاضي العلامة الحسين بن محمد بن علي العمراني الصنعاني أخذ عن أبيه الحافظ الكبير الشهير ، وعن أخيه محمد بن محمد وأخيه عبد الرحمن بن محمد وغيرهم ، وتولى القضاء ببلاد حجة مدة ، ثم عاد في آخر أعوامه إلى صنعاء ومات بها ، وهو أصغر أولاد أبيه رحمه الله .



---

(١) أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة « سيرة الفائح الشهير » : للعلامة المؤرخ محمد بن محمد زبارة (ص٧٠) .

﴿٣﴾ ترجمة القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد العمراني

(أ) في « نيل الوطر » للعلامة المؤرخ محمد زبارة

عبد الرحمن بن محمد العمراني الصنعاني وعمه أحمد[1] :

القاضي الحافظ المحدث التقي عبد الرحمن بن محمد بن علي بن حسين ابن صالح بن شايع العمراني الصنعاني ، أخذ عن والده المحقق محمد بن علي وأسمع على القاضي محمد بن علي الشوكاني في « صحيح البخاري » وغيره وأخذ عن السيد محمد بن عبد الرب بن محمد بن زيد بن المتوكل « شرح العمدة » لابن دقيق العيد ، و« شرح القلائد » للنجري ، واستجاز منه ، وأخذ عن القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي نزيل قرية القابل المتوفي سنة ١٢٥٣هـ «شرح الناظري في الفرائض» ، وأخذ عن السيد يحيى بن المطهر بن إسماعيل في « سنن ابن ماجه » وعن السيد الطاهر بن أحمد الأنباري الزبيدي في «شرح الزبد» و « شرح ابن زياد » و « الخبيصي » وعن السيد علي بن إسماعيل بن يحيى بن محسن بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم «المناهل» و « الشرح الصغير » و « حاشية الشيخ لطف الله » و« الجامي » وحواشيه ، وعن الفقيه محسن بن حسين الطويل « المناهل » وعن السيد علي ابن أحمد بن حسن الظفري « سنن ابن ماجه » و« سيرة ابن هشام » و « سبل السلام » و « نخبة الفكر » و « التنقيح » ، وعن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل « صحيح البخاري » وأوائل الأمهات والمجاميع ، وعن الفقيه

---

(١) ترجمة العلامة عبد الرحمن بن محمد العمراني الصنعاني وعمه أحمد في كتاب «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر » للسيد العلامة المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة جـ٢ ص (٣٨- ٣٩) دار العودة - بيروت .

محمد بن مهدي الضمدي « الغاية في أصول الفقه » و « شرح الأزهار ، و«المناهل» و« رسالة الوضع وآداب البحث » وغير ذلك ، وأخذ عن الفقيه إسماعيل بن حسن بن حسن العلفي في « شرح الرضى على الكافية » وفي «المناهل» وفي « الشرح الصغير » وفي العروض ، وعن السيد أحمد بن زيد الكبسي في « شرح الغاية » و« شرح الشافية » ، ومن مشايخ المترجم له عمه أحمد بن علي العمراني المتوفى سنة ١٢٧١هـ، فإنه أخذ عليه «شرح الكافل» في أصول الفقه وقال في أثناء ترجمته له : عمي أحمد العالم الأثري كان سريع البادرة قوي الإدراك حاضر الجواب حسن المحاضرة استفاد من أبي كثيراً وقرأت عليه وانتفعت به . انتهى .

وبالجملة فصاحب الترجمة كان من أكابر علماء وحفاظ عصره وله مؤلفات منها « مختصر السيل الجرار » للشوكاني اقتصر فيه على ذكر الدليل على مسائل « الأزهار » والكلام المقبول فقط ، ومنها شرح في كراريس على نظم السيد محمد بن إبراهيم ابن المفضل الشامي « لورقات الجويني » ، ووجدت بخط المترجم له ما يُفيد أنه كان على قيد الحياة في شعبان سنة ١٢٧٢ هـ ولعل وفاته في آخر ذلك أو في سنة ١٢٧٣ هـ رحمه الله وإيانا والمؤمنين ، آمين .



(ب) فى « أعلام المؤلفين الزيدية » للوجيه [1]

عبد الرحمن العمرانى

(١٢٧٣ هـ)

عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني ، عالم محدث تقي ، أخذ عن عدد من مشاهير علماء عصره حتّى أصبح من العلماء المحققين ، وقد عدد زبارة مشائخه ، وقال : وجدت بخط المترجم له ما يُفيد أنَّه كان على قيد الحياة في شعبان سنة ١٢٧٢ هـ ولعل وفاته في آخر ذلك العام أو في سنة ١٢٧٣هـ .

• ومن مؤلفاته :

١ - « سلك اللآلئ المنتسقات شرح نظم الورقات » شرح فيه نظم الورقات في أصول الفقه لمحمد بن إبراهيم المفضل - خ - بقلم المؤلف من ورقة (٩) إلى (٥٨) برقم (١٥٣٢) مكتبة الأوقاف ، وقال الحبشي : وعليه شرح لأحمد بن إسماعيل العلفي بعنوان الجواهر المعتنقات لنظم اللآلئ المنتسقات - خ - بمكتبة خاصة .

٢ - « مختصر السيل الجرار للشوكاني » اقتصر فيه على ذكر الدَّليل على مسائل الأزهار والكلام المقبول فقط ، كما قال زبارة في نيل الوطر .

• **المصادر** : مصادر الحبشي (١٦٦ ، ٢٤٥) ، ونيل الوطر (٣٨/٢ - ٣٩) فهرس الوقاف (٨١٩) ، ومؤلفات الزيدية (١٩٨/٢) (٢٠٣٠) ، (٤٤٢/٢) (٢٧٧٣) معجم المؤلفين (١٨٥/٥) .

---

(١) أعلام المؤلفين الزيدية : عبد السلام بن عباس الوجيه (٥٤٤) رقم (٥٤١) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) .

﴿ ٤ ﴾ ترجمة القاضي العلامة محمد العمراني

(أ) في « أئمة اليمن » للعلامة المؤرخ زبارة

أبو الدرداء محمد بن محمد العمراني الصنعاني

القاضي الحافظ الضابط الرحالة الشهير الكبير بقية أهل السند العالي وخاتمة من استفاد من رحلته ما قدمه على أرباب العلوم والمعالي محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمراني الصنعاني .

وكناه والده أبو الدرداء [(١)] ، مولده تقريبًا سنة ١٢٢٠ هـ عشرين ومائتين وألف ، ونشأ بحجر والده وتخرج به وأخذ عن « صحيح البخاري » و « مسلم » و« السنن الأربع » و« سنن الدار قطني » و« الموطأ » و« مسند أحمد بن حنبل» و« الدارمي» و« مستدرك الحاكم » و« الكشاف وحواشيه » و«تفسير الخازن » و« المطول وحواشيه » و« العضد وحواشيه » و« شرح الرضى» وفي «شرح المحلى» لابن حزم وفي « القاموس » و«الصحاح» و« شرح التقريب » للعراقي و« سيرة المؤرخ الشامي » وغيرها ، وعن القاضي محمد بن علي الشوكاني جميع « صحيح البخاري» و« صحيح مسلم » وبعض المسلسلات وأجازه إجازة عامة ، وأجازه أيضًا السيد عبد الله بن محمد الأمير ، وأخذ عن السيد علي بن أحمد بن حسن الظفري « سبل السلام » و« العدة » و« المناوي على الجامع الصغير » و« المطول » وفي « شرح العضد » وعن القاضي محمد مهدي الضمدي « شرح الأزهار » وجميع « بيان ابن مظفر » و « شرح الغاية» و« حاشية سيلان » ، وعن السيد محمد بن محمد الكبسي « الكاشف » ، عن السيد علي بن إسماعيل بن زيد بن زيد الكبسي « شرح العمدة » وفي « البحر

---

(١) هكذا والأصح « أبا الدرداء » ويمكن حمله على الحكاية .

الزخار » وأخذ عن السيد يحيى بن المطهر وعن السيد حسين البغدادي وأسمع المسلسلات وهو دون البلوغ بصنعاء على الشيخ محمد عابد السندي ثم لازمه بمكة وأخذ عنه الأمهات وغيرها واستجاز منه ، وأسمع بزبيد على السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل والسيد طاهر بن أحمد الأنباري والقاضي إبراهيم بن محمد المزجاجي والشيخ محمد عبد اللطيف المشرع والشيخ عباس بن محمد السالمي والشيخ سليمان خليل الزبيدي في الأمهات وكتب التفسير والآلة والأصول والزهد والطب ، وبعد استشهاد ولاده بمدينة زبيد في سنة ١٢٦٤هـ ، انتقل صاحب الترجمة إلى مكَّة فأخذ بها عن الشيخ عبد الله سراج والشيخ إبراهيم الصمياطي والشيخ يوسف مساوي في كتب الحديث والتفسير ، و«كشف الغمة» للشعراني ، وقد كان جاور مكَّة مع والده ثلاث سنين ، وعلى الجملة فإن صاحب الترجمة جدَّ واجتهد في طلب العلوم وقام وقعد في تحقيق حدودها والرسوم حتَّى برع في جميع الفنون وكان خاتمة أهل السند العالي لعلم الرواية في عصره باليمن الميمون ، ومن أجل من أخذ عنه واستجاز منه إمام القراء السيد علي بن أحمد الشرفي الحسني الصنعاني ومحمد بن عبد الملك الآنسي وشيخنا السيد علي بن أحمد السدمي الروضي والقاضي الحسن بن الحسن الأكوع والسيد عبد الله المجاهد وغيرهم ، وتولَّى أوقاف مدينة ثلا مدة ثم الأوقاف الخارجية بصنعاء ، وكان يحضر مجلس الإدارة في يومي انعقاده من كل أسبوع كما كانت العادة في أعوام الحكومة التركية بصنعاء بحضور ناظر الأوقاف الخارجية ، ومجلس الإدارة مع سائر الأعضاء فيه ، ولما طلب منه تلميذه القاضي محمد بن عبد الملك الإجازة أجازه في محرم سنة ١٢٩٦هـ إجازة مطوّلة ، وكتب معها هذه الأبيات :

أُهْدي إلَيْكَ سَــلامًــا ... يُـعَـطِّـرُ الـكَـوْنَ نَـشْـرُه
ولَمْ يزلْ مُـسْـتَـجـدًا ... عَلَى الأصَـائِلِ بِشْـرُه
أَذكَى مِّنَ المِسْكِ عُـرْفًـا ... قَـدْ زَيَّنَ الـدَّهْـرَ زهـرُه
يَعْـلُو عَلَى كُلِّ فَـرْدٍ ... ودَادَه بَـلْ وَقَـدْرُه
رَايَاتُهُ خَـافِـقَـات ... ونَـظْـمُـهُ زَانَ دُرَه
أَوْدَعْـتُـهُ صِـدْقَ وُدِّي ... يُنْبِـيكَ عَنْ ذَاكَ نَثْـرُه
فَـاسْلَمْ لَكَ الخَـيْـرُ يَسْعَى ... فِي مَـوْقِفٍ أَنْتَ بَدْرُه

فأجاب عليه القاضي محمد قبل أن يتحقق أن روي أبيات شيخه مضمومة بقوله :

أَهْدَيْتَ لِي يَا إمَـامًـا ... مَـا جَـاوَزَ النَّجْمَ قَـدْرُه
مِنْ بَحْـرِ نَظْـمِكَ دُرًّا ... لا يُـدْرِكُ النَّاس سِـرُّه
أَنَّى وَكَـيْـفَ ومَن ذَا ... يَدْرِي مِنَ اليَمِّ قَـعْـرُه
تَرَكْتَ ربَّ القَـوَافي ... فِـي سَكْـرَةٍ ثُمَّ فِكْـرُه
فَـمَـا أَرَى صَـرَّ دُر ... لَدَيْكَ قَـدْ صَـارَ دُرُّه
والمهق الفَرد قَـدْ جَـا ... وخَـطُّـهُ قَـدْ زَانَ سَطْرُه
ولَمْ يَدَعْ لِي مُـرَادَا ... إلا ووفَـاهُ ذِكْـرُه
ومَـا حَوَى مِنْ مَـدِيحي ... فَـلَـسْـتَ أَهْـلاً لِـذرُه
ثُمَّ السَّـلامُ عَلَيْكُمْ ... أَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ نَضْـرُه
مَـا جَرَى فِي الأَرْضِ نَهْـرٌ ... ومَـا عَلَى الأَرْضِ خَضْـرُه
واعْـذُرْ فَـدَيْتُكَ إنِّي ... قَـابَلْتُ دُرًّا بِبَعْـرُه
واسْبل لَكَ الفَضْلَ سِتْرًا ... بيـوت نَظْمِي عَـوْرُه

ثم كتب القاضي محمد بن عبد الملك في سلخ صفر سنة ١٣٠١هـ إلى شيخه المترجم له هذه الأبيات يطلب إسعاده لسماع « موطأ مالك » برواية يحيى بن يحيى ، و« سنن ابن ماجه » :

سقي سُحُب الرِّضا دَهْراً حَبَاني ... وِصَالَ أَحِبَّتي فَلَبَسْتُ تاجَهُ
وكُنْتُ أَنا النَّديمُ لأهْلِ ودِّي ... أَقْضي مِنْ منائي كل حاجه
وأَحْلَى مَسْمَعي درراً وأَجْلَى ... بوجْهِ البَدْرِ عَنْ عَيْني عَجَاجه
ومَا أَعْني سِوَى بَدْرِ المعَالي ... قَرينَ السَّعْدِ مَحمود اللجاجه
رَضِيعُ العِلْمِ والتَّقْوى صَغيراً ... ومُذْ كفلاهُ قَدْ صارَا مزاجه
ومولّى المكرمات فَغَير بدع ... إذَا أَبْدَتْ به العَليا نفَاجه[1]
أَبِنْ لِي أَيُّهَا المَوْلَى أَيَقْضي ... لَنَا الدَّهر الَّذي أَبْدَى اعوجاجه
بجَمعِ الشَّمْلِ والمَقْصودُ وَقْت ... لإمْلاء الموطَأ وابن ماجه
ونجني زهْرَ روضِ العِلْمِ غَضًّا ... ونَسْلكُ في الحديث به فجاجه
ونحيى لِلُقَا بيْتًا قَديمًا ... ونُوسِّعُ مِنْ تَنَائينا شجَاجه
فَهَبْ لِي مِنْكَ في الأسبوعِ يَوْمًا ... يُديرُ الأُنْسَ فِيهِ لَنَا زجاجه

فكان تعيين صاحب الترجمة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع لدرس «الموطأ» وبعد إكماله شرعًا في درس « سنن ابن ماجه » حتى عاق حِمَام المترجم له عن إتمام درسها فمات ليلة الأربعاء عشرين من شعبان سنة ١٣٠٢هـ عن اثنتين وثمانين من مولده تقريبًا ، وقبر في السعدي جنوبي مدينة صنعاء ، وقد رثاه تلميذه محمد بن عبد الملك مع السيد محمد بن علي

(١) الكبر .

الأمير المتوفى قبله بأربعة أيام بقوله :

أَتَبْدو النجـــومُ الزَّاهرات اللَّوامعِ | وَيَنْشَقُّ مَعْروفٌ من الفَجْرِ صَادِعُ

وَثَبتْ أَفْـــلاكُ المظلَّة في الهـــوا | وَتَبْـقَى عَلَى ظَهْـرِ البِـلادِ المَوَاضِعُ

وَهَذي نجُومُ الأَرْضِ في التُرابِ غييبت | وأَلْقَتْ عَـصَـاهَا عَنْ لِقَـاهَا المَطَامِعُ

زُريدك يَا ريبَ المَنون أَخَــذْتَ مَن | لِمَوْتِهِم تَغْـشَى البِـــلادَ الزَّعَــازِعُ

سُـمي رَسولُالله نَجْلَ ابن يوسف ال | أَمِــيــرِ عَلَى نَهجِ الهُـدَى وَهو يَافِعُ

وأُسْتَـاذنا قُطبُ الرَّشَـاد ومُـسْنَدُ ال | بِلادِ فَــدَعْ مَـــا يدعـيـــه المُنَازِعُ

خَليـلان في ورد الحـمـام تَسَرَّعَــا | كَـمَـا كَـانَا كُلٌّ في المَرَاضي يُسَارِعُ

وبَدرا هُدَى غَــابا عَلَيْنَا وأَشْــرَقَتْ | بنورهمـــا في الجنَّتَـيْـن مَطَالِعُ

وكَــانَا عَلَى هَدْي النَّبي يُحَــافِظَا | فَـقَـدْ لحقُـوه في المَمَـات وتَابَعُوا

لِيَبْكِهِمُ العِلْمُ الشَّرِيف مَعَ التُّقَى | وَيَنْدبهم قُـــرآننا والجَـــوامِعُ

أَتَى المَوتُ أَحْبَابي فَمَنْ لي بمثْلهم | إذا جَـمَـعْـتَنَا يا ابنودي المَجَـامِعُ

وَلَكِن رَضِـينا بالقَـضَـاء وهلْ ترى | فَتىً سَالَمَتْهُ في الحَيَاة الفَجَائِعُ

وقَـــدْ نادَتْ الدُّنْيَـــا عَلَيْنا بأَنَّهــا | لَنَا ولخَلق الله طرا مـــصَـــارِعُ

وَهَلْ نَحْنُ إلاَّ كَــالوَدائِعِ عِنْدَهَا | ولابُدَّ يَومًـــا أَنْ تُرَدُّ الودَائِعُ

ومــا هي إلا الماءُ والنَّاسُ فَــوقَـــه | حَبَـاب وعَنْ قُـربٍ تَزُولُ الفَـقَـاقِعُ

فَـصَـبْـرًا عَلَى الخطْب المُلمِّ فَـهَـذه | الطَّرِيقَـةُ فيـهَـا للجَـمِيعِ مَشَـارِعُ

ولله مَـا هَذي السَّعَـادَة قَـد حَـوَى | مُـحَـمَّـد الشَّاب التَّقيّ المُتَواضِعُ

غَريق ومَاش نَحْو مَسْجد جُمْعَة | وطَالبَ علمٍ والتَّخَبُّطُ رابعٌ (١)

وحَــافظ قُــرآنَ عَلَى ظَهْـرِ قَلْبِــه | وَصَـــائمُ نَفْلٍ في الإثَابَة طَامِعُ

---

(١) التخبط : داء الصَّرع .

عَلَى هَذِه لاقَى الحـمَـامُ عنَايَةً | به مِنْ إلهــمـا لإعْطَائه مَـانع
وواحــــدة مِـن هَـذه تـرقَى بـه | وقَـدْ جَاءَ فيهَا مَا حَوتْه الجَوامعُ
وأُسْتَـاذُنَا مَـازَال يَدْأَبُ عُـمْـره | لنشْـرِ علُومٍ تحْـتَسيهـا المسَامعُ
ثوَى في زبيــــد برهَةً وبمكَّة | زمَـانًا وفي صَنْعَـاءَ لَدَى العلْمُ تابعُ
وإنْ رمَـقتْ عَـيْنَاكَ بعض صـلاته | وإخْـبَاته سَبَّحَت والشيخ راكعُ
فَـقَـدْ ثلم الإسـلام حَـقّاً بمـوْته | وجـدع عَـرنين المكارم جـادعُ
عَلَى مثلِ هذَين الفَـقيـدَين فَلْتنح | طوال المَرَاثي والطيـور السـواجعُ
وقـد نظَم الأعـلامُ فـيـهم مَـراثيًـا | حكَتْ نثْرَ عقد الشُّهُبِ وهي البدائعُ
فَحَرَّكَ منِّي نَظْمُـهَـا كَامنَ الأَسى | وقَـدْ رَقَّ لي هَذَا الروي المُضَارعُ[(١)]
ويأرب زر قـبـر الفـقـيـدين بالرضـا | لتمْسي به الأَجْدَاث نعْمَ المضاجعُ
وجُد لي بحُسْنِ الختَام فَضلاً فإنَّ لي | ذنوبًا ومَـا لي غَـيْـرَ فَـقْـري شَافعُ
وصَلِ عَلَى طَه الرَّسـول وآله | وأَصْحَابه مَادام في الأَرضِ صانعُ

وأنبل أهل هذا البيت في عـامنا سنة [(٢)] ١٣٦١هـ طالب العلم النقي الذكي الألمعي محمد بن إسماعيل بن محمد بن علي العمراني ، مولده في ربيع الأول سنة سنة ١٣٤٠ هـ .

(عمران)

والعمراني نسبة إلى بلاد عمران بفتح العين المهملة [(٣)] على مسافة مرحلة شمالاً من صنعاء .

---

(١) أي المشابه .

(٢) قال القاضي العمراني في تعليقه على هذا الموضوع من نسخته : « وعمري (٢١) عامًا ، وكنت في هذا العام أقرأ في « شرح الغاية » وفي « الكشاف » و « البحر » و « الروض النضير » و « نيل الأوطار » و« سنن النسائي » .

(٣) قال القاضي محمد بن إسماعيل العمراني تعليقًا على هذا : « هذا هو الواقع ، وهو المطابق لما ذكره المؤرخ محمد بن علي العمراني في « تاريخه » ، وقد كان شيخ شيوخنا المولى الحسين بن علي العمري يقول : « إنه العِمراني » بكسر العين ، والصحيح هو الأول (أي الفتح) » ا. هـ. بخطه .

(ب) فى « نزهة النظر » للعلامة المؤرخ زبارة
القاضى العلامة محمد بن محمد بن على العمرانى [(١)]
(وهو جد القاضى محمد بن إسماعيل العمرانى)

القاضي العلامة الحافظ الضابط الرحالة المسند محمد بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شائع العمراني اليمني الصنعاني ، مولده تقريبًا سنة ١٢٢٠هـ ونشأ في حجر والده الحافظ الكبير محمد بن علي وأخذ عنه «صحيح مسلم » و« سنن أبي داود » و« سنن الترمذي » و« سنن ابن ماجه » و« موطأ مالك » و«مسند الدارمي» و« مسند أحمد بن حنبل » و« سنن الدارقطني» و« مستدرك الحاكم » و« الكشاف » وحواشيه ، وغير ذلك ، وأخذ عن شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني بعض مؤلفاته والمسلسلات بالأولية وبالفقهاء وبالمصافحة وبالمحبة وأوائل الأمهات وجميع «صحيح البخاري» و« صحيح مسلم » .

وأجازه إجازة عامة وألبسه خرقة الصوفية السيد العلامة عبد الله بن محمد بن إسماعيل الأمير وأخذ عن السيد علي بن أحمد الظفري وعن القاضي الحافظ محمد بن مهدي الضمدي وعن السيد الكبير أحمد بن زيد الكبسي وعن غير هؤلاء ، ورحل مع والده إلى مدينة زبيد وأخذ عن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ وأخذ عن السيد الطاهر بن أحمد الأنباري الزبيدي وعن مُفتي الحنفية بزبيد العلامة إبراهيم بن محمد المزجاجي وعن غير هؤلاء .

---

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي العمراني جد القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في كتاب « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر » للسيد العلامة المحقق المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة جـ٢ ص (٥٨٠ - ٥٨٢) الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

وبعد استشهاد والده الحافظ محمد بن علي العمراني سنة ١٢٦٤ هـ بمدينة زبيد عندما دخلت إليها قبائل يام ، رحل صاحب الترجمة إلى مكة المكرمة وأسمع بها على الشيخ العلامة عبد الله سراج المكي وعلى الشيخ إبراهيم الصمباطي ، وكان قد جاور مع والده بمكّة سابقًا ثلاث سنين وأخذ عن الشيخ محمد عابد السندي في سنة ١٢٥٦ هـ ، وبالجملة فإن صاحب التَّرجمة جد واجتهد في طلب العلم وحقق ودقق مفوهمها ومنطوقها ، وقد تتلمذ له وأخذ عنه بعد رجوعه إلى صنعاء جماعة من أكابر علماء القرن الرابع عشر .

وممن أخذ عنه السيد العلامة علي بن أحمد الشرفي والقاضي الحافظ محمد بن عبد الملك الأنسي والقاضي الحسن بن حسن الأكوع والقاضي إسحاق بن عبد الله المجاهد ، وقد تولّى أوقاف مدينة ثلا مدة من الزمن ثم نظارة الأوقاف الخارجية ، وكان عالمًا عاملاً ورعًا تقيّاً فاضلاً وقوراً حسن الأخلاق والسيرة ، وقد أجاز تلميذه السيد علي بن أحمد الشرفي إجازة مُطوّلة في شعبان سنة ١٢٩٣هـ وأجاز تلميذه القاضي محمد بن عبد الملك الأنسي في محرم سنة ١٢٩٦هـ .

وكتب إلى تلميذه المذكور مع الإجازة هذه الأبيات :

أُهْدي إِلَيْكَ سَلامًا ... يُعَطِّرُ الكَوْنَ نَشْره
وَلَمْ يزَلْ مُسْتَجداً ... عَلَى الأصَائِلِ بشره
أَذكَى مِّنَ المِسْك عُرْفًا ... قَدْ زيَّنَ الدَّهْرَ زهره
يَعْلو عَلَى كُلّ فَرْدٍ ... وداده بَلْ وَقْدره
رَايَاتُه خَافِقَات ... ونَظْمُهُ زَانَ دَره
أَوْدَعْتُه صِدْقَ وِدِّي ... يُنْبِيك عَنْ ذَاكَ نَثْره
فَاسْلَمْ لَكَ الخَيْرَ يَسْعَى ... في مَوقِفٍ أَنْتَ بَدره

وبعده نثر لطيف ، فأجاب القاضي محمد - رحمه الله - ارتجالاً قبل أن يتحقق أن أبيات شيخه مضمومة الراء ، فقال :

أَهْدَيْتَ لِي يَا إِمَامًا ... مَا جَاوَزَ النَّجْمَ قَدْرُهُ
مِنْ بَحْرِ نَظْمِكَ دُرًّا ... لا يُدْرِكُ النَّاسُ سِرَّهُ
أَنَّى وَكَيْفَ وَمَنْ ذَا ... يَدْرِي مِنَ اليَمِّ قَعْرُهُ
تَرَكْتَ رب القوافي ... فِي سَكْرَةٍ ثُمَّ فِكْرُهُ
فَمَا أَرَى صر در ... لَدَيْكَ قَدْ صَرَّ دره
والمهق الفرد قد جا ... وخَطُّهُ قَدْ زَانَ سَطْرُهُ
وَلَمْ يَدَعْ لِي مُرادا ... إلا ووفاه ذِكْرُهُ
ومَا حوى من مَديحي ... فَلَسْتَ أَهْلاً لِذره
ثُمَّ السَّلامُ عَلَيْكُمْ ... أَبْهَى مِنَ الرَّوضِ نضره
مَا جَرَى فِي الأَرْضِ نَهْرٌ ... وَمَا عَلَى الأَرْضِ خضره
واعْذرْ فَدَيْتُكَ إِنِّي ... قابلت دُرًّا ببعره
واسْبل لَكَ الفَضْلَ سِتْرًا ... بيوت نَظْمِي عوره

وكتب القاضي محمد في سلخ صفر سنة ١٣٠١هـ إلى شيخه صاحب الترجمة هذه الأبيات يطلب منه سماع موطأ مالك برواية يحيى بن يحيى وسنن ابن ماجه :

سقي سُحُبُ الرِّضا دَهْرًا حَبَانِي ... وِصَالَ أَحِبَّتِي فَلَبَسْتُ تَاجَه
وَكُنْتُ أَنا النَّدِيمُ لأَهْلِ وِدِّي ... أَقْضِي مِنْ منائي كل حاجه
وَأَحْلَى مَسْمَعِي دررًا وَأَجْلَى ... بِوَجْهِ البَدْرِ عَنْ عَيْنِي عَجَاجَه

وَمَا أَعْنِي سِوَى بَدْرِ المعَالي ... قَرِينَ السَّعْدِ مَحمود اللجاجه
رَضِيعُ العِلْمِ والتَّقْوى صَغِيراً ... ومُذْ كفلاهُ قَدْ صَارَا مزاجه
ومولِّى المكرمات فَغَير بدع ... إذَا أَبْدَتْ به العَليا نفَاجه
أَبنْ لِي أيُّهَا المَوْلَى أَيَقْضي ... لَنَا الدَّهر الَّذي أَبْدَى اعوجاجه
بجَمعِ الشَّمْلِ والمَقْصودُ وَقْت ... لإمْلاءِ الموطأ وابن ماجه
ونَجْنِي زَهْرَ رَوضَ العِلْمِ غَضًّا ... ونَسْلُك في الحديث به فجاجه
ونحيى لِلُقَا بَيْتًا قَديمًا ... ونُوسِّعُ مِنْ تَنَائينا شجَاجه
فَهَبْ لِي مِنْكَ في الأسبوعِ يَوْمًا ... يُدير الأُنْس فِيه لَنَا زجاجه

فكان يتعين صاحب الترجمة بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع لدرس الموطأ ، وبعد إكماله كان الشروع في درس سنن ابن ماجه ، حتَّى عاق صاحب الترجمة الحِمام عن إتمامه ، وكانت وفاته بصنعاء في شعبان سنة ١٣٠٢هـ عن نيف وثمانين سنة وقُبر في مقبرة السعدي جنوب مدينة صنعاء .



(جـ) في «تحفة الإخوان» للقاضي العلامة عبد الله عبد الكريم الجرافي

القاضي العلامة محمد بن محمد العمراني [(١)]

هو القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شايع العمراني الصنعاني ، مولده بصنعاء ونشأ بها وأخذ عن شيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني ، والسيد العلامة أحمد بن زيد الكبسي ، وعن والده القاضي العلامة الحافظ محمد بن علي العمراني ، وعن صنوه القاضي عبد الرحمن بن محمد .

وأخذ عنه جماعة من أهل العلم ، منهم القاضي العلامة محمد بن عبد الملك الأنسي ، والعلامة سحاق بن عبد الله المجاهد ، وتُوفي في شعبان سنة ١٣٠٢هـ ، وخلف القاضي إسماعيل بن محمد ، تولَّى بعض أعمال الوقف ، وكان مشكوراً حتَّى مات وخلف ولدين صالحين محمداً [(٢)] وهو الأصغر وهو مقبل على القراءة بذهن سابق وحافظة ، وصنوه عبد الرحمن [(٣)] أكبر منه وهو من الموظفين بوزارة المواصلات والصحة .



(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن محمد العمراني في كتاب « تحفة الأخوان بحلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولى شيخ الإسلام المعمر الحسين بن علي العمري » تأليف القاضي العلامة فخر الدين عبد الله عبد الكريم الجرافي (ص٣٠ - ٣١) حاشية (٢).

(٢) وهو شيخنا القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - .

(٣) وقد توفي في مدينة تعز سنة ١٤١٦ هـ - رحمه الله - .

﴿ ٥ ﴾ ترجمة القاضي العلامة
إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني [١]
(والد شيخنا القاضي محمد بن إسماعيل العمراني)

هو القاضي العالم الفاضل إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني ولد تقريبًا سنة ١٢٨٥هـ ، وأخذ عن أبيه بعض مبادئ العلوم العربية والفقهية في آخر عمر والده ، إذ توفي والده سنة ١٣٠٢ هـ ، والمترجم له لم يتجاوز عمره السابعة عشر ، كما أخذ عن القاضي العلامة علي بن حسين المغربي - رحمه الله - ، وعن غيره من علماء صنعاء في ذلك العصر ، وتولّى بعض الأعمال المتعلقة بالأوقاف والوصايا ، وكان فاضلاً ورعًا تقياً يُحبه الصغير والكبير ، وكان محل احترام وتقدير عند جميع من عرفه أو جاوره أو زامله في العمل ، كما كان في بعض الأحيان يقضي بين من يتراضى على الحضور لديه لحل النزاع وقطع الشجار أو قسمة بعض التركات ، وخلف من الأولاد الذكور ولدين ، أحدهما : عبد الرحمن وهو الكبير ، والثاني : محمد وهو الصغير ، وكان ولده عبد الرحمن قاضيًا عالمًا أديبًا مُثقفا ، لكنه لم يبلغ من العلم مثل أخيه محمد .

وقد عمل في عدة وظائف منها كاتبًا في الديوان الملكي للإمام أحمد في تعز أيام الملكية ، وعضواً في المحكمة الشرعية الاستئنافية بمحافظة تعز في العصر الجمهوري ، وتوفي - رحمه الله - في ربيع الثاني سنة ١٤١٦ هـ ، وكان موت القاضي إسماعيل - رحمه الله - في سنة ١٣٤٤ هـ عن عمر يقرب من الستين ، وعمر ولده القاضي محمد بن إسماعيل العمراني حينئذ أربع سنوات .

---

(١) كتب هذه الترجمة شيخي القاضي محمد بن إسماعيل العمراني - حفظه الله - بطلب مني ، فجزاه الله خيراً .

﴿ ٦ ﴾ ترجمة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني

(أ) في « نزهة النظر » للعلامة محمد زبارة

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني [١] :

القاضي العلامة محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني مولده بصنعاء سنة ١٣٤٠هـ وطلب العلم في النحو والأصول والفقه والحديث ، وأخذ عن السيد عبد الخالق بن حسين الأمير والقاضي عبد الله بن محمد السرحي والقاضي حسن بن علي بن حسين المغربي ، وعن كاتب الأحرف [٢] في سنن النسائي وغيرها [٣] ، وجدَّ في سماع كتب الحديث، وهو حسن الحفظ قوي الذاكرة جميل الخط حسن الإملاء ، وقد قام بالتدريس في كتب الحديث بمسجد الفليحي [٤] ، وصنوه عبد الرحمن [٥] من الأدباء النبهاء وهو من الموظفين بمدينة تعز ، ووالدهما القاضي إسماعيل كان قائمًا على وصية عصر ويصرفها لطلبة العلم بحسن أخلاق وعفة وسيأتي ذكر جد

---

(١) ترجمة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني في كتاب « نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر » للسيد العلامة المحقق المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة جـ٢ ص (٥١٠ - ٥١١) الطبعة الأولى ١٩٧٩ م .

(٢) هو العلامة أحمد زبارة مفتي الجمهورية اليمنية السابق - رحمه الله - .

(٣) علق على هذا فضيلة القاضي محمد بن إسماعيل العمراني في حاشية نسخته من « نزهة النظر» فقال : « والقاضي علي بن حسين المغربي والقاضي يحيى العنسي والقاضي عبد الوهاب الشماحي والسيد عبد الكريم الأمير والسيد أحمد الكحلاني والسيد محمد السراجي والسيد أحمد زبارة والشيخ على الدبب والشيخ محمد البهلولي والقاضي علي الأنسي والقاضي عبد الله حميد وغيرهم، واستجاز القاضي عبد الله الجرافي والقاضي عبد الله السرجي والقاضي محمد السماوي والسيد محمد زبارة والسيد أحمد زبارة والشيخ منصور عبد العزيز نصر والشيخ عبد الواسع الواسعي والسيد قاسم إبراهيم .

(٤) وكتب القاضي العمراني بخطه معلقًا على هذا فقال : « كما درس في مسجد الزبيري وفي المعهد العالي للقضاء وفي جامعة صنعاء وفي المدرسة العلمية وفي جامعة الإيمان » .

(٥) وقد توفي رحمه الله سنة ١٤١٦ هـ في مدينة تعز .

صاحب الترجمة القاضي محمد بن محمد بن علي ، أما جده القاضي محمد بن علي وولده القاضي عبد الرحمن بن محمد بن علي فهما من رجال القرن الثالث عشر وهم أهل بيت يُحبون الحديث وأهله مع حفظ وضبط لرجال الحديث والعمل به

وللقاضي عبد الرحمن مؤلف في ذلك كما أن لوالده القاضي محمد بن علي تاريخ مبني على السجع [١] ذكر فيه بعض أعمال القاسم وأثنى على المؤيد الصغير محمد بن المتوكل على الله إسماعيل زهده وورعه وتناولا الأخرين، كما أثنى على ولديه محمد وعبد الرحمن .

والعَمراني بفتح العين المهملة نسبة إلى مدينة عَمران ، شمال مدينة صنعاء على نحو مرحلتين .



(١) ويُسمى « اتحاف النبيه في تاريخ القاسم وبنيه » وهو مخطوط .

(ب) في « أعلام المؤلفين الزيدية » للوجيه [(١)]

محمد العمراني

(١٣٤٠ هـ - معاصر)

محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن علي العمراني ، عالم ، محدث فقيه ، من أعيان علماء العصر ، مولده بصنعاء ، وطلب العلم وأخذ عن مجموعة من مشاهير علماء عصره ، وعكف على تدريس كتب الحديث والإفتاء ، وتولَّى عدداً من الوظائف ، وهو اليوم من العلماء المشهورين ، ومن المتأثرين بالشوكاني وابن الأمير ، وغالبًا ما يرجع في فتواه إليهما ، هو عضو التجمع اليمني للإصلاح [(٢)] .

● **ومن مؤلفاته :**

١ - « الزيدية في اليمن » كتيب طبع في القاهرة ضمن مجلة الرسالة[(٣)] وطبع ثانية سنة ١٤١٠هـ عن دار التراث اليمني [(٤)] .

٢ - « مجموعة الفتاوي » تزيد على عدة مجلدات - خ - .

● **المصادر** : نزهة النظر (٥١٠) .



---

(١) أعلام المؤلفين الزيدية ، عبد السلام بن عباس الوجيه (٨٧٣ - ٨٧٤) رقم (٩٣١) مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(٢) يقول القاضي : لم أكن عضواً في أي حزب يومًا ما ، ولكن نعين أهل الخير في خيرهم .

(٣) الصواب : مجلة « رسالة الإسلام » الصادرة عن ما يسمى بدار التقريب ، وأما « الرسالة » بالألف واللام وبدون إضافة فهي اسم المجلة الأدبية التي كان يديرها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات - رحمه الله - فانتبه للفرق .

(٤) بدون إذن أو علم المؤلف - حفظه الله - .

المصادر والمراجع(١)

١ - « **حياة الإمام الشوكاني** » (المُسمَّى كتاب التقصار في جيد علامة الأقاليم والأمصار شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني) تأليف العلامة الشنجي ١٢٦٨ هـ ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء - الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩٠ م) .

٢ - « **أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة** » « سيرة الفاتح الشهير » للعلامة محمد بن محمد زبارة ، المطبعة السلفية (مصر - القاهرة) .

٣ - « **تحفة الإخوان بحلية علامة الزمان حليف السنة والقرآن المولي شيخ الإسلام المُعَمَّر الحسين بن على العمرى المتوفى فى غرة شوال سنة ١٣٦١ هـ** » ، تأليف القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي ، المطبعة السلفية (مصر - القاهرة) ١٣٦٥ هـ .

٤ - « **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** » ، الإمام محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة (بيروت - لبنان) بدون تاريخ .

٥ - « **حدائق النمام فى الكلام علي ما يتعلق بالحمَّام أحمد بن محمد الحيمى الكوكبانى** » ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

٦ - « **البنية القبلية فى اليمن بين الاستمرار والتغير** » ، فضل علي أحمد أبو غانم مطبعة الكاتب العربي (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) .

---

(١) هذه بعض المصادر لا كلها ؛ لأنَّ العمل في هذا البحث استمرَّ ما يُقارب السنتين ، ففقدت بعض الكتب ، وبعضها كنت مستعيرة ، وليس بين يدي الآن ، فلا أذكر من هذه إلا عنوانها ومؤلفها ، بدون الطبعة والتاريخ ودار الطبع ، فلا فائدة من ذكرها هنا .

٧ - « **نظام القضاء فى الإسلام** » القاضي محمد بن إسماعيل العمراني ، معهد القضاء العالي (اليمن - صنعاء) (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

٨ - « **نزهة النظر فى رجال القرن الرابع عشر** » للعلامة محمد بن محمد زبارة ، وأتمه ولده أحمد زبارة ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية الطبعة الأولى (١٩٧٩م) (اليمن - صنعاء) .

٩ - « **نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر** » ، العلامة محمد بن زبارة ، إعداد مركز الدراسات والبحوث باليمن - صنعاء ، دار العودة بيروت .

١٠ - « **مساجد صنعاء عامرها وموفيها** »، العلامة محمد بن أحمد الحجري الطبعة الثانية ، مطبعة دار إحياء التراث (بيروت) ١٣٩٨ هـ .

١١ - « **صفة جزيرة العرب** » ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، الطبعة الثالثة (رمضان ١٤٠٣ هـ - حزيران ١٩٨٣م) .

١٢ - « **نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف** » (إلى سنة ١٣٧٥ هـ) للعلامة محمد بن محمد زبارة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، دار الآداب - بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

١٣ - « **اللهجة اليمانية فى النكت والأمثال الصنعانية** » ، زيد بن علي عنان دار الكلمة صنعاء .

١٤ - « **ثورة ١٩٤٨م الميلاد والمسيرة والمؤثرات** » ، إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ، طبع دار العودة بيروت ، الطبعة الأولى (١٩٨٢م) .

١٥ - « **رياح التغيير فى اليمن** » أحمد بن محمد الشامي ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) .

١٦- « **المقتطف من تاريخ اليمن** » ، القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ،

منشورات العصر الحديث (بيروت لبنان) الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) .

١٧ - « **نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن** » ، أحمد بن محمد الشرواني دار آزال (بيروت) والمكتبة اليمنية (صنعاء) ١٩٨٥م .

١٨ - « **وصف صنعاء مستل من كتاب المنشورات الحلبية** » ، للسيد العلامة الرئيس جمال الدين علي بن عبد الله بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري (المتوفي بعد سنة ١١٧٦هـ) ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية (اليمن - صنعاء) طبعة أولى (١٩٩٣م) .

١٩ - « **مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار** » ، محمد بن صالح بن الحسن العصامي الصنعاني ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)

٢٠ - « **أدب الطلب** » للإمام محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية (اليمن - صنعاء) ، ١٩٧٩م .

٢١ - « **كنت طبيبة فى اليمن** » ، كلودي فايان ، تعريب محسن أحمد العيني ، دار الكلمة (اليمن - صنعاء) الطبعة الثالثة (١٩٨٥م) .

٢٢ - « **الأذكياء** » للإمام الحافظ ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) حققه وقدم له أسامة عبد الكريم الرفاعي ، مؤسسة عز الدين للطباعة (بيروت - لبنان) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

٢٣ - « **جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع** » للسيد أحمد الهاشمي ، دار الفكر (بيروت - لبنان) (١٤١١هـ - ١٩٩١م) .

٢٤ - كتاب « **مجمع الأمثال للميدانى** » (مختارات) الأستاذ محمد علي قاسم، مكتبة المعارف (بيروت - لبنان) (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) .

٢٥ - « **المستطرف من كل فن مستظرف** » شهاب الدين الأبشيهي (٨٥٠ هـ) منشورات مكتبة دار الحياة للطباعة والنشر (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

٢٦ - « **الرحيق المختوم** » الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، طبعة ثانية .

٢٧ - « **هجر العلم** » للقاضي العلامة إسماعيل الأكوع .

٢٨ - « **المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح** » الحافظ الدمياطي ، قرأه وأمر بطبعه عبد الملك بن دهيس (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

٢٩ - « **الطريق إلي الحرية** » (مذكرات العزي صالح السنيدار) ، أعد المذكرات للنشر الأستاذ علي بن عبد الله الواسعي ، الطبعة الثانية سبتمبر ١٩٩٨ م .

٣٠ - « **أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية** » أحمد السقاف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.

٣١ - « **الموسوعة اليمنية** » مؤسسة العفيف الثقافية (اليمن) تنفيذ دار الفكر المعاصر (لبنان - بيروت) الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

٣٢ - « **الدرارى المضية شرح الدرر البهية** » الإمام محمد بن علي الشوكاني دار الفيحاء (عمان) ودار الجليل (صنعاء) ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) .

٣٣ - « **فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء** » جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش ، طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء (الرياض - السعودية) ، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م) .

٣٤ - « **موسوعة العذاب** » عبود الشالجي، الدار العربية للموسوعات، بدون تاريخ.

٣٥ – « **أزمنة التاريخ الإسلامي** » تأليف الدكتور عبد السلام الترمانيني ، أشرف على طبعه قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) .

٣٦ – « **مُصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني** » (دراسة حياته وآثاره) عبد الرحمن طيب بعكر ، مكتبة أسامة (تعز – اليمن) ودار الروائع (دمشق – سورية) الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) .

٣٧ – « **مختصر الشمائل المحمدية** » للترمذي ، اختصره وحققه الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع (الرياض) الطبعة الرابعة (١٤١٣هـ) .

٣٨ – « **اليمن الخضراء مهد الحضارة** » محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، الطبعة الثانية (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) .

٣٩ – « **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** » الإمام الشوكاني (١٢٥٠هـ) حققه وخرج أحاديثه الدكتور عبد الرحمن عميرة دار الوفاء (المنصورة – مصر) الطبعة الأولى (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) .

٤٠ – « **فتح الغفار** » (المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار ﷺ) للقاضي العلامة الرباعي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – لبنان) ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) .

٤١ – « **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس**» للعلامة العجلوني ، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) الطبعة الثالثة (١٣٥١هـ) .

٤٢ – « **تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور علي ألسنة الناس من الحديث** » للعلامة الحافظ ابن الديبع ، الناشر دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان) بدون تاريخ .

٤٣ – « **تقريب التهذيب** » ابن حجر العسقلاني ، حققه محمد عوامة ، دار الرشيد (حلب – سوريا) الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م) .

٤٤ – « **ذكريات لا مذكرات** » الأديب ثروت أباظة .

٤٥ – « **أخبار الظراف والمتماجنين** » للحافظ ابن الجوزي .

٤٦ – « **الزواجر عن اقتراف الكبائر** » للفقيه أحمد بن حجر الهيتمي ، ضبطه وحققه أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) .

٤٧ – « **جواهر الأدب** » للسيد أحمد الهاشمي ، دار الفكر ، الطبعة الثلاثون

٤٨– « **الحاوى المساوى السَّماوى** » للعلامة يحيى بن المطهر بن إسماعيل (١٢٦٨هـ) مخطوط .

٤٩ – « **أعلام المؤلفين الزيدية** » عبد السلام بن عباس الوجيه ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) عمان – الأردن.

٥٠ – « **العلماء العُزَّاب الَّذين آثروا العلم علي الزواج** » عبد الفتاح أبو غُدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

٥١ – **مجلات :**

(أ) البيان اللندنية .

(ب) الإرشاد اليمنية .

(جـ) الشقائق اليمنية .

(د) النور اليمنية .

(هـ) مجلة العالم الإسلامي اللندنية .

(و) « المدد » نشرة فلسطينية تصدر في اليمن .

(ز) الأسرة السعودية ، وملحقها المساء .

الفهرس

الموضـــوع رقم الصفحة

المقدمة ٣
القاضي العمراني أديباً وظريفاً ٦
١ - قصتك غريبة يا حاج علي ٩
٢ - بيع الخل ١١
٣ - لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ١٢
٤ - حمل العمامة أهون من حمل أمامة ١٤
٥ - سمع الله لمن خدره ١٤
٦ - على مذهب الطبنجة ١٥
٧ - صاحب مسجد الفليحي وعبده الذكي ١٧
٨ - خادم الشامي وأنس بن مالك ١٨
الفائدة الأولى : إبراهيم بن إسماعيل الأمير ١٩
الفائدة الثانية : اجتهاد العلامة الشامي بعدم صحة إقرار تمليك النساء لأقربائهن ٢١
٩ - احتياطاً ٢٣
١٠ - أحد .. أحد ٢٤
١١ - ماشي اليمنية والمصرية ٢٥
١٢ - امتنع عن الخروج من النار ٢٦
١٣ - فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس ٢٦
١٤ - ذكاء إياس ٢٧
١٥ - يا الله أسقينا الغيث ٢٨
١٦ - أهلاً بأخ الأب أبصرني ٢٨
١٧ - مسألة تحتاج إلى تفكير ٢٩
١٨ - أنا أُخاطب أهل ثلا أم أنت ٢٩

١٩ - إنما الأعمال بالنيات ٣٠
٢٠ - سنة ضرطة الخطيب ٣٢
٢١ - يس والحلبة ٣٤
٢٢ - من يرث من ؟ ٣٧
٢٣ - تفضلوا عليه به ٣٨
٢٤ - لا رحم الله الصينيين ٣٨
٢٥ - كفن للميت الذي لم يمت ٣٩
٢٦ - البخاري يذكر فضائل الإمام علي رضي الله عنه ٤١
٢٧ - رؤيا الشوكاني للأمير في المنام ٤٣
٢٨ - المسفلة ٤٥
٢٩ - لا يُقتل مرتين ٤٩
٣٠ - لو اجتمع عليه أهل صنعاء لقتلتهم به ٥٠
٣١ - الطبقية تصد عن دين الله عز وجل ٥١
٣٢ - عنزة ولو طارت ٥٣
٣٣ - أخرج هذا العبد ٥٤
٣٤ - انقلاب عسكري في تعز ٥٦
٣٥ - التوقيت جائز ٥٧
٣٦ - أجر تعليم القرآن ٥٨
٣٧ - خير الأسماء ما عطعط ٥٨
٣٨ - فقه امرأة ٥٩
٣٩ - شهادة الفاسق ٦٠
٤٠ - البوارد التسع ٦٢
٤١ - حسن التعليل وسرعة البديهة ٦٥
٤٢ - بأرة وبغرة وبقرة ٦٦
٤٣ - لنا بقية يومنا يا يهودي ٦٧
٤٤ - عقلاء المجانين ٦٨

٤٥ – أهلاً وجبلاً ٦٩
٤٦ – العنوه لعنه الله ٧٠
٤٧ – الزلابيا هي القاتل ٧٢
٤٨ – عصمت إينونو واليمن ٧٢
٤٩ – الأسد في حضن العلامة الشماحي ٧٣
٥٠ – قاسم العزي والسفير المصري ٧٥
٥١ – ملك مصر ٧٦
٥٢ – سيقع قتل ودماء ٧٦
٥٣ – لا لي ولا لك ولا للبطاط ٧٧
٥٤ – أنا كبسي ٨٠
٥٥ – كلهن شوعات ٨١
٥٦ – خلق الله كباسي ٨١
٥٧ – قيدوه .. زوجوه ٨٣
٥٨ – نبوغ الشوكاني ٨٤
٥٩ – الإمام أحمد والثعابين ٨٥
٦٠ – نجاسة الميت ٨٦
٦١ – يا ليتها كانت القاضية ٨٧
٦٢ – نصراني يُصلّي بمسلم ٨٩
٦٣ – فسد حجّك ٩٠
٦٤ – أيهما أفضل صنعاء أم تعز ؟ ٩٠
٦٥ – نتيجة بيت الفقيه ٩٢
٦٦ – الحلقة المفقودة ٩٣
٦٧ – سيف الإسلام والكلب الإنجليزي ٩٥
٦٨ – نصف متر من البز لوزير العدل ٩٦
٦٩ – الشوكاني والقبيلي ٩٦
٧٠ – أردت عمراً وأراد الله خارجة ٩٨

٧١ - فإن تُرد الزيادة هات بطنًا ١٠٠
٧٢ - أمير الشعراء وسيف الإسلام ١٠٢
٧٣ ـ أشأم من جبة السياغي ١٠٤
٧٤ - أكذب على الله ١٠٧
٧٥ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء ١٠٨
٧٦ - لو أنت يهودي يا شوكاني ١١٣
٧٧ - كودهم رضيوا بي (الحمد لله أن قد رضوا بي) ١١٤
٧٨ - قد سمه فيه ١١٤
٧٩ - الدين قبل الوراثة ١١٥
٨٠ - يوم أنت ويوم هيه ١١٦
٨١ رضي الله عن سيدنا جدر ١١٧
٨٢ - المعتبر رضاها ١١٨
٨٣ - ذهبت بولد فعادت بولدين ١١٩
٨٤ - سلم مال التاجر وإلا أذنت ١٢٠
٨٥ - نصيحة للقضاة ١٢٦
الملحق مجموعة تراجم بيت العمراني ١٣٣
مصادر تراجم بيت العمراني ١٣٥
شجرة بيت العمراني المبارك ١٣٧
ترجمة القاضي العلامة محمد بن علي بن حسين العمراني ١٣٨
ترجمة القاضي العلامة حسين بن محمد بن علي العمراني ١٦٤
ترجمة القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد بن علي العمراني ١٦٥
ترجمة القاضي العلامة محمد بن محمد بن علي العمراني ١٦٨
ترجمة القاضي العلامة إسماعيل بن محمد بن محمد العمراني ١٧٩
ترجمة القاضي العلامة محمد بن إسماعيل بن محمد العمراني ١٨٠
المصادر والمراجع ١٨٣
الفهرس ١٨٩